

الجلد
صالح القر
بيوت - المزرعة

813:H57tAj

• هيرسي، جون

• تحية الاجراس

813
H57tAj

~~MAR 3 '55~~

~~AP 20~~

~~MAY 12~~

~~JUN 30~~

~~JUL 10~~

~~AUG 10~~

~~SEP 10 '57~~

~~OCT 9 '58~~

~~NOV 12 '58~~

~~DEC 15 '59~~

~~MAY 5 1969~~

~~25 Oct 67~~

~~AUG 14 '60~~

~~FEB 9 '61~~

~~FEB 24 '61~~

~~MAR 13 '61~~

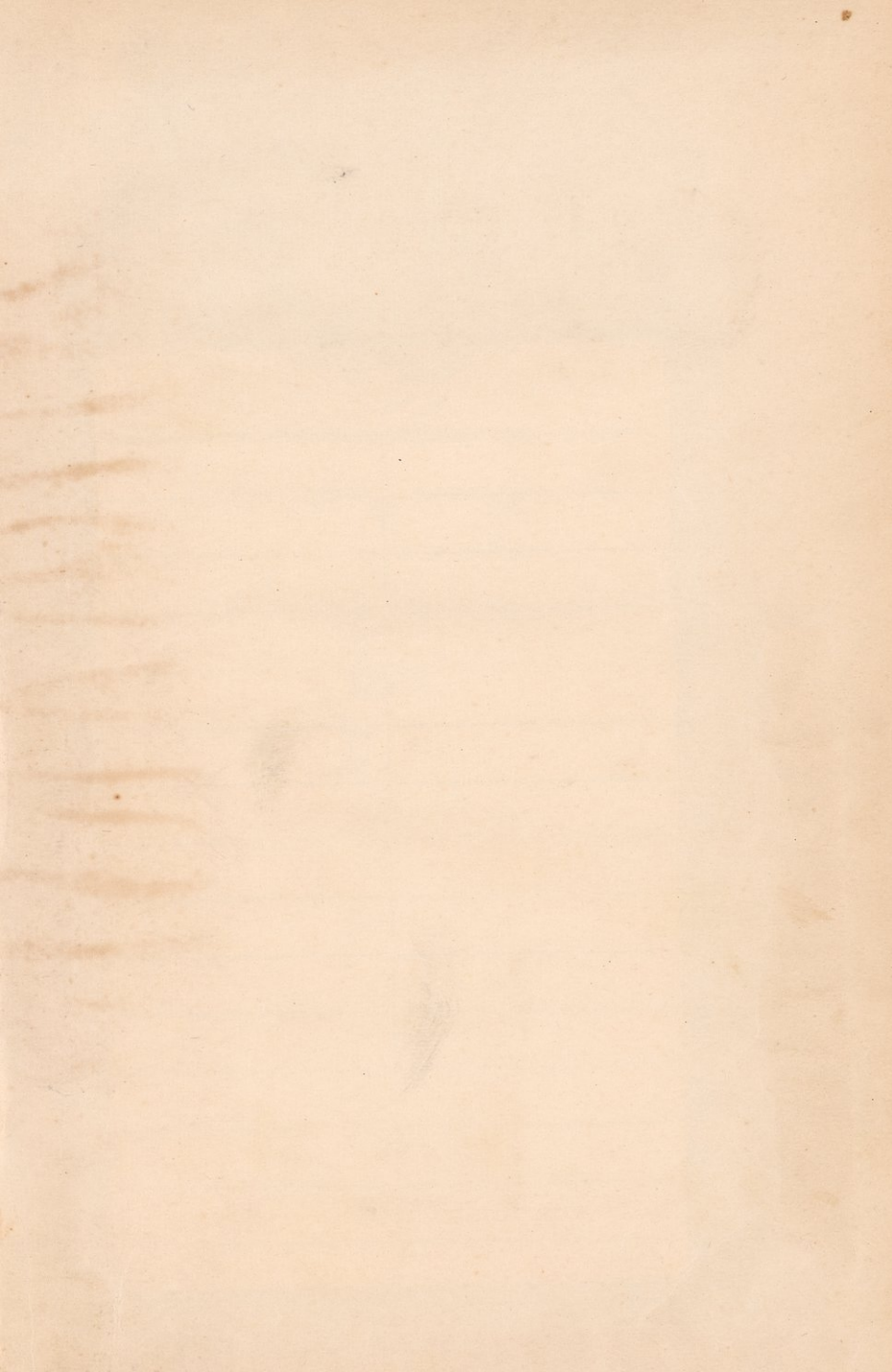
~~Lib.~~

JAFET LIB.

~~1 FEB 1979~~

~~1 JUN 1981~~

~~1-Dec-86~~



تحفہ اللہ مرآسی

تألیف

جموں ہفیرسی

نقلها إلى العربية

حسن الجبذوی الحامی

نشر بالاشتراك مع مؤسسة
فرانكلين للطباعة والنشر
بالقاهرة ونيويورك

هذه الترجمة مرخص بها
وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق
وتنازلت عنه لدار أخبار اليوم

This is a translation of « ABell for Adano » by John Hersey,
published by Alfred A.Knoff, In. Copyright, 1944 by
John Hersey.

الفصل الاول

وصل الغزو الى مدينة «أدانو» •

وجرى أونباشى أمريكى بحذرفى « شارع فافيمى » القذو •
وعندما وصل الى زاوية الشارع ، ألقى بنفسه على الارض ، ورتب
سلاحه الخفيف ، ثم التفت الى زملائه وأشار لهم بالتقدم •

وفى « شارع كالا بريا » ، فى جزء آخر من المدينة ، زحف ثلاثة
آخرون كما تزحف الققط • فقد حدث انفجار ، لعله من قنبلة
هاوون ، على مسافة نحو الشمال لا تعدو حدود المدينة ، مما حملهم
على الانبطاح على الارض فى انتظار ما قد يحدث •

وأخذت فصيلة بأكملها تنتقل من قبر لقبر فى مداخل
« الكابوسين » عند التل المشرف على المدينة • وكان أفراد الفصيلة
جميعا خائفين ، فقد انقطع الاتصال بينهم وبين وحدتهم ، وكانوا
يجهلون سير المعركة ، وقد اقربوا من هدفهم - وهو الصخرة القريبة
منهم - ولكنهم رغبوا فى أن يعرفوا ما هو حادث فى المدينة
قبل أن يتقدموا •

وكان الأمريكان فى جميع أنحاء مدينة « أدانو » على هذا الحال •
ثم تكن تصادفهم مقاومة ، ولكنه كان اليوم الاول للغزو ، فكانت
أعصابهم متوترة •

ولكن ضابطا برتبة ميجر ، يتأبط محفظته ، نزل فى الميناء
الى أحد الارصفة المعدة لشحن الكبريت ، وقد بدا عليه الهدوء
التام ، والتفت الميجر الى الجاويش الذى نزل خلفه وقال : « بورث ،
إننى أحس كمالو كنت عائدا الى أرض الوطن • لطالما رأيت هذه
الرؤيا فى منامى • » ثم انحنى على الرصيف ولمس أرضه براحة

يده ، وأزال التراب بعد ذلك بمسح يده على سراويله (بنطلونه) •
كان هذا الرجل هو الميجر « فيكتور جوبولو » الضابط الأول
للشئون المدنية في مدينة « أدانو » ويمثل حكومة الحلفاء العسكرية •
وكان رجلا متوسط الطول ، في بشرته سمرة موروثة عن والديه
الايطاليين من قرب فلورنسا ، وجهه مستدير ذو شارب ،
وطلعه بهيجة ، ولكن نظراته حادة تدل على الجدة • وكان يبلغ من
العمر نحو خمس وثلاثين سنة •

أما الجاويش الذي كان يتبعه فهو « ليونارد بورث » ، بوليس
حربي ، مكلف بأمور الأمن في أدانو ، ومطلوب منه أن يساعد
في التخلص من أشرار الايطاليين والاستعانة بخيارهم • وقد تطوع
« بورث » ليكون أول من يدخل المدينة مع الميجر ، فقد كان « بورث »
شجاعا لا يأبه لشيء ، وهو من أصل هنغاري ، عاش في أماكن
متعددة : في « بودابست » حيث بدأ يستعد لدراسة الطب ، وفي
« روما » حيث كان مراسلا للجريدة « بوسترلويد » ، وفي
« فيينا » حيث عمل في مكتب سياحة ، « وفي « مارسيليا »
حيث كان سكرتيرا لأحد كبار المصدين ، وفي « بوستون »
حيث كان مخبرا للجريدة « الهيرالد » ، وفي « سان فرانسيسكو » حيث
اشتغل ببيع الراديوهات ، ومع ذلك فلم يكن قد بلغ الثلاثين !
وهو أمريكي التحق بالجيش متطوعا ، وكانت الحرب في نظره نكتة
تدعو للسخرية ، وأعتبر أن مهمته في الحرب أن يحمل الناس على أن
يأخذوا الأمور في كثير من الهوادة !!

فلما لمس الميجر الأرض الايطالية ، قال له « بورث » : انك عاطفي
أكثر مما يجب !

وقال الميجر : قد يكون ذلك ، ولكنك سوف تحس بنفس
الاحساس اذا ذهبت الى هنجاريا •

— أنا ؟ أبدا !

ونظر الميجر نحو المدينة وقال : أتظن اننا نستطيع الذهاب الآن ؟

وقال « بورث » : ولم لا ؟

— اذن كيف نذهب ؟

وبسط « بورث » خريطة للمدينة وقال مشيراً بأصبعه : من هنا فى شارع بارينو حتى شارع ٢٨ اكتوبر ، والسراى فى آخر شارع ٢٨ اكتوبر ٠٠٠

وقال الميجر : ٢٨ اكتوبر ؟ ما هذا الاسم ؟

- انه تاريخ زحف موسولينى على روما عام ١٩٢٢ ! انه التاريخ الذى ظن موسولينى انه أصبح فيه شيئاً مذكوراً ! ٠٠٠
لقد كانت « لبورث » ذاكرة قوية !

وأخذ فى المسير ، وقال الميجر : لقد نسيت التاريخ ! فى أى يوم من الشهر نحن ؟

- ١٠ يوليو

- اذن سنسميه شارع ١٠ يوليو

وقال بورث : أراك بدأت تغير أسماء الشوارع ، وسوف تشرع فى اقامة التماثيل ياميجر جوبولو ! ٠٠٠ التمثال الاول للجندي المجهول ، والثانى لك ! اننى لاثق فى الرجال العاطفين ذوى الضمائر المتخرجة !

وقال الميجر فى حدة ، كما لو كان تلميذاً عانده بعض زملائه فى المدرسة : كفى سخرية ! ٠٠٠ ولم تحل رتبته العسكرية دون أن يظهر فى صوته ما يدل على أن السخرية قد جرحته ، فقد أحمر وجهه ٠٠٠

وسار الرجلان فى « شارع بارينو » ، ولم يلتقيا فى طريقهما بأحد ، فقد فر الرجال الى التلال المجاورة ، أو اختبأوا فى المخابىء وأقبية المنازل . وكانت البيوت فى هذا الشارع تنطق بفقر أصحابها ، فهى بيوت باهتة الحيطان والفتحات ، يعلوها التراب الذى تراكم من غفر القنابل . وبين الحين والحين تجد بيتاً أصابته قنبلة فتدحرجت أحجاره فى أرض الشارع .

وفى التقاطع الثالث لطريق ٢٨ اكتوبر ، وجد الرجلان نفسيهما أمام جثة امرأة ايطالية مقتولة ، متشحة بالسواد ، وقد أطارت قنبلة ساقها اليمنى ، وفضل الذباب - لآمر ما - بركة الدم والتراب التى تكونت بجوارها على جذعها .

وقال الميجر : يا للفضاعة ! ان الدم لم يجف بعد ، ومع ذلك فقد بدأت رائحة كريهة تنتشر ! ان من المؤسف حقاً أن نضطر لارتكاب هذا في أصدقائنا !

وقال بورث : أصدقائنا ؟ انها نكتة !

وقال الميجر : لم يكن هؤلاء ولا أمثالهم أعداءنا • ان جدتي لأُمى كانت مثل هذه المرأة • لم يكن خصومنا هؤلاء الفقراء المساكين ، بل عصابة اللصوص المقيمين في سراى المدينة حيث نحن ذاهبون !

وقال بورث وفي نبرات صوته ما يدل على أنه يريد مكيدة الميجر : رويدا ! فسوف يكون مكتبك في سراى المدينة ، فقد تصبح أنت الآخر أحد اللصوص !

وقال الميجر في حدة : كفى !

وقال بورث : اننى لا أطمئن الى ضميرك ، ولذلك عينت نفسى مساعد ضمير لك !

وكرر الميجر قوله : كفى ! • • • واحمر وجهه من الغيظ •

ومرا على بيت هدمته احدى قنابل الاسطول • وقال الميجر : انظر لهذه الفضاعة ! •

وقال بورث : لعله كان منزل أحد اللصوص • اذ كيف تستطيع أن تعرف الفرق ؟ دع هذا المنزل وانظر لهذا - وأشار الى مرفيه روث خيل وماعز وتبن وقش وبدور وبقايا فراخ ، قد انتشر عليها الذباب •

واضاف بورث : هنا لا محل للمسئولية أو عدمها ياسيدى الميجر ! انما المطلوب هو ازالة هذه القاذورات • ان أمامك عملا فى هذا الممر لا فى ذلك المنزل !

- اننى أعرف شغلى ، وأعرف ما أريد ان أعمل : وأعرف الفقر يا بورث !

وسكت بورث • لقد وجد أن الميجر « جوبولو » يأخذ الامور على وجه جدى لا سبيل فيه الى المزاح •

ووصلا الى ميدان المدينة المسمى « ميدان التقدم » • وفى ذلك الميدان رأيا السراى التى كانا يبحثان عنها •

لقد كان بناء تبدوعليه مخايل السلطان • لم يكن بناء من تلك
الابنية المؤقتة التى أقامها الفاشيون فى جميع المدن الايطالية
والتي بلغ من جدة تصميمها أنها أصبحت كالتأثرات لا يكاد يتم
بناؤها حتى يبطل استعمالها • لقد كان بناء قديما من الصخر •
وفى الدور الثانى منه شرفة قديمة القيت منها خطب كثيرة •
لقد خدم هذا البناء الملوك قبل الفاشيين ، وهو الآن على وشك
أن يخدم الديمقراطية بعدهم • وخشية ألا تتبين مظاهر السلطان
فى ذلك البناء ، كتبوا عليه بحروف بارزة من البرونز فى منتصف
الواجهة : « سراى المدينة » •

وقام فى الزاوية الامامية اليسرى للبناء برج لساعة • وفى
أعلى البرج اطار من المعدن لابدأه قد أعد لحمل جرس • وكان شكله
نابيا بدا عليه القدم ولكن لم يكن به جرس •

وبجانب برج الساعة كتب بأحرف كبيرة بيضاء بالاطالية :
« لقد أقام الشعب الايطالى الامبراطورية بدماؤه ، وسيجعلها ثمرة
بعمله ، ويدافع عنها ضد من يكيد لها بأسلحته » !!

وأشار الميجر الى ما هو مكتوب وقال : حتى بعد الغزو يقولون :
« لقد أقام ... »

وقال بورث : أعرف أنك تقرأ الايطالية • وأنا كذلك • فلا
ترجم لبورث !

وقال الميجر : أعرف ذلك ، ولكن فكر فى سخريه هذا القول
اليوم !

وقال بورث : لاشك أنه يبدو سخيفا !

وقال الميجر : لو أنهم وجدوا أية ثمرة لعملهم لدافعوا
بأسلحتهم • أراهن أننا نستطيع أن نعلمهم الرغبة فى الدفاع عما
يملكون • انى أريد أن أعمل كثيرا هنا يا بورث !

وقال بورث : وهذا أيضا كلام نظرى • تذكر الممر • نظف
الممر ياسيدى ! انه الممر الذى يجب أن تركز أفكارك عليه •

واخترق الميجر الميدان حتى وصل الى الباب الاسود الكبير
للسراى ، ووضع محفظته على الارض ، وأخرج قطعة طباشير
من جيبه ، ثم كتب على اطار الباب : « فيكتور جوبولو •

ميجر • الولايات المتحدة • حكومة الحلفاء العسكرية • مدينة
أدانو ، (xoxo)

ودخل الرجلان الى البناء ، وصعدا سلما من الممر ، وهما
ينظران حولهما أثناء الصعود • ثم انحرفا ومرا من باب مكتوب
عليه : « العمدة » • وما كاد بصرجوبولو يقع على الغرفة التي
ولجأها حتى كاد يغمى عليه من الدهشة ! لقد كان ، الغرفة
واسعة جدا لاتقل عن سبعين قدما طولا وثلاثين عرضا ، وكان
سقفها عاليا وأرضيتها من الرخام ••

وكانت هذه الغرفة بعد مظاهر الفقر الصارخة في الشوارع
تبدو ذات ثراء وقح : الاثاث من طراز ايطالى ، ثقيل أسود ، تبرؤ
منه رسومات هنى خليط من المخلوقات والفواكه ، والستائر
من حرير مشجر ثمين ، وكسيت الحوائط بالحرير أيضا !

وكان الباب الذى دخلا منه قريبا من الركن الجنوبي الغربى
للغرفة • وعلى يمينه طاولة كبيرة عليها خرط وصور جوية تركتها
فرقة أمريكية استعملت الغرفة فى الصباح كمقر للقيادة •
وكان فى ركن من الغرفة مجموعة من مكائس ايطالية ، وفى وسط
الحائط الجنوبي باب أبيض مزدوج ، وعلى الجانبين أريكتان
كبيرتان مكسوتان بجلد أسود ، وفى الجهة المقابلة المظلة على
الشارع بابان كبيران يوصلان الى شرفة الخطابة •

وقد ازدحمت بجوار الحائط ، بغير ترتيب ، طاولة ثقيلة ،
وكراسى مختلفة الاحجام على هيئة عرش ، وكنبة أخرى • وفى نهاية
الزاوية شمال « قديسة » من الحجر الابيض • ومع أن القديسة
قد لفت عنقها فى حياء بكوفية من الرخاء ، فقد أحيط عنقها بسلك
من تلفون اشارات الجيش الأمريكى ، فى طريقه من أحد
بابى الشرفة الى المكتيب ، حيث كانت قد وضعت آلة تلفون
ميدان • وكانت تقوم الى يسار الباب مكتبة ضخمة ، واجهتها
من الزجاج ، وخلفها حوض لغسيل اليدين من الخزف ،
وبجواره أبريق ماء ، وبعد ذلك بيانو ذو نقوش يمجه الذوق •
والى اليمين فوق الكنبتين صورتان كبيرتان للملك ايطاليا
« فيكتور عمانويل » وملكتها ، ينظر كل منهما للآخر فى تعاسة
وحنو • وعلى الحائط الخارجى صورة لولى العهد « امبرتو »

تبتسم لكل ما هو حادث في الغرفة ، وفوق « قديسة التلفون »
صورة الاميرة البلجيكية « ماري جوزيه » زوجة امبرتو ، في
لباس ممرضة من الصليب الاحمر . وفوق المكتبة مربع خلا من
التراب ، مما يدل على أن صورة كانت معلقة ونزعت .

وبدا كل ما في الغرفة من أثاث ثقيل وصور ، كما لو كانت
وضعت في أمكنتها لتدفع العين الى الناحية الاخرى من الغرفة
نحو أكبر صورة به ، هي صورة زيتية خيالية تمثل مجموعة أشخاص
تسير الى بعيد ، وبخاصة الى المكتب .

وكان مقاس كر ما في الغرفة كبيرا ، حتى أن ضخامة المكتب
بدت طبيعية . وعلى جانبي المكتب نقوش محفورة في الحشب
للمناظر ، وقد كتب عليها : « السنة الخامسة عشرة للفاشية » ، أي
سنة ١٩٢٧ ، وهي فيما يبدو السنة التي صنع فيها المكتب .
وكان تحت المكتب كرسي لوضع القدم عليه .

رنال الميجر جوبولو : أظن هنا اسبا جدا !

رنال بورث : انه يشبه مكتب موسوليني . والآن وأنا
أفكر في الامر ، أراك تشبه الى حد كبير موسوليني ياسيدى ،
فيما الشارب ! فهل يرضيك أن تترك موسوليني ؟

وقال الميجر : ضحك هذا السخف ، وتعال فكتشف
ما حولنا .

وخرجا من الباب الابيض في نهاية الغرفة ، واخترقا عدة
مكاتب مزدحمة بتخت وملفات ومكتبات . ولم تفرغ الملفات من
محتوياتها ولا بدلت لها يد . وصاح بورث : هذا حسن .
قوائم بالاسماء سجلت فيها بيانات كاملة . ان ذلك مما
يسهل أعمالنا هنا .

وقال الميجر : أظن الفرق بين مكتبي وعنده المكاتب ! انها
لفضيحة !

وكان كل ما قاله بورث : مكتبك ؟

وا عاد الاثنان الى الغرفة الكبيرة وجدا بها ايطاليا ، لاشك
أنه مختبئا في البناية . كان رجلا قصيرا يرتدى معطف
مكاتب من الكتان ، له ياقة مزورة ولكن بغير رباط رقبة .

وحيا الايطالى القصير التحية الفاشستية ، وصاح فى حماس
بالايطالية : مرحبا بالامريكان ! لبحيى روزفلت ! كم أنا سعيد
بحضوركم ! لقد مرت على سنوات كثيرة وأنا أكره الفاشستين !

وقال له الميجر بالايطالية : من أنت ؟

وقال الرجل القصير : زيتو جيوفانى ! اننى معروف جدا
بكراهيتى للفاشينين !

وقال الميجر جوبولو : وماذا تفعل ؟

وأجاب زيتو : اننى أرحب بالامريكان !

وقال بورث فى ايطالية ثقيلة اللكنة : ياغبى ماذا كان عملك
قبل نزولنا الى البر ؟

وقال زيتو : زيتو جيوفانى حاجب فى سراى المدينة ، من
مواليد « ادانو » .

وقال الميجر جوبولو : كنت حاجبا هنا ؟

- نعم كل يوم من الثامنة للثامنة !

- ولماذا خدمت الفاشيين اذا كنت تكرههم ؟

- لقد كرهتهم سنوات طويلة .. اننى معروف بعدائى
للفاشيين . لقد عشت مشبوها طويلا .

وقال الميجر : اسمع أيها الحاجب .. اننى أحب الصديق ،
وسوف تكتشف ذلك . فاذا كذبت على فستعرض نفسك
لمتاعب كبيرة ! لا تكذب على . اذا كنت فاشيا فيما مضى فقد كنت
فاشيا ، ولا حاجة بك لان تكذب على !

وقال زيتو : لقد كنا فى حاجة لان نأكل ونكسب معيشتنا .
اننى أب لستة أطفال .

وقال الميجر جوبولو : اذن لقد كنت فاشيا . وعليك الآن أن
تتعلم كيف تعيش فى نظام ديمقراطى . ستصبح حاجبى .

وامتلأ قلب زيتو سرورا .

وقال الميجر : لاتحنى بهذه التحية ..

وانحنى زيتو وقال : التحية الفاشية ! لياسيدى .

وقال الميجر جوبولو : لاتنحن ، فلا حاجة بك للتذلل هنا •
أنا لا أزيد على أننى ميجر ، وبورث هذا جاويش • فهل أنت رجل ؟

واختلط الامر على زيتو الصغير ، وأجاب باحتراس : لا ياسيدى • ولكنه وجد من نظرة الميجر أنه كان يجب عليه أن يقول « نعم » ، فقالها •

وقال الميجر : تستطيع أن تحيننى بهز يدى ، وتحينى الجاويش بورث بنفس الطريقة •

وقال بورث وقد دلت تعابير وجهه أنه يريد مكايده الايطالى :
يجب قبل ذلك أن أتحقق من أنه ليس فاشيا خطيرا •

ولم يدر زيتو ، أيضا حك أم يبكى ! لقد كان خائفا ولكنه فى الوقت عينه كان فخورا بهؤلاء الرجال ! فقال : لن أكذب عليك يامستر ميجر • اننى ضد الفاشيين يامستر جاويش • وقد أصبحت حاجبا هنا •

وقال الميجر جوبولو : يجب أن تكون هنا فى الساعة السابعة صباحا من كل يوم •

وقال زيتو : الساعة صباحا ؟

وسمعت طلقات مدافع وبنادق من شوارع بعيدة ، فانخلع قلب زيتو • وقال له بورث : قد تكون رجلا ، ولكن ذلك لا يمنع أنك مرعوب !

وسأله الميجر جوبولو : كيف كانت الحالة هنا ؟

وأخذ زيتو يثرثر عن القنابل والغارات الجوية • ولما هدا قليلا قال : اننا فى شدة الجوع • لقد مضت علينا ثلاثة أيام دون خبز ! لقد فر الاشخاص المهمون جميعا ، وتركونى هنا وحدى لاحرس السراى • ولكن ثنانة الموتى فظيعة ، وخاصة فى ميدان سان انجيللو • وبعض الناس مرضى ، لان سائقى عربا نقل الماء لم يجرؤوا على احضار الماء منذ عدة أيام ، بسبب الطائرات فوق الطرق • وقد يتسنا من النصر وذهب جرسنا !

وقال الميجر جوبولو : جرسكم ؟

وقال زيتو : نعم جرسنا الذى كان ينبع من العمر سبعمائة •

عام • لقد أخذه موسولينى ! لقد كان يرن بنغمة جميلة كل ربع ساعة • أخذه موسولينى ليحوله الى مواسير مدافع أو الى شىء من هذا القبيل • وغضبت المدينة أشد الغضب ، ورجا الناس نيافة القسيس الذى هو عم العمدة ليفدم بعض أجراس الكنيسة بدل • سننا ، ولكن نيافته رفض بحجة أنه لا يريد تدنيس الكنيسة على حد قوله • ومعنى ذلك أننا فقدنا جرسنا أسبوعين فقط قبل مجيئكم ! لماذا لم تأتونا قبل ذلك ؟

وأين كان هذا الجرس ؟

— هنا ، •• وأشار زيتو فوق رأسه — لقد كان البناء كله يرن عندما كان الجرس يندق !

وقال الميجر جوبولو لبورث : لقد رأيت مكان الجرس فى أعلى البرج • فهل لاحظته ؟ ثم أضاف موجها الحديث الى زيتو : هل هذا هو السبب الذى من أجله كنت تود حضورنا قبل الآن ؟

وكان زيتو محتاطا فقال : بعض السبب •

وقال بورث : أيها الحاجب • اذا كنت فاشيا حقا ، ففى استطاعتك أن تقول لى : لماذا هذا الفراغ الكبير حيث كانت تتدلى منه دون شك صورة كبير ؟ ومن السهل أن يلاحظ من أثر التراب أن الصورة كانت ولا شك كبيرة •

وابتسم زيتو وقال : لم يعد للصخرة وجود فقد أعدمتم !

وقال بورث : ألسنت تخفيها فى البدروم ؟ ألا تخشى أن يطرد أصدقاؤكم الالمان الامريكان من هنا ، ويعود زعيمك ويرى المربع المترب ، ويسألك أسئلة محرجة ؟

وقال زيتو : أقسم أنها أتلفت • اننى لا أستطيع الكذب أمام مستر ميجر !

وقال الميجر جوبولو : أيها الحاجب ! وما هذه الصورة الكبيرة فوق مكتبى ؟

وهنا أقدم زيتو الصغير على كذبة جميلة : لقد كانت الصورة تمثل مجموعة من الناس فى ملابس تاريخية ، وكان من الواضح أن أحدهم — بمنظر وجهه ، وموضعه من الصورة ،

وانفراده بما فيها من اضاءة - هو زعيمهم ، وكان يشير الى جانب الصورة نحو اليسار .

وفكر زيتو بسرعة ثم قال : هذا يا حضرة الميجر هو كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا !

وابتسم زيتو لجمال كذبتة ! . ولم يكتشف الميجر جوبولو الا بعد ثلاثة أسابيع أن الصورة تمثل في حقيقتها منظرا من مناظر ثورة الصقليين الدموية التي أثاروها ضد غزاة سابقين .

وقال الميجر جوبولو بالانجليزية محدثا نفسه : انها صورة جميلة . ترى كم عمرها ؟ قد تكون بريشة مصور مشهور !

واتجه الميجر الى المكتب وسحب الكرسي العالى الظهر وجلس عليه ، واضعا قدميه على الكرسي الآخر المعد لهما .

وقال بورث : ماهو احساسك يادوتشى ؟

وقال الميجر : ان أماننا عملا كثيرا ، ولا أدري بماذا أبدأ .

وقال بورث : أنا أعرف ما على أن أفعل . . أبحث عن مقر الحزب الفاشستي لأعثر - أن أمكن - على سجلات أخرى . فهل أستطيع أن آخذ السيد الحاجب لأبحث عن مقر الحزب الفاشستي ؟ فقال الميجر : انطلق يابورث .

ولما انصرف الاثنان ، أخرج ميجر جوبولو أوراقا من محفظته ، ورتبها أمامه على المكتب ، ثم أخذ يقرأ :

« تعليمات الى ضباط الشؤون المدنية - اليوم الاول : ادخل المدينة مع أول كتيبة . تعاون مع القائد المختص في توزيع الحراس وضبط السجلات . ضع الحراسة على جميع مخازن الطعام ومستودعات طعام العدو ومحلات بيع الطعام بالجملة ومخزونات البضائع الاخرى . تحصل من موزعي الطعام المحليين على بيانات عن كمية الطعام الموجود أو الممكن توفيره ، وعدد الايام التي تكفى تلك الكميات لها . قدم تقريراً بالطريق المعتاد عن حالة الطعام في منطقتك . تأكد من وضع المؤسسات الآتية تحت الحراسة أو الحماية : المسابك ، محلات الآلات ، المصانع الكهربائية والكيمياوية ، مطاحن الدقيق ، ومصانع البيرة والاسمنت ، وغرف التبريد ، ومصانع الثلج ، والمخازن العامة للاستيداع ،

ومعامل تكرير زيت الزيتون والكبريت ، ومعاصر الزيوت ، ومصانع الصابون ، وآية مؤسسات هامة أخرى . وبحث وضع تحت تصرف سلطات الميناء جميع مرشدى البوغاز المحليين المعروفين « وهكذا وهكذا بغير انقطاع .

وبعد أن قرأ الميجر ثلاث صفحات نظر جوبولو فى ساعة يده . كانت الحادية عشرة ونصفاً . لقد انقضى تقريباً نصف ذلك اليوم الاول . وأخذ الميجر صفحات التعليمات من على مكتبه وقطعها نصفين ، ثم قطع النصفين الى ربعين ، ثم جمع الاجزاء جميعها وألقى بها فى سلة المهملات تحت مكتبه .

ثم جلس ونظر الى الفضاء من أقرب باب ، وأطال النظر الى الشارع الحاوى من المارة ، وبداعليه التعب واليأس .

ثم بحث عن محفظته للمرة الثانية ، واستخرج منها مفكرة صغيرة سوداء امتلات صفحاتها بمذكرات أخذها حين كان يتتبع دروس حكومة الحلفاء العسكرية . مذكرات عن تموين المدنيين وسلامة الجمهور وصحته ، وعن المالية والزراعة والصناعة والمنافع والنقل ، وكل ما هو مطلوب من سلطات الغزو . ولكنه مر على جميع تلك الصفحات ، ووقف عند صفحة مكتوب عليها : « مذكرات من جوبولو الى جوبولو » وقرأ :

« لاتصغر نفسك . كن دائماً فى متناول الجمهور . لاتجعل لك بطانة . تكلم الايطالية كلما أمكن . لاتفقد حلمك . اذا فشلت الترتيبات . . . ارتجل . . . تصرف » . . .

تلك كانت الفكرة التى أرادها : اذا فشلت الترتيبات . . . ارتجل .

لقد كانت ترتيبات هذا اليوم الاول فى سلة المهملات . لقد كانت ترتيبات عقيمة . ان فيهما من العمل ما يشغل فرقة كاملة لمدة أسبوع .

أما الآن فقد بدأ فيكتور جوبولو يفكر لنفسه ولم تعد تظهر عليه آثار التعب . فقام بنشاط واتجه الى الشرفة حيث وجد بها صاريى اعلام ، فعاد وأخرج من محفظته علمين ، أحدهما أمريكى والآخر بريطانى .

ووضع العلم البريطاني تحت ابطه وهو في طريقه للشرفة •
وأخذ يبحث عن موضع ربط العلم الأمريكي بالحبل ، ثم ربطه
بحبل الصناري اليساري ورفع •

وقبل أن يصل العلم الى نهاية الصاري ، كان قد تجمع
بالميدان خمسة من الايطاليين • وقبل أن يربط العلم البريطاني
بالحبل كان عددهم قد بلغ العشرين • وعندما أتم رفع
العلمين كان أربعون شخصا يهتفون له : « نهارك سعيد •
نهارك سعيد • أيها الأمريكي ! »

وحياهم بيده ، ثم عاد لغرفته سعيدا نشطا •
وتناول محفظته من جديد ، وأخرج منها مجموعة من الاوامر ،
وأخذها الى المنضدة الكبيرة ، وبعد أن أزاح ما عليها من الحرق
والصور الفوتوغرافية المتروكة ، رتب الاوامر على المنضدة •
وبينما هو عائد الى مكتبه سمع طرقا على الباب • فصاح
بالايطالية : أدخل •

وفتح الباب ، ودخل منه شخص ذو هيئة مألوفة للميجر
جوبولو • وتبين الميجر بعد ذلك أنه لم يسبق له رؤية ذلك
الرجل • بل هناك كثيرون يشبهونه كل الشبه في أفلام
السينما الأمريكية الرديئة ! انه يمثل شخصية قاطع الطريق
الايطالي من الطبقة الثانية • الرجل القصير من رجال العصاة
الذي يقف خلف الزعيم ، ويتحمل الضربات دائما • • أصلع الرأس ،
هزيل الفم ، بخده أثر التحام جرح طويل ، زائغ البصر ، يدل
مظهره على أنه في حاجة لتعليمات يقوم بتنفيذها •

وقال الرجل بالانجليزية : لقد رفعت علما انجليزيا • هل
انتهت الحرب هنا في « ادانو » ؟ وقال الميجر : نعم • من تكون؟
وقال الايطالي : اننى من « كليفلاند أوهايو » ، ومضى
علي هنا ثلاث سنوات • لديك عمل لى ؟ •

وقال الميجر جوبولو : ما اسمك ؟

وقال الايطالي : « ريبودو جيوزيبي » ، ويدعوننى في
كليفلاند • • • • •

وقال الميجر جوبولو : وماذا تستطيع أن تعمل ؟

وأجاب الإيطالي : اننى أمريكى حسن السلوك . اننى أكره هؤلاء الفاشيين ، وأستطيع أن أؤدى لك أعمالا مفيدة .

وقال الميجر جوبو : اذا كنت أمريكيا حسن السلوك كما تقول ، فلماذا تركت الولايات المتحدة ؟

وأجاب ريودو : لقد طردونى ...

— لماذا ؟

— ليس لى جواز سفر .

— وكيف دخلت الولايات المتحدة اذن ؟

— لى أصدقاء كثيرون فى « كليفلاند » وفى « بفلو » .

— وماذا كنت تعمل فى الولايات المتحدة ؟

— اشتغلت هنا وهناك ..

وسر الميجر جوبولو من ريودو ، لانه لم يحاول أن يكذب عليه فى موضوع دخوله الى الولايات المتحدة بطريقة غير مشروعة وابعاده . وقال له : حسنا سألينك مترجما لى .

— الا تتكلم الإيطالية ؟

— بل أتكلّمها ، ولكن سيوجد هنا أمريكان لا يتكلمونها ، وقد احتاجك لامور أخرى .. أتعرف هؤلاء الناس معرفة جيدة ؟ أتعرف من منهم معنا نحن الامريكان ، ومن ضدنا ؟

— طبعا ، ياسيدى الرئيس ، وسأساعدك كثيرا .

— حسنا . ماذا قلت انه اسمك ؟

— ريودو بيرزيبى . جو ، فقط ، بالنسبة لك .

— لا . اننا فى ايطاليا . سأدعوك جيوزيبى هنا . ولكن

هناك مسألتين : الاولى — يجب أن تصدقنى فى كل شىء ، فان لم تفعل فالويل لك . والثانية — لا تنتظر منى أية حظوة لاينالها غيرك . أفهمت ؟

— أجل ياسيدى الرئيس . لا تقلق .

- والآن قل لى ما أول شيء تحتاجه هذه المدينة ؟
- يمكننى أن أقول أنه صالة سينما يا سيدى الرئيس :
- لا يا جوزيبى ، أعنى الآن فوراً .
- الطعام يا سيدى . ان حالة الطعام سيئة جداً فى أدانو، فمئذ ثلاثة أيام لم يأكل كثير من الناس شيئاً .
- لم هذا ؟ ألا يوجد دقيق ؟
- يوجد . ولكن الجميع خائفون ، فالخبازون لا يعملون ، ولا أحد يبيع عجينا ، والماء لا يرد فى عرباته . هذا هو الامر يا سيدى .
- وكم عدد الخبازين فى المدينة ؟
- وقبل أن يجيب . جوزيبى على السؤال سمعا طرقتين على الباب ، احدهما قوية ، والاخرى ضعيفة .
- أنا افتح لهم ياسيدى الرئيس ...
- لقد كان جوزيبى راغباً فى العمل على الأقل .
- من فضلك يا جيوزيبى .
- وسار جيوزيبى بخطوات سريعة فى الغرفة الطويلة ، وفتح الباب . ودخل رجلان حسنا ابزة، وفى عنقيهما رباط رقبة: أحدهما مسن جداً ، والاخر يدين جداً يبدو فى الاربعين من عمره . وأسرعوا فى الغرفة ، وكان كل واحد منهما لا يريد أن يسبقه الآخر .
- وقال الرجل المسن بانجليزية منتقاة للكنة: اسمى «كاكوباردو»، فى خدمتك ياسيدى الميجر . وسنى «شان وثمانون عاماً. وأملك تقريباً كل الكبريت الموجود هنا، فهنا « كاكوباردو » هو الكبريت، والكبريت هو «كاكوباردو» . وأحب أن أقدم لك نصائح كلما احتجت الى مشورة .
- وقال الرجل البدن الذى تضايق من سبق «كاكوباردو» له فى الحديث : اسمى «كراكسى» . ولدى تلفراف .
- وسأل الميجر جوبولو : ماذا أستطيع أن أعمل لكما ايهما السيدان ؟

وقال كاكوباردو : نصائح !.

وقال كراكسى : التفграф ..

وقال كاكوباردو : ان الامريكان الذين يأتون الى البلاد الايطالية
فى حاجة الى مشورة .

وحقق الرجل المسن فى جيوزيبى وأضاف : أحب أن
أشير عليك بالاحتياط ، ففى أدانو رجال كثيرون كانوا خارجين
على القانون فى أمريكا ، ومنهم من حكم عليه بالاعدام فى
بروكلين نيويورك ..

ولما رأى الميجر جوبولو حيرة جيوزيبى، قال له : يا جيوزيبى
اننى أريد التحدث الى قسيس المدينة فهل تستدعيه الى ؟

وقال جيوزيبى : أى قسيس ياسيدى الرئيس ؟

وقال كاكوباردو : فى أدانو ثلاث عشرة كنيسة يا سيدى
الميجر ، وفى بعضها ، ككنيسة سان انجيلو وسان سيباستيان ،
قسيسان أو ثلاثة .

وسأل الميجر جوبولو : أى الكنائس أفضل ؟

وقال كاكوباردو : لا ينبغي أن تكون مفاضلة بين الكنائس ،
ولكن سان انجيلو أفضلها ، لان الاب « بنشيو فيكيو » أفضل
الجميع !

وقال الميجر جوبولو لجيوزيبى : ادعه لى ، من فضلك ..

وقال جيوزيبى : سمعاً يا سيدى الرئيس ...

وانصرف .

وعقب انصرافه سأل الميجر جوبولو كاكوباردو : هل جيوزيبى
هذا لا يؤتمن ؟

وانحنى كاكوباردو وقال : أنا أذكر حكم الاعدام فقط ،
ولكننى لست بالشخص الذى يذكر الاسماء !

وقال الميجر جوبولو فى حدة : لقد قلت انك جئت لتنصحنى،

ويجب أن أعرف اذا كان جيوزيبى هذا شخصا يؤتمن أو لا يؤتمن ؟

وانحنى الرجل العجوز وقال : ان جيوزيبى شخص لا يضر !
وابتدا كراكسى البدين يتمتع لان كاكوباردو يحظى بكل
اهتمام الميجر ، وقال : عندى تلفراف أريد أن يرسل اذا
سمحت .

وقال الميجر جوبونو : ليس هذا مكتب تلفراف . ان الحرب
دائرة . أتخسب أن ليس لدينا ما نعمله أفضل من ارسال
تلفرافات ؟

واعتذر كراكسى وقال : أننى خصم للفاشية ، وعندى تلفراف
وأنت الوحيد الذى يستطيع ارساله . . وأخرج من جيبه قطعة
ورق مسطرة مطوية أربع طيات ، ومثبتة بمشبك ، وسلم
الورقة للميجر الذى وضعها على مكتبه ، مما ضايق كراكسى !
وقال الميجر : قلتما انكما جئتما لتنصحنى ، فما الذى تحتاجه
هذه المدينة فورا ؟

وفى هذه المرة سبق كراكسى البدين ، وقال : الطعام ! كثير
من الطعام .

وقال كاكوباردو : انها تحتاج جرسا أكثر من أى شىء آخر !
وقال كراكسى : ما هذا الجنون ؟ جرس ؟ أهناك شىء فى
العالم أهم من الطعام ؟

وقال كاكوباردو : ان المدينة تريد استرداد جرسها . أما
الطعام فتستطيع دائما أن تجده .

وغضب كراكسى الذى لم ينل نصيبه من الحديث ، وقال :
— انك تستطيع دائما أن تجد الطعام يا كاكوباردو ، لان عندك
مليون ليرة ! أنت الكبريت . انك تستطيع أن تأكل ولكن
ليس كل الناس . . ثم التفت الى الميجر وقال : الاكل هنا
ضرورى وأكثر لزوما من أى جرس .

واندفع كاكوباردو غاضبا يقول بالايطالية : أيها البدين : انك

لا تفكر الا في معدتك . ان الروحانيات أهم من المعدة . لقد كان الجرس جزءا من معنوياتنا . لقد كان جزءا من تاريخنا . لقد وضعه على البرج بيده «بترو الارجونى» وصممه المثال «لوتشيو دى انج» من مودىكا .

وقال كراكسى بالايطالية : ان الجوعانيين يسمعون طنين آذانهم ، فليسوا بحاجة لاجراس .

وقال كاكوباردو : لقد نبه هذا الجرس الشعب عندما حاول «روبيرتو» ملك نابولى غزو المدينة ، فرد على أعقابهم .

وقال كراكسى : ان المرضى بالملاريا يسمعون طنينا فى آذانهم أيضا .

وقال كاكوباردو : لقد نبه الجرس الشعب عندما أحضر الاميرال « تارجو » جنوده الفرنسيين والأتراك الى هذا المكان عام ١٥٥٣ ، وحرق بيوتا وكنائس عديدة . وكل ماترك فى «كنيسة الام» الصليب الفضى الصغير الذى سوف تراه فى كنيسة سان انجيلو » .

وأجاب المجر بالايطالية : ليس لدينا وقت لمثل هذا الشرح . اننى أريد أن أعرف المسائل المستعجلة التى يجب الاهتمام بها فورا .

وقال كراكسى : لقد قلت : الطعام هو أول شىء .

وقال كاكوباردو : يجب الاهتمام بالجرس فورا . ان الجرس لم ينبهنا لهذا الغزو ، والا لوجدتمونا فى الشوارع ومعنا الازهار للترحيب بكم .

وقال كراكسى : لم أحتج لاي جرس لقد كنت على الشاطئ لأرحب بالامريكان . ولقد كانت امرأتى « مرجريتا » الهائلة معى ، وأطفالى السبعة . كنا على الشاطئ - برغم طلقات المدافع - انجيبى الامريكان . ولكن بماذا كان أولادى يهتفون ؟ انهم لم يصيحوا مطالبين برنات الجرس . بل كانوا يصيحون : «كرامىلا . كرامىلا ! لقد كانوا جوعانيين . كانوا يريدون الحلوى .

وأنا نفسي ، الذي حصلت على حاجتي من الطعام ، كنت أطلب
سجائر لا جلجلة أجراس .

وعاد بورث والحاجب زيتو . . وقال بورث : جاءت الامور
سليمة ياسيدي الميجر . فكل السجلات كاملة توضح كل غامض ،
وبها بيان كامل عن خصوم الفاشية ، وعن المتحمسين والمرائين .
ويوجد ملف كامل لكل شخصية هامة من هؤلاء ؟

وقال كاكوباردو : اسمى كاكوباردو في خدمتك ياسيدي .
كاكوباردو هو الكبريت والكبريت هو كاكوباردو !!

وقال بورث : اذكر الاسم . انهم في السجلات يقولون أن
كاكوباردو مخبول !

وقال كراكسى : هذا حق فانه يظن أن الاجراس أهم من
الطعام .

والتفت بورث الى كراكسى في سخيرة غاضبة : ومن هذا ؟
وأخذ كراكسى يعتذر من جديد : اننى خصم للفاشية .
راسمى كراكسى . وأنا الآن مؤمن بالطعام !

وقال الميجر جوبولو : انهما يتناقشان في أيهما أكثر أهمية ،
الطعام أو إعادة الجرس ؟ ولما كنا لا نستطيع الآن عمل شيء
بالنسبة للجرس ، فسنهتم بأمر الطعام .

وبدت على كراكسى علامات الاعجاب بنفسه ! ولكن كاكوباردو
التفت الى زيتو وقال : سنترك هذا الموضوع الى «ابن روزا»
التي كانت زوجة زيتو . ماذا تقول يا زيتو الصغير : أيهما في
تقديرك أهم ، الطعام أم الجرس ؟

ومن الغريب أن زيتو أجاب : أعتقد الجرس !

واهتم الميجر جوبولو بهذا والتفت الى زيتو وسأله : لماذا
يا زيتو ؟

وقال زيتو : لان رنين الجرس كان مرضيا جدا .

وقال كاكوباردو : لا . بل لتاريخ الجرس . فعندما كان
الجرس يتحدث كان آباؤنا وجدودنا يتحدثون إلينا .

وأثرت هذه الحجة ، حتى فى كراكسى الذى قال : ليس هذا ، بل لان الجرس كان يدق جميع ساعات اليوم ، وكان يدلنا على الوقت الذى نقوم فيه بأعمالنا كالأكل مثلا . كان يدلنا متى نأكل بيضة الصباح ، ومتى نأكل المكرونة والارانب ، ومتى نشرب النبيذ مساء !!

وقال زيتو : أظن أن رنته هى الاهم . انها كانت تهدى أعصاب أهل المدينة . تلوم الغاضبين وتسرع الغمومين . بل كانت تضحك مع السكارى . لقد كانت نعمة تتفق مع كل انسان .

وحضر جيوزيى ومعه القسيس . وكان الاب «بنشوفيكىو» أشيب الرأس بشوشا ، وعندما اقترب من المجتمعين حول مكتب المجر أتى بحركة بيده اليمنى يمكن أن تفسر بأنها منح للبركة أو التحية الفاشية .

وبعد اتمام التعارف ، قال ميچرجوبولو للقسيس : ياسيدى الأب ، لقد كنا نتحدث عن الجرس القديم الذى انتزع !

وقال الاب بنشوفيكىو : هذه هى فضيحة هذه المدينة . ان عندى فى كنيسة جرسا لا يقل صوته عن صوت ذلك الجرس الذى أخذ ، وان لم يكن فى جماله ، وهو أحدث منه عهدا ، ولا معنى له كجرس . وأى جرس غيره كان يؤدى المطلوب فى قبة كنيسة . ولقد أردت أن أرسل جرسى ، ولكن سيدى الاسقف لم يسمح . ان الاسقف عم عمدة المدينة ، ولديه أسبابه ليتصرف كما أراد ! ورسم الاب اشارة الصليب يريد بذلك أن يدل على أن تصرفات الاسقف لم تكن جميلة . « أما فى هذا الشأن فأعتقد أنها كانت خاطئة . »

وسأل المجر جوبولو : لماذا اذن كان هذا الجرس مهما ؟

وقال القسيس : لقد كان هذا الجرس فى وسط المدينة ، وكانت الحياة كلها تدور حوله . كان يوقظ الزراع فى الصباح ، وكان سائقو عربات النقل يعلمون منه متى يبدأون عملهم ، وكان الخبازون يخبزون باشارته ، وحتى نحن فى الكنيسة كنا نتكل عليه أكثر من اتكالنا على أجراسنا . ويوم السبت عندما تفرع

أجراس المدينة جميعها ظهرا ، يرتفع صوت هذا الجرس وكان الجميع ينصتون اليه .

وقال كاكوباردو الذى بلغ من السن حدا جعله يفقد الاحترام لكل شئ : انى أعتقد أن الاسقف نفسه نادم على تفريطه فى ذلك الجرس لانه كان يرتب مبادله عليه .

وقال كراكسى : وأنا واثق أنه كان ينظم عليه طعامه كما يفعل الجميع .

وقال الميجر لبورث بالانجليزية : يجب أن نحاول استحضار جرس آخر .

وقال بورث : انه لامر مضحك . أن هناك أشياء كثيرة أهم من ذلك الجرس . أحضر لهم بعض الطعام ، ولاتنس ذلك الممر .

وقال الميجر جوبولو : ومع ذلك فللجرس أهمية خاصة عندهم !.. ثم قال بالايطالية : أشكركم لما ذكرتموه لى بخصوص الجرس . أعدكم بأن أعمل كل ما فى وسعى لآتيكم بجرس غيره يكون له مغزى كجرس ونغمة جميلة ، ويكون تاريخه أنه قدم لكم من الامريكان ليحل محل الجرس الذى انتزعه الفاشيون ليصنعوا منه مواسير مدافع .

وقال كاكوباردو : ما الطفك !

وقال كراكسى : أشكرك ياسيدى الميجر واقبل يدك .

وقال الميجر جوبولو : تفعل ماذا ؟

وقال كاكوباردو المؤرخ : انه لم يقصد اهانة . انها عادة قديمة هنا ! لقد كان الرجال المهمون هنا يجعلوننا نقبل أيديهم ، ولما أصبح التقبيل الفعلى غير مستحب جرت العادة بأن يذكر التقبيل كما لو كان قد وقع .

وقال كراكسى : لم أقصد أية اهانة يا سيدى الميجر ! اننى خصم للفاشينين !

وقال الميجر جوبولو : يبدو أن جميع من فى هذه المدينة خصوم للفاشية ! حسنا سوف ننظر فى موضوع الجرس .

أريد أن أتحدث على انفراد مع القس. ويمكنك أن تبقى يازيتو
فانك حاجبي. وأنت ياجيوزيبى تسطيع البقاء أيضا لانك
ترجمانى .

وقال كراكسى : التلغراف يامستر ميجر !

وأجاب الميجر جوبولو : سأحاول ارساله .

وأعاد كراكسى ذكر تقبيل اليد وانصرف . ولما انصرف الآخرون
قال الميجر جوبولو للأب بنشوفيكىو :

— أريد أن أقول لك ان الامريكان يقصدون خيرا بهذه
المدينة . ان بين الامريكان كما بين جميع الشعوب رجال سوء ،
وقد يرتكب بعض الامريكان الذين يأتون الى هنا أفعال سوء .
فان فعلوا فأريد أنؤكد لك ان أغلب الامريكان سيحسنون
بالحجل من هذه الاشياء بقدر مضايقتها لكم !!

وأجاب الأب بنشوفيكىو : احسبنا سنقدر ضعف الطبيعة
البشرية فى رجالكم كما نقدرها فى رجالنا .

— شكرا يا سيدى الأب . . لقد قيل لى أنك أفضل
قسيس فى أدانو .

وقال القسيس فى تواضع محمود: اننى هنا لاعمل واجبى .

وقال جوبولو : اذن سأطلب منك معروفا . وأحب أن تعرف
أن لك كامل الحرية — أن ترفض ان أردت . أريد منك أن
تذكر بضع كلمات عن الامريكان قبل صلاة الصباح . وسأترك
لك ما تقوله ، وكل ما أرجو أن تضيف ان هناك أوامر الصقها
الامريكان بالحيطان ، وعلى الجمهور أن يقرأها . .

وقال الأب بنشوفيكىو : أستطيع أن أفعل ذلك بكل سهولة .

وقال الميجر جوبولو : اننى كاثولىكى . وان كنت تقبلنى
فاننى أود حضور الصلاة .

وأجاب القسيس : ان ذلك ليسرنى !

واحس الميجر جوبولو بالغبطة ، لان القسيس لم يقل ان ذلك
يشرفه .

وقال : سأراك اذن غدا .

وقال الأب بنشوفيكو من باب التأكد : في كنيسة سان انجيلو .. انها في الميدان المسمى باسمها . في الساعة السابعة صباحا .
الى اللقاء يا بنى .

ولما انصرف القس قال جيوزيبي بلكنته الانجليزية : سوف تنجح ياسيدى الرئيس ، وكل ما امامك الآن هو أن تنظم الطعام .
وقال الميجر : اجل . الطعام . ؟ سوف نذهب الى المخازن .
ولكن قبل ذلك هل لديكم مناديهنا ؟

وقال جيوزيبي لزيتو بالاطالية : ما اسم النادي ؟ هل فر الى الجبل مع الآخرين ؟

وقال زيتو : لا انه هنا راسمه «مركوريو سالفاتورى» .
افه هنا ، ولكنه يا مستر ميجر لا يقول دائما ما يطلب منه تماما .
انه يقول المعنى العام لما تريده ، ولكنه يدخل عليه تعديلات .
وحتى لو كتبت له ما تريده أن يقوله فانه يبدل فيه !

وقال الميجر جوبولو : احضره لى من فضلك يا زيتو . اننى اريد أن أبعثه ليطلب الى الناس قراءة أوامرنا .

وذهب زيتو ، وقال الميجر جوبولو لجيوزيبي : سنذهب الى المخازن ثم نلصق الاوامر .

وقال جيوزيبي : نعم ياسيدى الرئيس .

ونظر الميجر جوبولو الى مكتبه ، فوجد تلفراف كراكسى ،
فرفع المشبك وفض الورقة ثم قرا :

« الى فرانكلين د . روزفلت بناية الكابيتول واشنطن »

وقال الميجر : لننظر يا جيوزيبي مدى قدرتك على الترجمة ..
هذا تلفراف الرئيس روزفلت . يجب أن تصوغه ببلاغة على قدر الامكان . ماذا يقول ؟

« الى فرانكلين د . روزفلت انخ ... اكاد أجن سرورا لاسترداد حرية طال انتظاؤها ، ردها جنودكم الشجعان الى مدينة أدانو . قف »

= مامعنى قف ؟

- هي نهاية جملة يا جيوزيبي .

- نهاية جملة . أرجو أن تتقبلوا احساسنا باخلاص

الغبطة والاعتراف بالجميل . التوقيع : كراكسي .. هل

سترسلها يا سيدى الرئيس ؟

وقال الميجر : بالطبع . ان الرئيس سوف يسمع حين يسمع

ذلك .

الفصل الثانى

وتأخر «مركوريو سالفاتورى» منادى المدينة بعض الوقت فى الحضور ، لانه رغب فى أن يلبس بزته الرسمية . وكان حين حضوره منشراح الصدر ، لانه كان قد حسب أن أيام مناداته بالمدينة قد انتهت ! . لقد كان صوتا للفاشية لسبعة عشر عاما ، ولذلك ظن أن الوافدين الجدد لن يلجأوا الى صيحاته العالية . وكان قد أخذ بزته وأخفاها فى منزل «كرملينا» زوجة «فاتا» ، وأخذ يتنقل فى المدينة متعثرا فى ملابس مدنية ، مما جعل السكان وقد رأوه سبعة عشر عاما فى بزته الرسمية يسخرون منه .

وكان يسأل الواحد منهم الآخر فى حضرته : أين المنادى ؟

- لقد اختفى فى ملابس «فاتا» التى لا توائمه ! . .
ثم يتصايحون ويضحكون !

لهذا كان «مركوريو سالفاتورى» سعيدا شاكرا حين قدم نفسه للميجر جوبولو ، وقال له فى صوته الاجش : أننى سعيد بأداء أية خدمة لك وأقبل يدك ! .

وكان قد تعلم أن يتحدث داخل المنازل بصوت يشبه الهمس ، لعلمه بقوة صوته العادى .

ووقف مركوريو سالفاتورى أمام الميجر جوبولو فى أبهة رخيصة سمجة . انه يرتدى بزة من القرن الثامن عشر ، ويبدو كمالو كان قد ارتداها منذ ذلك العهد . كان لونها يوما ما أزرق ، لكنه انقلب الى رمادى باهت ومنقط ، وكانت حرملتها فيما مضى مغطاة بخطوط من الحرير الاحمر ، ولكن الحرير زال وأحلت «كرملينا» زوجة «فاتا» محلها قطعة من الجيش من أكياس مصنع

الكبريت ، صبغتها باللون الارجواني ، مستعملة في الصباغة
عصير العنب ، ولكن الامطار ازالـت اللون ، وبذلك أصبح
مركوريو سالفاتوري اعلانا منتقلا لكبريت كاكوباردو .

لو أن ميجر جوبولو كان أى ضابط أمريكى آخر لضحك ملء
شديقه بمجرد وقوع نظره على مركوريو سالفاتوري . ولكن
الميجر جوبولو كان مهتما بما يريد أن يقوله ، فكاد لا يلاحظ
الملابس . وقال : « أيها المنادى ، ان عندى عملا لك وأريد أن أشرحه .
ان الامريكان يختلفون عن الفاشست . يختلفون فى أمور
كثيرة . لذلك سوف تحدث بعض تغييرات فى أدانو ، وأرجو أن
تكون تغييرات لأحسن . »

وقال مركوريو سالفاتوري لبطهر أنه سيدكر كل كلمة تقال له :
نعم يا سيدى الميجر .

وقال الميجر : ولكى أشرح بعض هذه التعديلات ، سأعلق فى أمكنة
ظاهرة من المدينة أوامر عديدة تشرح كل شيء . وكل ما أريد
منك عمله هو أن تقول للناس أن يقرأوا تلك الاوامر . وشديد
عليهم القول بأن عقوبة عدم اتباع تلك الاوامر ستكون شديدة .
هذا كل ما أريده .

ولم تظهر علامات ارتياح على مركوريو سالفاتوري ، وقال :
ليس فى هذا ما يمكن الصياح به . وقال الميجر جوبولو : هل أعين
مناديا آخر ؟

وأجاب مركوريو سالفاتوري بسرعة : لا يا سيدى الميجر ،
سوف أخرج نداء جميلا مماقلته .

وقال الميجر : ان الاوامر ستلصق قبل الساعة الخامسة
من بعد ظهر اليوم .

وقال مركوريو سالفاتوري : نعم يا سيدى الميجر ! وخرج .

وأخذ طبلته التى كان قد تركها عند باب مكتب الميجر . وكان فى
المعتاد يبدأ نداءه فى ميدان التقدم أمام السراى ، ولكنه فى هذه المرة
كان هائبا ، ورغب فى أن يجرب نفسه عدة مرات قبل أن ينادى
على مسمع من الميجر . لذلك اتجه الى المنتزه المقابل

للكاتدرائية ، ودق على طبلته طويلا وبشدة . ورأى رؤوسا
إيطالية تطل من النوافذ ، وكان كثيرون قد دلفوا من منازلهم
واستندوا الى الحوائط . وتبين له نظرا لكثرة من فروا الى التلال
أنه لن يجد عددا كبيرا من المستمعين ، كما كان الحال من قبل .
ولكنه - على كل حال - قد وجد مستمعين أكثر مما كان يأمل قبل
ساعة .

وأخذ نفسا عميقا ، واندفع الهواء والدم الى حلقه ، وصاح
بأعلى صوته :

« حسنا ، لقد ضحكتكم طويلا ولكنكم ترون أن مركوريو
سالفاتوري لا يزال منادىكم ، ان الأمريكان أصدقاء مركوريو
سالفاتوري ، والأمريكان يريدون أن يكونوا أصدقاءكم أيضا .
لقد كنتم تنتظرون الأمريكان منذ زمن ، ولكن هل توقعتم التغيرات
التي ستحدث بعد مجيء الأمريكان ؟ هل علمتم أنهم
سيغيرون أشياء كثيرة بعد حضورهم ؟ هل علمتم أنهم
سيغيرون كل شيء تقريبا فيما عدا المنادى ؟ حسنا أن منادىكم
هنا ليقول لكم ذلك . »

ولأنه كان قد مضت ستة أسابيع على مركوريو سالفاتوري ،
دون أن يذيع أى نداء ، فقد كان متحمسا . فارتاح قليلا ، وأخذ
نفسا عميقا ، ثم أخذ يصيح :

« ليس لدى منادىكم الوقت الكافى ليعدد لكم جميع تلك
التغيرات ، ولكنها ستبين فى أوامر سوف يلصقها الأمريكان أصدقاء
منادىكم فى أنحاء المدينة بعد الظهر فى حوالى الخامسة . فاقروا تلك
الأوامر أيها الناس واتبعوها . والا فان أصدقاءكم الجدد سوف
يغضبون ويتصرفون كما كان يفعل الفاشيون المختبئون الآن
والحمد لله فى التلال . فاختاروا أيها الناس بين الصداقة والعقوبات
الفاشية . اقرأوا الأوامر واختاروا . لقد بلغت . »

وحمل مركوريو سالفاتوري طبلته على ظهره ، واتجه الى المرتفع
الموجود أمام أطلال قصر سان جيوفانى . وهناك دق على طبلته
بشدة وحدة ، وانتظر أن يجتمع الناس . وبعد أن ملا رثتيه بالهواء
أندفع يصيح :

« اننى ارى امامى نرملينا زوجة فاتا امام منزلها • كذلك ارى فاتا الكسول متكئا على حائط منزل زوجته • ان المنادى يريد ان يشكر كارملينا لتخزينها بزته الرسمية خلال ايام الغزو العصبية • وهو يريد ايضا ان يوجه بعض كلمات الى زوجها الكسول • ان من سوء الحظ يافاتا الكسول أنك لم تتعلم القراءة ، فقد كنت من الكسل بحيث لم تكن تحفظ فى ذاكرتك أشكال الحروف • فى هذا المساء كان يكون من حظك أن تقرأ التغيرات التى ينوى أصدقائنا الأمريكان ادخالها فى ادانوا ! »

« كنت تستطيع أن تقرأ يافاتا الاوامر التى سيلصقها أصدقائنا ! وما كنت تجد شيئا تریکن علیه أثناء قراءتك ، لان الاوامر سوف تلصق على الحائط التى تستند اليها • أن ساعة القراءة - أى نحو الخامسة - كانت تكون ساعة بغیضة اليك ، لانها الساعة التى نجمع فيها نشاطك وترفع زجاجة نبیذ الى شفطيك ! »

« ولكن الآخريں سوف يقرأون • سيعلمون ان الأمريكان أصدقائنا • وسيعرفون عن التغيرات • وسيعلمون ماذا يعملون • سيتجنبون العقوبات ، وستصبح أدانو لهم مدينة جديدة ، والحياة مختلفة • أما لك فستبقى الامور كما هى • ستخطئ ، وستعاقب ، وتبقى ادانو لك مصدرا للخوف »

« أنظروا الى فاتا الكسول ، أيها الناس • لا تكونوا مثله • أقرأوا الاوامر • وتعرفوا الى أدانو الجديدة • لقد بلغت »

وحمل ماركوريو سالفاتورى الطيلة وراء ظهره ، وانتقل الى الامكنة العديدة الاخرى الصالحة للنداء ، وصار يبلغ الناس بطريقته عن التغيرات المنتظرة !

الفصل الثالث

لم يكن الأب « بنشوفيكو » ليذكر متى أجمع في كنيسة
« سان انجيلو » مثل هذا العدد من الناس .

انه لم يخل من الحيلة عندما ذكر عرضا في اثناء الحديث لبضعة
عشر شخصا أن الميجر الامريكي سيحضر الى الكنيسة في الصباح ،
وانه هو نفسه سيقول بضع كلمات عن الامريكان . وأى
قسيس لا يحب أن يكثر عدد مستمعيه ؟ وأى قسيس لا يزهو
برنين قطع النقود التي تتساقط في صندوق الخيرات لأمناء
الكنيسة ؟

ولم يكن الأب بنشوفيكو يأمل عندما كان يذكر في أحاديثه
العرضية أن تأتيه مثل هذه الجموع !

كان القسيس يعلم أنه سوف يندم لسروره بتسببه في انصراف
كل هؤلاء الناس عن الاثنتي عشرة كنيسة الاخرى المنتشرة بالمدينة ،
ولكنه في هذه اللحظة ترك لسروره العنان ، ووقف عند مدخل
الكنيسة يهز رأسه للأشخاص الذين لم يسبق له رؤيتهم من
سنين . كانت هناك « مرجريتا » زوجة « كراكسى » من كنيسة « سان
سيباستيانو » ، وكان هناك « بلانكا » الموثق العجوز من كنيسة « اليتامى »
« وأفرونتى » العربجي ذو الصوت المرتفع ، و « بازيل » العربجي
البدن ، وكلاهما من كنيسة « بنديتيني » . وكان هناك رجال
يقفون بجوانب الكنيسة . وحتى « فاتا » الكسول ، الذى لم يسبق
له أن ذهب الى أية كنيسة منذ تدشين طفله الاخير سنة ١٩٣٣
وقف مستندا الى أحد الأعمدة .

لقد كان مما يجلب السرور حقا أن يحضر كل هؤلاء الناس
الى كنيسة سان انجيلو .

ولكن فكرة طرات على الاب « بنشوفيكيو » اقلقتة ! ماذا لو
لم يحضر الميجر ؟ يا للخجل ! تصور كيف يسخر منه القسس
الاخرون ! وكيف يكون رد الفعل عند هؤلاء المتعجبين ؟ وكيف
يشكون ؟ تذكر كيف أن رعاياه المخلصين سوف يتكالبون في أيام
الاحاد المقبلة على الكنائس الاخرى ! وتصور ما يحدث له اذ
يضطر للعظة امام مقاعد خاوية .

ان الساعة قد بلغت السابعة وخمس دقائق . وهمس كبسين
خدام الكنيسة في أذنه أن وقت بدء الصلاة قد حان ! ولكن الميجر
لم يحضر بعد !

وفي ذلك الوقت كان الميجر جالسا في مكتبه يتناول فاكهة
في افطاره وقد دخل في مناقشة مع بورث ومع الحاجب زيتو ، الذي
لم يسبق له دخول كنيسة ، في موضوع الجرس ، وجلس الميجر
جوبولو واضعا قدميه على المكتب الضخم يأكل فاكهة ، وجلس بورث
على طرف المكتب يأكل فاكهة أيضا ، بينما وقف زيتو الصغير
وقفة انتباه لا يأكل ، ولكنه يتمني لو يأكل !

وقال بورث : أنك يا سيدى الميجر تدع قلبك - كعادتك -
يملى على رامسك . أنس الجرس ونظف الممر . ان مسألة الجرس
هذه مسألة عاطفية بحث !

وسأل الميجر زيتو بالايطالية: متى وفي أى تاريخ بالضبط أخذ
الجرس ؟

وأجاب زيتو فوراً وبغير حاجة للتفكير : ١٤ يونيو . أنه اليوم
الذى غرمنى فيه العمدة « ناستا » ثلاث آلاف ليرة ، لأننى تركت
أطلسى مفتوحا عند خريطة أمريكا الشمالية . لقد اعتدت أن أقرأ
فى أطلسى فى ساعات الحلو من العمل خارج الباب هنا . لقد كان
العمدة « ناستا » يعلم - كما يعلم الجميع - أن الأمريكان آتون ، وكان
ذلك يهيج أعصابه ! وظن أننى أسخر به ! وغرمنى مرتب ستة
أشهر .

وقال الميجر : ١٤ يونيو ، أى منذ شهر تقريبا .

وأجاب زيتو : لقد احتاجوا اليومين لانزال الجرس ، واستعملوا

ست مجموعات من البسكرات والبلنكات ، ثم صرفوا يوما ثالثا
لتقفيصه . وبدأوا ينزلونه فى اليوم الحادى عشر ، ثم وضعوه
على العربة فى يوم ١٤ .

وقال الميجر : فى اليوم الرابع عشر ! وكان منهمكافى التفكير
حتى لقد نسى كل ما يتعلق بالذهاب الى الكنيسة .

وفى هذه الاثناء بدأ الـأب « بنشوفيكىو » فى كنيسة « سان
انجيلو » يفقد أعصابه . ان رءوس أغلب المصلين - مصلية
المحبوبين - بدأت تستدير نحو الباب ، بدلا من أن تتجه الى الصليب
الفضى الذى نجا من حريق عام ١٥٥٢ ! وأحس بأنه سيفقد
اصغاءهم تماما . سوف ينصرفون جميعا ، ويخرجون الى الشارع
بحنا وراء المستر ميجر . لا بد اذن من أن تبدأ الصلاة فورا .

كان ما فعله الـأب « بنشوفيكىو » مخالفا للعرف ، ولكنه
كان يعلم ما قد تعرض له كنيسته . ولذلك لم يبدأ الصلاة من أولها
ولكنه بدأ يتلو ترتيبات الحرب ، مؤملا أن يقتل الوقت حتى يحضر
الميجر .

وبدأ يرتل فى ببطء . . .

بينما الميجر فى مكتبه يردد آراءه بالاطالية - بصوت مرتفع -
لانه كان يريد أن يمتحن أثرها على زيتو . نستطيع أن نأتى بجرس
آخر ، ولا بد أن يكون جرسا ذا معنى . ماذا تظن يا زيتو اذا أتيناكم
بجرس من أجراس الحرية ؟

وقال زيتو : وما أجراس الحرية هذه ؟

وأجاب الميجر جوبولو : انها الأجراس التى دقها الامريكان
عندما أعلنوا استقلالهم عن الانجليز .
وقال زيتو : الفكرة حسنة ، ولكن هل ترضى أمريكا أن تتخلى
عن هذا الجرس لمدينة ايدانو ؟

وقال الميجر : سنستحضر صورة طبق الأصل .

وقال زيتو : صف لى هذا الجرس .

وقال الميجر جوبولو : انه متدل من برج فى فيلادلفيا على

ما ذكره ، وهو من البرونز . وأظن أن به شرخا في أسفله من القدم .
وتستطيع أن ترى صورته على طوابع البريد ، واتخذته كثير من
الشركات علامة تجارية لها .

وقال زيتو : ونغمته ؟

وأجاب الميجر : هذا يتعلق بالصورة يا زيتو . نستطيع أن
نحصل على جرس حسن الرنين ،

وقال زيتو : انني لا أحب مسألة الشرخ هذه . ان الجرس لا يتحتم
أن ينشرخ لمجرد القدم . لقد بلغ عمر جرسنا سبعمائة عام ولم
ينشرخ . وأشك أن أمريكا بهذا القدم ، بصرف النظر عن جرسكم !
وقال الميجر جوبولو : ربما انشرخ لاننا قرعناه بشدة لإعلان
حريتنا .

وقال زيتو : لا أظن أهالي ادا نو يريدون حرية مشروخة ! لا ، لن
يجبوا حكاية الشرخ هذه . ربما تستطيع أن تستحضر لنا جرسا
من أجراس الحرية بغير شرخ .

وقال الميجر : ولكنه - بغير شرخ - لا يكون جرس الحرية .
ان جرس الحرية معمول هكذا يا زيتو .

وأجاب زيتو : ان ادا نو اذن لا تريد جرس حريتكم هذا . وأنا
واثق أنها لن ترغب في هذا الشرخ .

وقال الميجر جوبولو : هذا موضوع انتهى .

وأخذ يفكر . وفي هذا الوقت كان الأب « بنشوفيكو » قد
انتهى من ترتيب ترتيبات الحرب ، ونظر بعصبية نحو المدخل ،
ولكن المستر ميجر لم يحضر ، وأشار الى كبير خدم الكنيسة
وأمر اليه : ابعث « لودوفيكو » الصغير واطلب منه أن يبحث عن
الميجر ويحضره الى هنا . ففعل ذلك من أجل « سان انجيللو » ،
وقل له يسرع .

وبدأ القسيس يتلو التوسلات ، ويذكر الخطايا ، وينظر
بعصبية الى المدخل ، بينما الشعب يرتل الردود ، ويدير
أسسه من وقت لآخر نحو الباب !

وأخذ كبير خدام الكنيسة «لودوفيكو» وخرج به الى قاعة اللبس ، وأخبره أن يفعل كماطلب القسيس . وأسرع لودفيك الصغير الذي لم يسبق له أن خرج الى الشارع في الساعة السابعة والدقيقة السابعة عشرة في يوم أحد في جميع السنوات التي يذكرها ، وخرج دون أن يسأل أين يمكن أن يعثر على الميجر الامريكي ؟ ولا من هو الميجر الامريكي ؟ ولا لماذا يوجد بالمدينة ميجر أمريكي ؟ بل هو لا يعرف ان كانت هناك علاقة بين الطلقات والفرقعات التي اعتاد سماعها في الايام الماضية ، ووجود هذا الميجر الامريكي ؟

ولذلك خرج لودفيك الصغير وجلس على درجات سلم الكنيسة يعمل فكره في هذه الامور .

وفي مكتبه كان الميجر جوبولو يقول : لقد أخذوا الجرس يوم ١٤ يونيو ، أى منذ شهر الايومين ، وليس هذا بالوقت الطويل . واذا قسناه بسير الامور في جيشنا ، فلعلهم لم يفعلوا شيئا بالجرس بعد . الى أين أرسلوه يازيتو ؟

وقال زيتو : الى الحكومة الاقليمية في مدينة « فيشينامارى » . وقال الميجر جوبولو : لعله لا يزال في قفصه في فيشينامارى ، ولم يذهب لاعد من ذلك ؟

وظهر الانفعال على زيتو : أظن ذلك ممكنا ؟

وقال الميجر : ممكن . يجب أن نبحث . وأخذ ورقة فولسكاب من محفظته ، وبدأ يكتب خطابا :

« الى اللفتنانت كيرنيل ر . ن . سارتوريوس . قيادة الحلفاء في فيشينامارى ، مقاطعة فيشينامارى .

« من ميجر ف . جوبولو قائد الحلفاء في أدانو مقاطعة فيشينامارى .

« الموضوع - جرس خاص بمدينة ادانو .

« ان الموقع على هذا أدناه يكون شاكرا لو أمرتم بالبحث في سجلات الحكومة المحلية لمعرفة ان كان يمكن تتبع موضوع . . .

وكانت الصلاة في كنيسة « سان انجيللو » تتبع نظاما

غريبا • فبعد أن أتم التوسلات بدأ الأب بنشوفيكيو ترتيل
مزامير القديس يوسف • وكانت أطول ترتيلة مرت بخاطره •
وكان يكرر اللفاظ دون أن يحس معانيها :

« يوسف الشجاع • يوسف المطيع • يوسف المخلص • مرآة
الصبر • محب الفقر • مثال العامل • زينة الحياة المنزلية •
حارس البكارى • حامى الاسر ... »

وفجأة توقف الأب بنشوفيكيو • لقد خطرت له فكرة •
وأشار ثانية لكبير خدام الكنيسة وهمس في أذنه : « قل لجوتزو
العجوز يدق جرس الكنيسة » •

- الآن ياسيدى الأب !

- اعمل كما أقول لك وبسرعة !

واستمر القسيس فى صوته الاجوف : « ... عزاء الفقير ...
وأمل المريض • وشفيع الميت • ومرعب الابالسة ... »

وكان الشعب يرد : « صل من أجلنا » •

وقال الأب : « حامى الكنيسة المقدسة » •

وبينما الشعب فى منتصف الرد : « صل من أجلنا » سمعوا
دقة الجرس فوق رؤوسهم • وتوقفت الصلاة أثناء قرع الجرس ،
لأن طنينه كان يهز الكنيسة كلها !

وفى مكتبة كان الميجر جوبولوينشف الخطاب ويطويه ••

وقال بورث : كم الساعة ؟

ونظر الميجر فى ساعة يده وقال : سبعة وستة وعشرون
دقيقة •

وقال بورث بالاطيالية : اذا كنت كما تزعم خيرا بالاجراس ،
فما هذا الجرس الذى يدق - بمفرده - الساعة السابعة
والدقيقة السادسة والعشرين صباحا ؟

وقال زيتو : هذا أمر غريب ! انه جرس كنيسة • وأستطيع
أن أقول من رنينه انه جرس كنيسة « سان انجيللو » •

وقفز الميجر من على كرسيه وقال : كنيسة سان انجيللو ؟

يا الهى • لقد وعدت القسيس بالحضور للصلاة ، ونسيت نفسى
وأنا أفكر فى الجرس القديم ! أرنى الطريق يازيتو • اجر •
ان هذا لفظيع !

• واندفع زيتو من الباب ، واندفع الميجر يجرى خلفه •

وظن ثلاثة أو أربعة من الكسالى الجالسين فى الشمس أنه لم
يكن يليق بانيجر الاميركى الجديد أن يطارد زيتو الصغير فى شوارع
المدينة ! واذا كان يريد أن يعاقبه ، فمماذا لم يبعث ببعض رجال
البوليس خلفه ؟ اذ لا يليق بمركزه أن يطارد زيتو بشخصه •
خصوصا أنه لا يعقل أن يلحق به !

ونظر خادم الكنيسة « لودوفيك » الجالس على سلم الكنيسة
بدهشة لهذا الايطالى الصغير الذى يطارده ضابط أمريكى !
وتساءل : لماذا يطارد الامريكى الايطالى ؟ ومرة الاثنان بسرعة
من جوار لوديفيك على درجات الكنيسة قبل أن يخطر بباله أن
هذا هو الميجر الامريكى • وقام مسرعا وجرى على السلم خلفهما ،
ولكنه تأخر ، ودخلا الكنيسة قبله •

ووقف جماعة المصلين ، حتى فاتا الكسول ترك الاتكاء على
العمود ، وكثرت الهمهمة • وبينما الميجر يسير فى ممشى
الكنيسة وهو يلهث ويجفف عرقه من وجهه ، همس كثير من
الناس : « نقبل يدك • نقبل يدك » •

وبالرغم من أنه لم يسبق لزيتو أن دخل كنيسة ، فقد
تأثر من الزحام ، وقرر البقاء • فمشى وراء الميجر •

أما الاب « بنشوفيكىو » - الذى كان وجهه هو الآخر يتصبب
عرقا كما لو كان قد جرى شوطا كبيرا - فقد ابتسم وتحول وجهه
من الصفرة الى احمراره الطبيعى •

وبمجرد أن رأى الميجر جوبولو مقعدا غير مزدحم ، ركع ، ثم
جنس بخفة عليه • وجلس المصلون كذلك • وسلك الاب بنشوفيكىو
صوته ، وعاد اليه اطمئنانه الذى كاد يفارقه • فقد حصل على
جمهوره ، وحصل على الميجر •

وتقدم القسيس خطوة الى الامام ثم قال : « لدى كلمه أقولها
لكم بهذه المناسبة » •

ثم سكت وانتظر قليلا . وساد السكون التام الكنيسة ، فيما
عدا صوت تنفس الميجر وزيتو .

وقال الاب بنشوفيكو : « يا أبنائي . ان كل ما يحدث في
هذا العالم هو من صنع الله . لقد منحنا الله القمح والشمس .
والله هو الذى أرسل لنا هؤلاء المخلصين بعد كل صلواتنا .
لقد استجيب صلواتنا ، وفر القوم الذين كنا نخشاهم الى التلال
التي منحها الله لهم - فى واسع مغفرته - ليختبئوا فيها .

وقد استرعى نظر الميجر جوبولو رأسان على المقعد الذى
أمامه مباشرة : احدهما رأس رجل أصلع ، والاخرى رأس
امراة شقراء .

واستمر الاب بنشوفيكو يقول : « ولكن كما تعلمون جميعا ،
أيا كان أصحاب السلطة ، فيجب عليكم أن تحترموا القوانين .
اذا ارتكب طفل خطأ عاقبه أبوه . واذا ارتكبتم أنتم خطأ ،
فسيعاقبكم حكامكم الجدد . فعندما تخرجون من الصلاة
اقرأوا الاوامر التي علقها حكامكم الجدد ، وانشروا النصيح للجميع
ليتبعوها بدقة » .

واستطاع الميجر جوبولو باماله رأسه قليلا أن يعرف الرأس
الصلعاء هي رأس ترجمانه جيوزيبي . ولم يستطع باماله رأسه
أن يرى وجه صاحبة الرأس الشقراء ، ولكنه استطاع أن يلاحظ
أن الشعر مسرح بتأنق شديد ، وليس به صفائر مهملة .

وقال القسيس : « أظنكم تذكرون أنه كان يقال لنا أن
الامريكان يهاجمون القسيس ، ويهاجمون النساء ويقتلونهن ،
وانهم جميعا بروتستانتيون . ولكن بيننا الآن أميريكيا من
أصل ايطالى ، يحضر صلاتنا ، ويحس نحو كنيسة « سان
أنجيلو » بمثل الحشوع الذى تحسون به . انه رجل مشغول
جدا . مشغول لدرجة أنه اضطر أن يجرى طوال الطريق ليصل
الى الكنيسة ! ومع ذلك فقد وصل متأخرا . ولكننا مسرورون جدا
لوجوده معنا » . (وتحدث الاب بنشوفيكو باحساس قوى) :
« مسرورون لانه واحد منا . ومن أجل هذا الرجل أعتقد أن
الامريكان أصدقائي . ويجب أن تعتقدوا ذلك أيضا يا أبنائي » .

ولاحظ الميجر جوبولو أن جلد العنق في أسفل الشعر الاشقر
أسمر ، وتسأل : هل شقرة الشعر طبيعية ؟ واستمر يفكر
في هذا الامر من وقت لآخر أثناء الصلاة التي تلت خطاب
القسيس !

وبعد انتهاء الصلاة خرج مسرعا ليتجنب الحرج الذي كان
ينتج من اختلاطه بالجمهور • وحرص على أن يبلغ جيوزيبى أن
لديه عملا يريد منه بعد الظهر ، واستطاع بذلك أن يلقي نظرة
على وجه الفتاة الشقراء •

الفصل الرابع

وفى اليوم الخامس من الغزو، وقفت جموع كثيرة الجلبة فى صف أمام مخبز « زابولا » . وكان بينهم نساء كثيرات يلبسن السواد ، وقليل من الرجال . وكانوا يتحدثون بصوت عال ، وكل يريد أن يجد له مستمعين .

قالت « كارولينا » زوجة « افرونتى » العربجى الكثير الجلبة : « انه ممتلئ نشاطا . لقد قال لزيتو الصغير أن يحضر للعمل كل يوم فى الساعة السابعة صباحا . وظن زيتو أنه لا يمكن لموظف أن يستيقظ مبكرا مثل هذا التبكير ، وذهب فى الساعة والنصف ، ولكن مستر ميجر قال له انه سيكون هناك حاجب جديد اذا لم يستطع الحاجب القديم أن يستيقظ فى الميعاد صباحا . »

وقالت « كارميلينا » زوجة « فاتى » الكسول التى كانت على رأس الصف ، بصوت مرتفع : « ليت زابولا الحباز يستيقظ مبكرا حتى يكون الحبز معدا الآن . »

وخرج « زابولا » الحباز وقد اسود وجهه من فحم الفرن الى واجهة محله ، وصرخ فيهم : « لقد استيقظ زابولا الحباز منذ الرابعة صباحا . واذا سمع زابولا الحباز انتقادا فمن المحتمل أن يعود الى فراشه ويترك الحبز يحترق ! »

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : « هل تذكرون كيف كان العمدة « ناستا » يعقد جلسات العمل ما بين الساعة الثانية عشرة والاولى كل يوم، أى فى الفترة التى نكون فيها مشغولين بأولادنا ؟ وكيف كنا نقدم بطلب كتابى لمقابلته ؟ »

وكيف كنا ننتظر عشرة أيام؟ وكيف كان يعاملنا اذا قابلنا؟
انكم الآن تستطيعون أن تدخلوا مكتبه فى أية ساعة تختارون •
وسكنت قليلا ثم قالت بلهجة مؤثرة : « انه يقف عندما تدخلون
عليه » •

وقالت « لورا سوفيا » التى لم تكن زوجة لاحد ، ولا ينتظر
فى سنها أن تصبح زوجة لاحد : « أ يحدث ذلك؟ أظن أننى سأذهب
لاقابله » •

وقالت « ماريا كارولينا » متهمكة : « بأى حجة تتذرعين ؟
الترمقينه بعينيك الساحرتين ؟ »

وقالت « لورا سوفيا » : بل لا قدم له شكواى ، شأنى فى ذلك
شأنكم ، وان لم يكن عندى كما عندكم فراش يقبع فيه الاطفال
كما تقبع الحنازير !

وقالت « كارملينا » زوجة « فاتا » الكسول : « ان أولادى
جوعانون ، ومن الخير أن يحصلوا على خبزهم فى الميعاد » •

وصاح « زابولا » الحباز من أعماق مخبزه : « ان أطفال بعض
الناس قد يظلون جوعانين اذا لم يحبس بعض الناس لسانهم ! »

ولقد كان « ماركوريو سالفاتورى » منادى مدينة « ادانو » فى
آخر الصف تقريبا • ومع أنه خفض صوته الى همس فى الحديث
الذى اعتاده ، فان جميع من بالصف سمعوه وهو يقول :
أريد أن أقول لكم شيئا • لقد سألته ان كان يمكننى أن أستمع
الى الراديو ، فقال لى : « ولم لا يا حضرة المنادى ؟ » وسألته :
أى المحطات أستطيع أن أصغى اليها : محطة الجزائر أم راديو
لندن المسمى ب • ب • س • ؟ فقال لى : « ان أحسن محطة
تسمع هنا هى راديو روما ، فلم لا تصغى الى الراديو المسموع
بسهولة ؟ » • وقلت له أتعنى ذلك ؟ ان راديو روما ضد
الامريكان ولا يذيع الا الافتراءات عليهم ' • فقال لى : « أيها
المنادى : اننى أحب الصدق ، وأريد منك أن تحبه أيضا • اصغ
الى راديو روما فستجد ثلاثة أرباع ما يذيعه كذبا ! أريد منك أن
تحكم بنفسك وتبحث عن الحق • وعند ذلك قد ترغب فى الاستماع
الى الاذاعات الاخرى التى لا تستطيع الآن سماعها جيدا » •

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : وهل
استمعت أيها المنادى ؟ • وقال « ماركوريو سالفاتورى » : « لقد
أصغيت واكتشفت أمس كذبة واحدة ولكنها كبيرة ! ان اذاعة
روما تقول ان القوات الإيطالية فى مدينة فيشينى مارى ردت
هجمات الحلفاء الشريرة • ونحن نعلم جميعا أن فيشينى مارى
وقعت فى قبضة الحلفاء من اليوم الاول لنزولهم الى البر » •

وقالت « كارملينا » زوجة « فاتا » الكسول : « سنصل الى
اليوم الخامس قبل أن نحصل على خبزنا من هذا الجباز زابولا !
وأساء « زابولا » أدبه على « كارملينا » بسبب ماقالته • فقد
تقدم اليها وقذفها بقطعة فحم ، وقال لها : « احرسى أيتها
العاهرة ! »

ولم تصب قطعة الفحم « كارملينا » ، بل صدمت « مرجريتا »
الهائلة فى بطنها ، فاندفعت تحرك قبضتيها الضخمتين • وعاد
« زابولا » الى فرنه كما لو كان لم يلاحظ من الذى أصيب بقطعة
الفحم •

وفى فترة الغضب هذه ، أقبل « جرجانو » رئيس البوليس
الى الصف • لقد كان الناس يسمون هذا الرجل « ابو يدين »
بسبب حركاته التمثيلية الدائمة بيديه • فقد كان فى نظر نفسه
- فيما يبدو - ممثلا ، اذ لم يكن يقول كلمتين من غير تحريك
يديه ! لقد كان يتقن ويستعمل جميع الحركات الإيطالية : اتصال
السبابتين والدائرة المكونة من الابهام والسبابة ، ورفع اليدين
علامة توقف ، وإشارة القرنين ، ووضع راحة اليد على الرأس ،
ووضع اطراف أصابع اليدين جميعها بعضها فى مقابلة بعض ،
وشبك الأصابع ، والتأشير باليدين مبسوطتين الى أسفل فى
حركة تشبه الربت على الرمال ، ورفع اليدين متصلتين بأسفلهما ،
ووضعهما على الصدر فى موقف الصلاة ، وإشارة السبابة علامة
الاتهام ، ورفع الأصبعين علامة النصر ، او تدخين السيجار ،
ووضع السبابة على الذقن ، ولف اليدين فى حركة دائرية • • كان
يستعمل هذه الحركات جميعها •

وعندما اقترب من الصف ظن الجميع أنه جاء ليعيد النظام •

وكان بعض الناس يشكون فيما اذا كان لا يزال محتفظا بسلطانه، ولكنهم أحسوا بأن الوقت غير مناسب للسخرية منه • ورأوا أن من الأفضل الانتظار لرؤية ما اذا كان سيقدم على القبض على أحد • ولكنه لم يقبض على أحد ، بل ذهب الى « كارميلينا » زوجة « فاتا » الكسول ، وحشر نفسه بينها وبين باب مخبز « زابولا » ووقف • ورأى الناس أن كل ما فعله هو أن يقف في أول الصف في انتظار نصيبه من الحبز •

ولكن « كارميلينا » التي ضايقها اصابتها بقطعة الفحم ، قالت بصرامة: « مسترجرجانو : لقد كنت رئيسا للبوليس في العهد السابق ، وكان ذلك يعطيك الحق في أن تقف في أول الصف ! ولست متأكدة من أنك لا تزال رئيسا للبوليس » •

وقال « جرجانو » مشيرا بيده بحركة تشبه التحية الفاشية : « أنا الرئيس » •

وقالت « كارميلينا » : انى أشك في ذلك • أين الدليل ؟

وقال « جرجانو » : أنظري بذلتى الرسمية ، ومرر سبابته من كتفه الى ركبتيه •

وقالت « كارميلينا » : ليس هذا بدليل • ان الامريكان لا يهتمهم كيف نلبس • اننى أستطيع أن ألبس لباس الارانب ولا يقبض على الامريكان !

وقال « جرجانو » : كفى صياحا أيتها المرأة والاقبضت عليك ، وقبض بيده اليمنى على رسغه الايسر بما يشير الى القبض •

وقالت « كارميلينا » : « أين سلطتك » ؟

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : « اننى أعتقد أن هذا الرجل لا يزال رئيسا للبوليس ، لان المستر ميجر يحتفظ بكثير من أوغاد الفاشيين في وظائفهم حتى يثبت أنهم لا يصلحون للعمل ، ولكننى لأعتقد أن من حقه تبعا للقانون الامريكى أن يأخذ مكانا في أول الصف • ومن هذه الناحية أعتقد « ياكارميلينا » أنك على حق • »

وقال « جرجانو » : « لقد كنت أقف دائما في أول الصف »

وسأستمر أفعل ذلك » • ومربسبابتة على طول الخط حتى
وصل الى رأسه حيث وقف ، وأشار بأصبعه الى الارض •

وصاحت « ماريا كارولينا » زوجة العر بجى الصخاب
« أفروننتى » التى سبق أن قبض عليها « جرجانو » : « لاحق لك
يا « أبو يدين » ان الامريكان لريسهوا بذلك » • وكانت
هذه أول مرة سمى فيها « جرجانو » بأبو ايدين « فى مواجهته !
ولم يفهم مغزى التسمية •

وخرج « جرجانو » من الصف وقال : « من الذى يرتاب فى
سلطتى ؟ وضرب يديه مقبوضتين احدهما فى الاخرى •

وصدمته « كارميلينا » زوجة « فاتا » الكسول التى كانت
قريبة منه بأن همست فى أذنه : « أنا أرتاب فى سلطتك » !

وحق هذه اللحظة كان « زابولا » الحياز واقفا أمام مخبره
مختارا لا يدرى أى السلطتين : القديمة أم الجديدة أحق بطاعته •
ولكنه كان متضايقا من « كارميلينا » لسخريتها منه ، وصاح :
اقبض عليها يا حضرة الرئيس ان كنت شجاعا ! »

وحق هذه اللحظة كان الرئيس « جرجانو » ، الذى لم يكن موقنا
من حقه ، يفكر فى الانسحاب بلطافة • ولكنه هوجم فى رجولته
وسلطانه ، فاندفع نحو « كارميلينا » وقال لها : « أيتها
المرأة ، أنك مقبوض عليك » •

وصرخت « كارميلينا » فى وجهه : « ارفع يديك الدائمتى الحركة عنى ! »
وقال له « زابولا » : هل ستترك هذه المرأة تسخر من
سلطتك ؟

وقبض « جرجانو » بيديه على « كارميلينا » ، وصرخت هى ، كما
أخذت النسوة من أول الصف لاخره يصرخن : « ليسقط رئيس
البوليس الفاشستى ! ليسقط أبويدين ! ليسقط الرجال الذين
يحشرون انفسهم فى اول الصف أمام النساء اللاتى انتظرن ثلاث
ساعات ! »

وسحب جرجانو كارميلينا وهي تصرخ وتقاوم ، بينما ازداد الصراخ المعادي للفاشية ولجرجانو ارتفعا . وحتى مركوريو سالقاتوري ، برغم أنه مناد بشغل وظيفة شبه رسمية ، وكان يتعين عليه أن يقف على الأقل محايدا ان لم يأخذ جانب جرجانو ، رفع عقيرته بصياح لا يخلو من احتياط وهتف :
« ليسقط الظلم ! »

ولما أدخل جرجانو كارميلينا الى مكتب الميجر «جوبولو» كانت لا تزال تصرخ ، ولكن الميجر وقف فجأة وصاح بحدّة : «سكوت أيتها الحشرة ! » وسكنت فجأة .

وسأل الميجر : ما الخبر ؟

وقال جرجانو : ان هذه المرأة هزأت بسلطتي ! . وأشاور بسبابته اليها .

وقالت كارميلينا : الامر أكثر من ذلك !

وقال الميجر جوبولو : سلطتك ! التفعل ماذا يا جرجانو ؟

وصاحت كارميلينا : سلطته ليقحم نفسه في أول الصف أمام مخبز زابولا !

وقال جرجانو : تلك مميزة كانت دائما من حق موظفي المدينة .

وقال الميجر جوبولو : أهذا ما كان يحدث ؟

وقال جرجانو : أننى اتهم هذه المرأة بالشوشرة والتعدي على سلطتي ! .

ولقد دل هذا على مكر جرجانو ، فقد رأى أن الامور تجري ضده ، ولذلك صبغها بالصبغة الرسمية لا الشخصية . وتعين على الميجر أن يبت في الامر بطريقة رسمية .

واتخذ الميجر قراره بسرعة أذهلت جرجانو ! فقد قرر في نفسه أن المرأة محقة ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك ، لانه

ان فعل عجز رئيس البوليس عن استرداد سلطته • وهو - أى الميجر - يريد أن يحتفظ به فى وظيفته • لذلك قال : أحكم على هذه المرأة بالحبس يوما واحدا مع إيقاف التنفيذ • فدعها تذهب يا جرجانو ، وادع جميع موظفى « أدانو » للاجتماع بى فورا •

ولما خرجت « كارميلينا » اتجهت فورا الى المخبز ، ولم يكن الخبز قد أعد بعد ، ورد الجمهور لها مكانها فى أول الصف ، وصاحوا يسألونها عما حدث وعما فعلوه بها ؟

وروت لهم كارميلينا ما حدث وقالت لهم : « هل سبق أن سمعتم عن حكم بسيط كهذا فى أدانو ؟ انى أعتقد فى سريرتى أن المستر ميجر آمن بآنى محقة • اذ ما معنى جمع الموظفين فى مكتبه ؟ أننى أعتقد أنه أيدنى • »

واجتمع الموظفون رويدا رويدا فى مكتب الميجر • وكان بعضهم فاشيين أبقوا فى وظائفهم ، والبعض الآخر موظفين جددا عينوا بدل الفاشيين الذين فروا الى التلال • وأخذ جرجانو يشرح لهم فى همس وحركات واسعة الاهانة التى لحقت به الى أن أمر الميجر بالسكوت • وأحاط الموظفون بالميجر فى دائرة ، ووقف يقول لهم : « اننى أريد أن تكونوا أصدقائى • ولهذا أعتبر من واجبى أن أقول لكم كل شئ أفكر فيه ، اذ أننا لانريد أن نجعل من أدانو مدينة أسرار وشكوك ! لقد كانت أدانو مدينة فاشيستية ، وهذا طبيعى ، لان اليلاد كانت كذلك • ولكن الآن وقد جاء الأمريكان ، فأننا نريد أن تحكم هذه المدينة بطريقة ديمقراطية • وقد لا تعرفون : ما هى الديمقراطية • فسأشرحها لكم ! »

« ان الديمقراطية معناها أن رجال الحكومة ليسوا سادة الشعب ، بل هم خدامه • ما الذى يجعل الرجل سيد رجل آخر ؟ هو أنه يدفع له أجره عن العمل الذى يؤديه له • ومن الذى يدفع أجور رجال الحكومة ؟ هو الشعب لانه يدفع الضرائب التى منها تحصلون على رواتبكم • »

« وإذا فأنتم الآن خدام سكان مدينة أدانو • وأنا أيضا خادهمهم •
و حين اذهب لأشترى خبزا فسأقف في مكانى فى آخر الصف
وأنتظر دورى • وأنتم أيضا يجب أن تتصرفوا كخدم لا كسادة •
يجب أن تتصرفوا كخدم للرجل الحافى كما تفعلون للبارون •
فاذا وجدت أن أحدكم لا يؤدى الخدمات بالشكل الذى أريده
فسأستغنى عنه • »

« تذكروا أنكم خدام سكان «أدانو» ولاحظوا أنكم ستتحسون
من ذلك بسعادة لم يسبق لكم ان شعرتم بمثلها • »

الفصل الخامس

وأخيرا ، وبعد يومين أو ثلاثة، وجد الميجر نفسه وحيدا مع مترجمه جيوزيبى . وقال له: هل عندكم يا جيوزيبى فى هذا الجزء من البلاد شقراوات طبيعيات ؟

وغمز جيوزيبى بعينه بلوم ، وقد فهم مغزى السؤال : اذن فلك عينان أنت أيضا يا حضرة الرئيس ؟

وقال الميجر ببرود : هل لديكم شقراوات طبيعيات فى هذا الجزء؟

وقال جيوزيبى : أظنك لاحظت الشقراء التى كانت بجوارى فى الكنيسة يوم الاحد الماضى ياسيدى الرئيس ؟

وقال الميجر بخشونة : أجب عن سؤالى .

وأجاب جيوزيبى : فليكن يا سيدى الرئيس . ان الشعر الاشقر طبيعى فى الشمال ، أما هنا فليس طبيعيا .

- ذلك ما ظننته !

وعاد الميجر الى مكتبه . وتردد جيوزيبى وتشاغل قليلا ثم قال: سيدى الرئيس . وأجاب الميجر فى شئ من الحدة: ماذا يا جيوزيبى؟

- ان كان الرئيس يحس بالوحدة فان جيوزيبى يستطيع أن يحدد موعدا . . . ربما مع صديقه الشقراء !

وقال الميجر جوبولو : من قال اننى وحيد ؟

وقال جيوزيبى : يا سيدى الرئيس . لقد كنت فى «كليفلاند أوهايو» وأعرف بما يشعر به الانسان حين يجد نفسه بعيدا عن وطنه . ان المرأ يشعر بالوحشة !

وقال الميجر : ليس لدى وقت لأحس بالوحدة • أننى مشغول
الآن يا جوزيبي •

- نعم يا سيدى الرئيس •

وبعد أن اشتغل الميجر جوبولو بعض الوقت قال : جيزيبي !

- نعم يا سيدى الرئيس •

- من هذه الشقراء التى كنت معها يوم الاحد الماضى ؟

واحتاط جيزيبي هذه المرة ليبدو جادا ويجيب عن سؤال
الميجر بدقة : اسمها « تينا » ، وهى ابنة « توماسينو » ، وهو
صائد سمك •

- صياد سمك ؟ هل هو صياد ماهر ؟

- أحسن صياد يا سيدى الرئيس •

- هل يحترمه الصيادون الآخرون ؟

- بلا شك • انه خيرهم •

- حسنا • أريد أن اراه •••

ولم يستطع جيزيبي هذه المرة الا أن يغمز بعينه ، وقال :

بلا شك يا سيدى الرئيس ، سأحضره •

وقال الميجر جوبولو : أدعه ليقابلنى فى أوائل الاسبوع

المقبل • أريد أن يبدأ الصيادون فى الخروج الى البحر من جديد ،

فالسماك يكمل توريدات الطعام • وأنا متأكد من أننى سأحصل

على اذن البحرية فى أول الاسبوع المقبل •

الفصل السادس

لأدرى مدى مايسرفه القراء عن الجنرال « مارفن » ! وبما هم لا يعرفون الا ما قرأوه عنه في صحف يوم الاحد . وقد يظنونه أحد أبطال الغزو : الرجل المرح ، مدخن البيبة ، المطلع على خفايا التاريخ ، الممتلئ حوكة ، حامل الخرط ، الرجل الذي لا يزال يلبس المهماز بالرغم من انه يتنقل في سيارة مصفحة ، الرجل الذي يطلق اثنتى عشرة طلقة من مسدسه كل يوم قبل طعام الافطار ، الرجل الذي يستطيع أن يذكر اسم بطل وتاريخ كل غزوة غزت ايطاليا منذ بدء التاريخ ، والد فرقته ، ومنقذ ايطاليا المحبوب !

ولا اوم عليك اذا كونت لنفسك صورة كهذه ، فلن تعرف الحقيقة الا من الشبان الذين يعودون الى أرض الوطن ويبارحون المستشفيات الى بيوتهم . ومع ذلك فالحقيقة تبتتر في أفواههم بسبب ما يحسون به من غضب .

أما أنا فاستطيع أن أقول لكم في هدوء تام : ان الجنرال « مارفن » أثبت خلال الغزو أنه رجل سوء أسوأ من الناس الذين كانت جنودنا تسعى لقهرهم .

ما كاد يمر على الغزو سبعة أيام حتى كان يسير سيرا حسنا ناجحا . فقد أمن الامر يكان نقط ارتكازهم ، وصدوا هجوماعنيفا ، ثم بدت جنودنا تتقدم على طول الخط (١)

وفي الصباح السابع كان الجنرال « مارفن » متجها بسيارته في طريق فيشينا ماري ، ووصل الى مدينة ادانو . وكان سائقه

يضطر من وقت لآخر طوال الطريق الى أن يهدى سيره خلف عربات ايطاليا الصغيرة ذات العجلتين ، كى تمر السيارات المواجهة ، وبعد ذلك يجتاز العربات . وكلما مر على عربة كان الجنرال يشير بعضا الركوب التى فى يده الى أن على العربات أن تخلى الطريق . ولكن الطريق لم يكن به متسع الا الحفر الممتدة على طوله ، فلم يكن فى استطاعة العربات اخلاء الطريق . وأخذ الجنرال يقضب ثم يزداد غضبا . ولقد حدث عندما اقترب من الهر الاحمر بالقرب من أدانو ان اضطرت عربة الجنرال المصفحة لتهدئة سرعتها ، لان عربة كانت تسير أمامها فى وسط الطريق . ووقف الجنرال فى عربته وصرخ بصوته العميق المبحوح ، (ذلك الصوت الذى قرأت عنه فى الصحف ، فهو مشهور ، وقد وصفه أحد الكتاب بأنه نفير يتحدث !) : لعنة الله عليك أيتها العربة ! تنحى عن الطريق .

ولسوء الحظ كان قائد العربة شخصا يدعى « ارانتى جايتانو » ، وكان قد باع فى صباح ذلك اليوم ثلاث دسست من البيض لجنود أمريكيان بأربعة عشر ضعفا من ثمنها الاصلى ، وأغرق أغلب ما ربحه فى نبيذ صديقه « متاليانو » ، وكان فى تلك اللحظة يستمتع فوق عربته بنوم عميق سعيد ! لقد كان فى تلك اللحظة ذاتها يحلم بأنه يتلذذ بأكل أحسن قطعة من سمكة هائلة طولها تسع أقدام ! وطبعاً يلقى بالا لصوت الجنرال « مارفن » برغم شهرته لانه لم يكن بقادر على سماعه .

وصرخ الجنرال « مارفن » فى سائقه : اضرب النفير وألق بابن الزانية هذا خارج الطريق .

وكان السائق شابا لطيفاً من ماشاشوست ، فضغط على كره منه زر النفير ! . . لم يكن متعجلاً ، وكان يعلم أنه أيا كانت السرعة التى يسيرون بها فان كل ما سيحدث له بعد وصولهم هو أن ينتظر .

ولم يحدث صوت النفير أى أثر فى عقل « ارانتى » وان كان

صوتا مزعجا . . . واستمرت العربية في وسط الطريق !
ذلك أن بغل « ارانتى » كان دابة حذرة محتاطة للحفر التي
على يمين الطريق والتي على يساره . وكانت تلك من صفات
بغل « ارانتى » التي طالما باهى بها أصدقاءه . وكان يقول :
لأأريد بغلا منحرفا ، إنما أريد بغلا عنده فكرة توسط الطرق !
وفكرة السير في وسط الطريق هذه ستكون السبب في فقد
بغله ، لأن وجه الجنرال « مارفن » بدأ يسود ، وأخذت بعض العروق
التي لم يحرص الكتاب على وصفها تتلوى وتدق في جبهته !
وصاح : لقد ضقت ذرعا بهذه العربات اللعينة - وكان واقفا
في العربة يشير بعصا الركوب التي في يده : هل يظنون أنهم
سيعطلون الغزو الملعون بهذه العربات الملعونة ؟

واستمر « ارانتى » في نومته الجميلة ! لقد وصل إلى الجزء
الرمادي من السمكة تحت الاضلاع . وأخذت السمكة
تذوب في فمه ، في الحلم ، ولكنه سمع صوتا يشبه الرعد من
بعيد . لذلك بدا له في الحلم أن يغطي السمكة ، ويعود لاكل
الباقى منها بعد توقف المطر !! وصرخ الجنرال « مارفن » :
أیظن هؤلاء الايطاليون أولاد الكلب أنهم سيوقفون مجموعة
من الدبابات اللعينة بعدد من هذه العربات الخشبية اللعينة ؟

ولاحظ الكولونيل « ميدلتون » رئيس أركان حرب الجنرال
واللفتنان « بيرد » ياوره قرب انفجار عاصفة غضب الجنرال .
ونظر اللفتنان « بيرد » إلى الطريق وراءه ، فلم يقع نظره
على مجموعة - الدبابات اللعينة ، وكل مارآه معطلا خلف الجنرال
عبارة عن سيارة جيب مائية لا يبدو عليها أنها تريد التعجل .
وجاءت العاصفة ، وصرخ الجنرال : ألقوا بهذه العربة خارج
الطريق !

واصفر وجه الكولونيل « ميدلتون » واللفتنان « بيرد »
والشباب الطريف من ماشاشوست ، ولكن لم يكن في وسعهم الآن
أن يطيعوا ! وأوقف السائق السيارة ، وخرج الثلاثة وأوقفوا

الجيب البحرية ، وضمو اليهم » الجايشية » الثلاثة الذين كانوا بها ، وقد عقدت الدهشة ألسنتهم . ومشى الرجال الستة فى الطريق وصوت غضب الجنرال مارفن يرن فى آذانهم ، ولم تكن بهم حاجة للجبرى ليلحقوا بالعربة فقد كان من صفات بغل ارانتى التى كان يحبها فيه أنه طيب وبطى ! وكان يقول : انه بغل يعيش فى الحاضر ولا يبرطع دائما فى المستقبل ! •

واضطرب » ارانتى » فى نومه . لقد كان الرعد الذى يسمعه فى منامه جميلا ومستمرالم يسبق له أن سمع مثله . وأحاط الرجال الستة بالعربة . وأراد الكولونيل » ميدلتون » أن يوقظ » ارانتى » . ولكن صراخ الجنرال ازداد عنفا : ماذا تفعلون ؟ لقد قلت لكم أن تلقوا بهذه العربة الملعونة خارج الطريق !

وأجاب الكولونيل » ميدلتون » : كنا نريد ايقاظ هذا الرجل وانزاله من العربة - ولكن صوته كان ضعيفا لعلمه بما سيكون الرد .

- انه يستحق • ألقوه هو أيضا • اقبلوا العربة • ولم يعترض أحد الرجال الستة ، وكان الشيء الوحيد الذى قيل هو ما همس به اللقنانت » بيرد » : ان العجوز لم ينل حظه من النوم أخيرا •

وأمسك الكولونيل » ميدلتون » برأس البغل وأداره نحو جانب الطريق ، وأشار على الحمسة الآخرين بأن يتخذوا مراكزهم بالجانب الايسر من العربة ويرفعوه عندما يعطيهم الإشارة •

وصرخ الجنرال » مارفن » : أسرعوا ! انتهوا ! يالكم من مجموعة ضعاف ملاعين •• خلصونى !

وأعطى الكولونيل » ميدلتون » الإشارة • ورفع الرجال الحمسة ، العربة •

وارتفع « ارانتى » فى حلمه فوق السمكة ذات تسع
الاقدام ، وطار فى الهواء ! وكان احساسا لذيذا !

وسمع للعربة صوت يشبه الانين ، وتفتت العجلة اليمنى
تحت محورها وسقطت العربة ببطء فى الحفرة ، والتوى
العريشان ، وأوقعا البغل ! وصرخ البغل الذى كان طول
حياته يتجنب الحفر ، اذ رأى نفسه يقع فيها .

واصطدم « أرانتى » بقوة بالارض . واستيقظ ، ولكنه
بسبب دوخانه وسكره ودهشته وغياثة المعتاد لم يستطع الا أن
يصرخ متألما .

وكان الجنرال « مارفن » هو الآخر مستمرا فى صراخه :
يستاهل ابن الكلب . لقد كان يوقف المرور محاولا تعطيل
الغزو ! واندفع الغيظ من جديد الى رأس الجنرال ،
وصاح : « ميدلتون » ! اقتل هذا البغل اللعين .

وجمد الدم فى عروق الكولونيل « ميدلتون » ، وقال : أتظن
ان ذلك من المستحسن ياسيدى ؟

وصاح الجنرال : ما هذا : ياللجنة . ما هذا ؟

وكان الكولونيل يعلم أن لفائدة ، ولكنه صاح : قلت هل
تظن أن ذلك من المستحسن ياسيدى ؟

ان محاولة التفاهم مع أى رجل ، وخاصة مع هذا الرجل ،
على مسافة مائتى قدم ، وبأعلى صوت ، أمر غير منتج . وصاح
الجنرال : ما هذا « يا ميدلتون » ! أتحاول أنت الآخر تعطيل
الغزو ؟ افعل ماقلته لك !

وأخرج الكولونيل « ميدلتون » مسدسه ، وأطلق ثلاث
رصاصات على رأس البغل الذى كان يجعر .

وصاح الجنرال « مارفن » : فلنذهب فأننا لانستطيع أن
نمضى اليوم كله هنا !

عاد الرجال الى عربتهم المصفحة والى الجيب المائي • ولا
بدأوا السير قال الجنرال مارفين : لا بد من اعطاء درس لهؤلاء الناس •
سر بنا الى عمدة هذه المدينة الملعونة • ما اسم هذه المدينة ؟
وساروا تاركين « ارافتى » يبنى بجوار بغله ، وقد أحاط
بذراعيه رقبة البغل الذى كان يحب وسط الطريق ويكره
السرعة !

ووقفت عربة الجنرال المصفحة أمام سراى المدينة • وجرى
اللفتانث بيرد فاخترق الرصيف العريض ، وصعد فى درجات
السلم الرخامى ، واندفع الى مكتب الميجر جوبولو ، وقطع على
الميجر حديثه مع جرجانو رئيس البوليس :
ان الجنرال مارفن بالباب ويريد أن يتحدث اليك فيحسن
بك أن تسرع •

وقال الميجر جوبولو : الجنرال مارفن ! • • • وخلا صوته من
كل • • • على السرور ، فانه وان لم يكن قد سبق أن رأى
الجنرال فقد سمع عنه •
- أنا نازل فوراً •

واستدار الليفتنانت بيرد وجرى على السلم عائداً • أما
الميجر جوبولو فأخذ يرتب أوراقه على المكتب وهو شارد الفكر ،
ثم وقف واتجه الى خارج غرفته ، وأدرك وهو فى وسط السلم
الرخامى أنه لا يرتدى لباسه الرسمى ، وكان قد سمع الكثير
عن تمسك الجنرال « ارفن » بالرداء الرسمى ، بينما هو
يلبس بنطلوناً وردياً وقميصاً كاكيا ، وكان يجب أن يكون
مرتدياً الملابس الصوفية • وأخذ شعور فجائى بالخوف •
فاستدار وأخذ يصعد فى درجات السلم ، لا يدري ماذا يفعل •
وكيف يستطيع أن يلبس الملابس اللائقة •

واقترب الكولونيل « ميدلتون » فى أسفل السلم وصاح به :
ماذا تقصد بتركك الجنرال ينتظر ؟

وأجاب الميجر جوبولو :هاآندا آت ياسيدى •
ولم يكن أمامه ما يستطيع أن يفعله الا أن يهبط درجات السلم
مسرعا •

وعندما وصل الميجر جوبولو الى السيارة المصفحة كان الجنرال
حالسا رافعا ذراعه اليسرى أمامه محققا فى ساعة يده •
وحى الميجر جوبولو بالتحية العسكرية ، ولكن الجنرال صرخ
فى وجهه: دقيقة وعشرون ثانية! لقد جعلتنى أنتظر دقيقة وعشرين
ثانية ! يا لعنة ! أتظن أن على أن أنتظر طول النهار ؟ من
أنت ؟

- الميجر جوبولو كبير ضباط الشئون المدنية بمدينة أدانو
باسيدى •

وتذكر الجنرال العربية ،ويبدو أن الغضب قد بلغ منه مبلغا
جعله لا يلاحظ لباس الميجر جوبولو •

- لعنة الله على هذه العربات الايطالية يا ميجر ، انها تعطل
غزونا • ابقها خارج المدينة • لا تترك أى عربية تمر من هذا
الكوبرى فى طريقها الى المدينة • ما اسم هذه المدينة اللعينة على
كل حال ؟

- أدانوا ، يا سيدى ، مدينة أدانوا •

- أدانوا • امنع دخول العربات هذه المدينة • هل سمعت ؟

- نعم يا سيدى ، سأهتم بذلك فورا •

وصاح الجنرال : فورا ؟ هذا ليس بالسرعة الكافية عندى •

- يا سيدى ، سأصعد فورا وأدعو رجال البوليس الحربى وأنبه
عليهم •

- هذا لا يكفى ! يا لعنة ! اننى أريد عملا ، أريد حركة •

لاعربات بعد الآن • ان اسم المدينة ادانو • تذكر ذلك
ياميدلتون • أدانوا • لاعربات بعد الآن يا ميجر ، هل فهمت ؟

العمل • أريد عملا • فلنذهب لنبتعد من هنا • هل تظنون أنني سأصرف اليوم كله هنا ؟ •

وقبل أن يتمكن الميجر من التحية ، كانت عربة الجنرال المصفحة قد انصرفت • وعندما وصل الميجر الى مكتبه كان قد قدر النتائج المترتبة على منع العربات من دخول المدينة • انه ليعلم حق العلم مدى ضرورة العربات لحياة المدينة •

ولذلك أدار آلة تليفون الميدان الموضوع على مكتبه بقلب حزين ، وطلب الكابتن بيرفيس رئيس البوليس الحربى باذانوا ، وأمره - باسم الجنرال مارفن- أن يمنع دخول العربات مدينة أذانوا وأن يوقفها عند الكوبرى شرقا وعند مصنع تكرير الكبريت غربا !

ثم نادى حاجبه زيتو وأمره بدعوة جميع موظفى المدينة الى مكتبه • وكان جرجانو رئيس البوليس حاضرا • وبين الآخرين « بلانكا » الموثق العجوز الامين الذى اختاره جوبولو عمدة ، وقد حضر أول من حضر • لقد كانت عيناه حزينتين شأن الرجل الذى تعذب بسبب أمانته سنين طويلة وسط الفساد • وكان يلبس بزة ورباط عنق أسودين كعادته • ثم جاء بعده « داربا » وكيل العمدة الذى يشبه العرسلة ، و « تاجليا فا » ماريشال المالية ، و « ماركوريو سالفاتورى » المنادى صاحب الصوت العالى ، وسكرتير الميجر جوبولو فى شئون البلدية ، الرجل الصغير المدهن « بانتيلكونى » والسيدة « كارميلينا سبيناتو » ذات الرأس البضاوى ، ضابطة الشئون الصحية المتطوعة ، و « روتوندو » ملاحظ البوليس ، والرجل المكلف نظافة شوارع المدينة ، أكثر رجال المدينة نظافة ، « سايتتا » فى رداء أبيض •

فلما اجتمعوا وقف الميجر جوبولو أمام مكتبه وقال : لقد وعدت أن أفضى اليكم بكل اجراء هام تقرره السلطات الامريكية هنا ، فأنا لا أريد أن تصبح هذه المدينة مكانا للأسرار • ففى الحكم الديمقراطى يتعين أن يعرف كل انسان ماهو حاصل

بقدر الامكان • لقد قررت السلطات الامريكية - بسبب
الضرورات الحربية - ألا يباح منذ الساعة دخول العربات التي
تجرها البغال الى شوارع المدينة ...

ولمح الميجر جوبولو سامعيه وقد غص ريقهم من الخبز ،
فأضاف : لست سعيدا لاضطراري لانهاء هذا الخبر اليكم • انها
الضرورات الحربية • وأنا آسف ! هذا هو الموضوع •

واستدار موظفو ادا نوا أسفين في طريقهم للخروج • ولم
يحتجوا • لقد تعلموا خلال سنوات الحكم الفاشستي أن
يخفوا اعتراضهم • ولكن الميجر جوبولو أحس بأنهم ليسوا
معه ، وانهم لأول مرة منذ تسعة أيام ضده •

وقبل أن يصل أولهم الى باب المكتب قال الميجر لهم : أريد أن
أقول لكم انني سأفعل كل ما في وسعي لالغاء هذا القرار الظالم •

وعندما خرج موظفو ادا نوا من مكتب الميجر جوبولو كانوا
لا يزالون يشعرون بالحزن ، ولكنهم كانوا معه ، واشتغل الميجر
طول يومه بالتفكير في موضوع ذلك الامر وما يستطيع عمله في
شأنه ، وفام ليلته قلقا بفكر في الموضوع •

وفي الصباح دخل عليه زيتو الحاجب وقال له : يامسترميجر ،
هنا ثلاثة رجال يريدون مقابلتك بخصوص العربات ... ولانه
كان قلقا بخصوص هذا الموضوع رد الميجر في حدة : وماذا
يريدون مني بخصوصها ؟

وأجاب زيتو : ذلك أمر يريدون أن يقولوه لك ولم يفضوا
الى به •

- دعهم يدخلوا •

وكان مظهر الايطاليز الثلاثة يدل على أنهم فقراء ، ولكنهم
محترمون وكان مجيئهم لمقابلة الميجر يحمل في طياته شعورا
ديمقراطيا سليما • لقد كانوا مندوبي جميع ائقي العربات ،
جاءوا يتحدثون الى الميجر في أمرها • لقد كان ثلاثتهم يلبسون

معاطف قديمة ، ولكنها نظيفة، ويمسكون قبعاتهم بين أيديهم .
وأحضر زيتو ثلاثة كراسى ، فجلسوا فى نصف دائرة فى
مواجهة الميجر

وأشار الميجر بقلمه الى أحدهم وقال له : ما أسمك ؟ - وكان
الرجل فى نحو الستين ، أبيض الشعر ، تدل ملامح وجهه برغم
ما فيه من تجاعيد على فتوة الشباب . فوقف يدير قبعتـه بين يديه
القويتين وقال بصوت مرتفع : أفرونتى بيترويا سيدى الميجر .
ثم حيا الميجر بالتحية الفاشستية .

وقال الميجر : تكلم هنا بهدوء ، فلست أصم .
ثم اتجه الى الشخصين الآخرين وسألهما : هل بكما صمم ؟ وقال
الاثنان : لا ، يامستر ميجر .

فقال الميجر للرجل ذى الصوت المرتفع : اذن تكلم بهدوء . ما الذى
تريده ؟

وقال الرجل العجوز محاولاً أن يحتفظ بانخفاض صوته : أريد أن
أناقش موضوع دخول العربات لمدينة ادانوه أريد أن أقول لك
ياسيدى الميجر ان هذه العربات عزيزة جداً علينا . أريد أن أحدثك
عن عربتى . أنها ذات عجلتين من الخشب ياسيدى الميجر . .

وقال الميجر : لقد رأيت هذه العربات ، فلا حاجة بك لوصفها .
وحيا أفرونتى العجوز التحية الفاشستية مرة ثانية ثم قال له :
ولكن هل سمعت الموسيقى التى تنبعث من تلك العجلات يامستر
ميجر ؟ ان العجلتين الخشبيتين من عربتى تغنيان لى . انهما لاتغنيان
غناء فاشستيا يامستر ميجر . انهما لاتغنيان مارشاً حربياً . قد
تظن أن تلك الموسيقى مجرد صرير ، ولكننى أنا أستطيع أن أسمع
ما تريد العجلات أن تغنيه !

وقال الميجر : اننا مهتمون الآن بمسألة ما اذا كان يجب أن
تخترق هذه العربات أو لا تخترق الكوبرى الى ادانو . وعندما تضع

الوقت فى هذا الكلام تضيع وقت زملائك المنتظرين خارج هذا الباب •

وحيا أفرونتى تحية فاشستية أخرى وقال فى صوت أكثر ارتفاعا : لقد قدت عربتى ذات يوم فى الصيف الماضى طول الطريق الى « جيوفادى مونتى » ، وكانت العجلتان تغنيان طول الطريق أغنية هى فى الوقت نفسه تنبؤ !...

ولم يرد أحد من أصدقائى أن يصدق تلك الاغنية • هل صدقتما باصديقى ؟ - والتفت الى الرجلين الآخرين ، وهز الرجلان رأسيهما ولكن ملامحهما كانت خالية من أى معنى لأنهما كانا يفكران فيما بنتويان قوله •

وأخذ صوت أفرونتى يرتفع شيئا فشيئا كما لو كان فى العراء : أريد أن تسمع ذلك الغناء يامستر ميجر ؟

وقال الميجر : لا ، من فضلك ، تكلم فى الموضوع •

وتقهقر أفرونتى خطوتين ، وحل أزرار معطفه ، وأمسك بقبعته مادا ذراعه لآخرها ، وغنى ... لم يكن غناء ، ولكن صوته أخذ يعلو ويعلو وهو يقول :

« الأمريكان آتون لهننا ياسينيور أفرونتى ... »

« الأمريكان قوم عادلون ... »

« وبخاصة مع العربات ... »

وقال الميجر جوبولو : لاتسخرمنى أيها العجوز • فليس لدينا وقت للسخرية هذا الصباح • اننى أريد مساعدتك ان كان عندكم شئ معقول تطلبونه منى • فتكلم فى الموضوع •

وصاح أفرونتى : لقد توقفت الموسيقى ولم تعد هناك أغان •

وقال الميجر : أرجوك ، لاتصرخ هنا • يبدو أنك تظن أن الأمريكان جميعهم صم ! اننا لسنا صما • فلا تصرخ •

وقال أفرونتى بهدوء تام : لقد توقفت الموسيقى ولم تعد هناك

أغان يا سيدى الميجر • شكرا لك يا سيدى الميجر • - ثم جلس
فجأة •

ورفع الميجر قلمه وأشار الى الرجل الثانى وقال له : وأنت ؟
ما اسمك ؟

وكان يبدو على ذلك الرجل الغباء ، وكان خجولا فى طريقة
وقوفه ، ولم يكن يدير قبعته فى يديه كما كان يفعل الآخرون • •
وكان صوته بطيئا ، واحتاج لأن يفكر طويلا قبل أن يقول اسمه •
واخيرا قال : « اربا كارلو »

- وماذا تريد ؟

وتوقف « اربا » وأخذ يفكر • ونظر الى تمثال القديسة حامل
التلفون • ونظر الى علامة الصليب الاحمر على صدر الاميرة مارى
جوزيه • وفكر ثم فكر ، ولكنه لم يستطع أن يتذكر ما يريد
أن يقوله ! لقد نسى حديثه تماما •

وبعد فترة مربكة ترك الآخرون التفكير فيما يريدان قوله ،
وتقدما لمساعدة « اربا » • وقال أحدهما : قل له عن عربات الماء •
وتنهذ اربا الصعداء : اننى أريد أن أتحدث عن عربات الماء •
- ما الذى تريد أن تقوله ؟

ونظر اربا الى الصورة الكبيرة المعلقة فوق الميجر • وأخذ يدرس
تفاصيل الرسم • ولكنه لم يستطع أن يتذكر ما هو الذى
يريد أن يقوله عن عربات المياه •

وقال صديقه الآخر : صف عربتك يا اربا •

وقال اربا : أنها عربة كبيرة ، قدرة من الخارج ، ولكن باطنها
نظيف • وهى تملأ بالماء ويشرب أصدقائى الماء •

وبعد هذا المجهود الشاق تصيب وجه أربا عرقا ، وبداعليه
العجب والانتصار ، ولكنه أحس بصعوبة ما هو أت ، ونظر الى
صديقيه يطلب منهما العون •

وكان الميجر جوبولو يتميز غيظا ، ولكنه كتم غضبه وقال :
نعم يا صديقي حدثني عن عربات الماء . لقد كانت هذه احدى
صفات الميجر ، تظهر بين الفينة والفينة . لقد كان صبورا جدا
مع من يصعب الصبر عليهم ، ولم يكن يطيق صبرا على من يحاولون
اضاعة وقته .

وقال واحد من صديقي اربا : العطش . العطش الشديد !

ونظر اربا الى الميجر بنظرة مزحة تكذب جدية ما هو مقبل
على قوله . لقد كان مرحا لانه تذكر ما كان قد استعد لقوله :
أنكم لا تسمحون لعربتي بدخول أدانو . ولكن اذا لم تدخل عربتي
وباقى عربات المياه ، فان أدانو تحرم من الماء ، ويأخذ العطش
منها كل مأخذ ، وقد ازداد العطش منذ الساعة الحادية عشرة من
صباح أمس . . . أن كارميلينا زوجة فاتا الكسول تقول ان ابنتها
متموت من العطش . وكل ذلك بسبب الكوبرى . .
والعربات . . . و . . .

واستنفذ اربا ما عنده من حديث ، كما استنفدت المدينة ما بها
من ماء . والتفت الى صديقيه وقال احدهما : تحدث يا اربا
عن الأمر الصادر بضرورة النظافة . .

وقال اربا : أجل . الأوامر . . ان فى أحدها يا مستر ميجر
وقد نسيت رقمه لكثرتها . . هل للرقم أهمية يا مستر ميجر ؟
- لا يا اربا وأنا آسف لكثرة الاوامر . . ثم التفت الميجر الى
صديقي اربا ، الاكثر منه نباهة ، والاقدر على تفهم الامور فقال :
انها غلطة السلطات ، ولم أكن أريد أن أعلق أوامر بهذه الكثرة
. . انها ليست غلطى . اننى آسف . . وليس للرقم أهمية
يا اربا .

وقال اربا : ليس للرقم أهمية . ان الأمر يقول ان النظافة
ضرورية ، وان الناس يجب أن ينظفوا أنفسهم بالماء ، وان
الشوارع يجب أن تكون نظيفة . شوارعنا التى بقيت كما هي
منذ زمن . . منذ زمن من يا افرنتى ؟

وقال أفرونتى : منذ زمن « بيترودى اراجونا » و « روبرتو » ملك نابولى .

وقال اربا : لقد بقيت الشوارع كما هي . والآن تطلب الاوامر تنظيفها بالماء ! لقد تراكت القاذورات فى الشوارع منذ ذلك الوقت الذى تحدث عنه أفرونتى ، وتنظيفها يحتاج للكثير من الماء ، وعربتى فى الناحية الاخرى من الكوبرى يا مستر ميجر .

وقال الميجر جوبولو : ان النظافة مهمة جدا يا اربا . لنجعل ادانو أنظف مدينة فى منطقة فيشينى مارى .

واعجب اربا بالفكرة ، ولعلت عيناه سرورا وهو يقول : سنفعل ذلك يا مستر ميجر ولو كانت القاذورات قد تراكت من عهد عيسى المسيح ! ثم انطفا بريق عينيه اذ يقول : ولكن عربتى بالناحية الاخرى من الكوبرى ، وقد قلت انها لا يمكن أن تمر . وقال الميجر : ليتكلم الشخص الثالث . أنت . ما اسمك ؟ وأشار بقلمه الى ثالثهم .

وقال اربا : شكرا يا مستر ميجر - وقفز الشخص الثالث واقفا . لقد كان يدينا ، ولكنه حسن المنظر . التصق شعره برأسه بمادة لعلها مأخوذة من شحم عربته ، وكان معطفه الاسود أجد معطف . وقال : « بازىلى جيوفانى » يا مستر ميجر - وماذا تريد ؟

وتكلم بازىلى بتؤدة وتصميم : ان أخطر ما فى موضوع العربات يا مستر ميجر هو الطعام . انك ترى اننى رجل يستطيع أن يتحدث فى موضوع الطعام بمعرفة (ثم مور يده على بطنه ليبين ضخامتها) . أن موضوع العربات هذا لا يؤذنى . اننى أشبه برجل له رصيد فى البنك . عندى ما أستطيع أن أسحب منه فى أوقات الشدة ! ولكن هناك آخرين فى أدانو ليسوا سعداء مثلى . : « جالىتو بارتولوميو » نحيف بحيث تستطيع أن تعد أسنانه ، وشفته عبطتان . ولزوجة

« مانيتو » المسماة « رافاييلا » تسعة أولاد بطونهم كبيرة . ولكن انتفاخ بطونهم آت من غازات الجوع التي تملؤها ! هل أذكر لك آخرين نحافا جدا ؟

وقال الميجر : لا . استمر في موضوعك .

وقال بازيلى : أنا المكلف التحدث اليك عن الطعام والعربات . أنك لم تشاهد عربتى يا مستر ميجر . هل رأيتهما ؟ - قد أكون رأيتهما ، فقد رأيت كثيرا من العربات .

وقال بازيلى : أظن أنك كنت تتذكرها . انك تعرف كيف أن بجميع العربات صورا مرسومة على جوانبها ، صور قديسين ، وصورا من تاريخ أدانو ، وصورا لحوادث الهامة التي وقعت فى مقاطعة فيشيننا مارى .

وقال الميجر : أقول لكم انكم لستم فى حاجة لوصف هذه العربات . لقد رأيت عددا كبيرا منها . وبدأت أتضايق من موضوعها .

وقال بازيلى : ولكنك يا مستر ميجر لم تر عربتى . أن على جوانب عربتى أربعة مناظر ، كلها مأخوذة من التاريخ المقدس ، وكلها تدور حول الطعام . منها معجزة الارغفة والسمكات ، ومنها الغداء الاخير . . وهناك جرة الارملة التي لم تكن تفرغ من الطعام مهما كانت الكميات التي تخرجها منها ، وهناك العرس حيث تحول الماء الى نبيذ . وجميع الاشخاص فى جميع هذه الصور بدينون . ولا أظن أن فى ذلك اعتداء على الدين ، فعيسى نفسه قد صورته على عربتى بدينا . ذلك أننى طلبت من « لوجاكونو ارتورو » الذى صور المناظر أن يرسم جميع الاشخاص سمانا مثلى ومثل زوجته « اليزابتا » ، ذلك لان عربتى عربية طعام ، لتجعل الناس بدنا ومرحين . . وان وجدوا بعض الصعوبة فى التنفس !!

وقال الميجر : ان هذا اضاعة لوقتي ١٠

ولكن بازيلي تبين كما تبين الآخرون أن الميجر قد اقتنع .
فاستمر يقول : كيف أستطيع أن أقود عربتي حتى بين المزارع ؟
كيف أستطيع أن أعلق حصاني السمين ، المسمى « جنرال
ايزنهاور » تكريما لمنقذنا ، بين هذين العريشين ، وأضع جسمي
البدن فوق المقعد ، ثم أحترق الشوارع بصور الاشخاص
المقدسین البدن ، بين أهل ادانو الذين يموتون جوعا ؟
ولم يأت في جميع الاوامر شيء يشير الى بغل ارانتي جايتانو
الذي نفق . لماذا اذن هذه الاوامر ؟

وقال الميجر في نفسه بالانجليزية : يا لللعنة ! ومد يده الى آلة
تليفون الميدان ، وأدار العجلة وطلب نمرة ، وبينما هو ينتظر
انرد قال لبازيلي بخشونة أجلس . ثم قال في التليفون :
أعطني كابتين « بيرفيس » من فضلك ...

— بيرفيس ؟ هنا جوبولو . اسمع مني . ان موضوع العربات
هذا موضوع خطير ! ولقد اتخذت قرارا فيه . ان جنرال
مارفن بجملة واحدة قد هدم كل ما بنيت في تسعة أيام في هذه
المدينة . أنا أعلم أنها قد تؤدي الى محاكمتي عسكريا ، ولكنني
صممت على الغاء أمره ..
— ... !

— ... أنا أعلم انني أعرض نفسي لمسئولية كبيرة ، ولكنني
مضطر الى ذلك . اننا لانستطيع أن نترك هؤلاء الناس يتضورون
جوعا . انني مطالب بعمل ذلك يا بيرفيس . ان هذه المدينة
تموت ، فلن يدخل طعام الى المدينة اذا لم تحضر العربات !
ان المدينة تعتمد على العربات في جلب الماء ، فأنت تعلم أنه لا يوجد
بالمدينة مياه جارية ، ولا يستطيع الناس الذهاب الى الحقول في
الصباح ليعملوا ! ان منع العربات من دخول المدينة يشبه حرمان
مدينة ريفية في الولايات المتحدة من سياراتها ! انك لاتستطيع
أن تفعل ذلك دفعة واحدة ، فان الناس يموتون ! ولست هنا لاقتل
الناس .

— ...

وواضح ان الكابتين بيرفيس أبدى اعتراضا .. وأخيرا

قال الميجر : يا بيرفيس اننى آمرك على مسئوليتى أن تترك العربات تدخل المدينة ، وأتحمل المسئولية الكاملة المطلقة عن الغاء أمر الجنرال مارفن . .

- . . .

- اسمع يا صديقى . . اذا لم تتحمل المسئولية هنا فان هذه المدينة ستقلب فاشستية !

- . . . !

- فليكن ! ولتذهب أنت الى الجحيم . انها مسئوليتى أنا وقد تحملتها .

وجلس الرجال الثلاثة أثناء الحديث التليفونى لا يفقهون منه شيئا . وكانت ملامح وجوههم توحى بأنهم اعتقدوا أن الميجر جوبولو يعد لهم عقابا ، فقد اعتادوا الخوف ، وظنوا أن صاحب السلطان الجالس أمامهم لابد أن يتصرف كما كان يتصرف رجال السلطة الذين عرفوهم من قبل .

وأعاد الميجر سماعة التليفون ، واستدار نحو الرجال الثلاثة وقال : تستطيعون احضار عرباتكم للمدينة . .

وبقى الرجال فترة طويلة لا يدركون ما سمعوا ! ثم وقفوا ، وبدأوا يصيحون ، ويحركون قبعاتهم : نشكرك ! نشكرك كثيرا ونقبل يديك !

وصاح الرجل البدن بازيل : يامستر ميجر . لم يسبق حصول شيء كهذا . . أن يحضر الفقراء الى سراى المدينة ، وأن تجاب مطالبهم .

وصاح افرونتى صاحب الصوت المرتفع : خصوصا ، خصوصا بغير انتظار أسبوعين أو ثلاثة !

وصاح بازيل : ولم نحنج لكتابه خطاب لك !

وقال افرونتى : ولم يفتشنا البوليس !

وأخيرا استطاع اربا البطيء أن يقول جملة ! لقد كانت من

أجمل وأطول الجمل التي استطاع أن يقولها ! قال : عندما يأتي
الناس ويأخذون ماء من عربتي ليرووا ظمأهم ، سأقول لهم :
اشكروا المسترميجر يا أصدقائي .

وقال الميجر جوبولو : أخرجوا • انكم تضيعون وقتي ووقت
الناس الذين ينتظرون خارج الباب • • وأشار لهم ليخرجوا •
وخرج أصحاب العربات بصيحات وبهتات أمريكا •

الفصل السابع

كان مركز رئاسة البوليس الحربى قد اتخذ مقرا له البناء الذى كان مخصصا للحزب الفاشستى . وكان البناء عبارة عن مجموعة من الغرف تواجه شارع « دوجانا » بالقرب من الميدان ، وكانت جدران الغرف مغطاة بصور لبطولات فاشستية مختلفة ، وكان بكل غرفة مكتبان ودولاب لحفظ الملفات وثلاثة كراسى أو أربعة غير مريحة ، ولاشئ غير ذلك . وكان البناء يوافق احتياجات رئاسة البوليس الحربى ، وبخاصة مطالب الجاويش بورث ، لان دواليب الملفات كانت تحوى بيانات كاملة عن كل شخص يسكن المدينة تقريبا ، سواء كان من الحزب أو من خصوم الفاشية .

وعندما تحدث الميجر جوبولوفى الصباح بخصوص العربات ، كان ثلاثة أشخاص بمقر رئاسة البوليس الحربى : الكابتن « بيرفيس » والجاويش الفنى «فرانك ترابانى» الذى كان يتولى قيد أعمال الكابتن ويقوم بسكربتيرته ، والامباشى ، شاك شولتز » الذى كان البوليس الحربى النوباتجى .
وأنزل الكابتن بيرفيس سماعة التليفون وقال: هذا الجوبولوفى! اننى أظنه مجنوناً !

وقال الجاويش ترابانى : ما الذى فعله ياسيدى ؟
- مصيبة . انه يتحدث دائما عن الديمقراطية ، كما لو كانت والدته . انه فى حاجة لان يتساهل قليلا ويمرح . أراهن أنه لم يسكر مرة واحدة طول عمره !

وقال الامباشى شولتز مارا بيده على بطنه : يمكنه أن يأخذ
نبيذ داجو هذا ! يالها من ليلة ليلاء !

وقال الكابتن : وهو مع ذلك يريد أن يوقعنا جميعا فى ورطة !

وقال الجاويش ترابانى : ما الذى فعله ياسيدى ؟

وأطل ايطالى برأسه من الباب على سبيل التطفل ، فصاح
الكابتن : أخرج عليك لعنة الله • قل لهذه الحشرة ياترابانى أن
يخرج ويبقى خارج الغرفة !

كان الكابتن بيرفيس لايعرف كلمة واحدة من اللغة الايطالية ،
وكان جهله هذا يغيظه • وطلب ترابانى من المتطفل أن يبتعد •

وقال الكابتن بيرفيس : لقد بلغت الجراءة بجوبولو أن يقول
للجنرال مارفن مايجب أن يعمل بالعربات • وهو يريد ارجاع
العربات الى المدينة !

وقال الجاويش ترابانى : الواقع أن الامر لم يكن معقولا من
البداية ، وقد يكون الميجر محقا ؟

— محقا ؟

ووضع الكابتن بيرفيس كفه على خده مدهوشا وقال :

— ماذا تقول أيها الرجل • ان الجنرال مارفن سوف يعدمه
وايانا • ماذا تظنه يحدث بجيش هذا الرجل اذا كان فى مقدور
كل انسان أن يفعل مايريد ، وأن يلغى الاوامر الصادرة؟ ان النظام
فى جيشنا ليس من اللين بحيث يسمح بتجاهل الاوامر ،
وخصوصا أوامر الجنرالات !

لقد كان الكابتن بيرفيس قدالتحق بالجيش منذ ثمانية أشهر ،
وكان نظاميا لآخر الحدود •

وقال الجاويش ترابانى ، الذى كان يعرف مايقول حين يبدأ
الكابتن يتكلم عن النظام : نعم ياسيدى !

وقال الكاتبن : لقد صدرت لى الاوامر على كل حال ، وسأذهب
لاجمع الحراس من الطريق عند الكوبرى ومصانع الكبريت •
ولكن ليكن فى علمك أننى لن أحرق نفسى من أجل جوبولو
هذا • انه طيب ، ولكنه جاد أكثر مما يجب • لعنة الله عليه !
كم أتمنى أن أراه ثملا ولو مرة فى العمر •

وقال الامباشى شولتز : الليلة الماضية ! يا الهى ! لن أعود
لشرب ذلك الحليب ثانية •

وقال الكاتبن : اسمعا • اننى لأريد أن أقع فى مسئولية • ولا
أنتما • ان علينا أن ننفذ الامر وندع العربات تعود للمدينة • ولكن
اذا عاد الجنرال مارفن للمرور من هذه المدينة فسنشئ جميعنا •
فلكى نغطى أنفسنا يجب علينا أن نكتب تقريراً ، نذكر فيه
ماحدث ، ونقول فيه أن الجنرال مارفن أمرنا بمنع دخول العربات
المدينة ، وأن الميجر جوبولو ألغى الامر ! • • اكتب أنت التقرير
ياتر ابانى وارسله لمكتب الجنرال •

— أمرك ياسيدى •

وانصرف الكاتبن بيرفيس •

وقال الجاويش ترابانى لشولتز : ان هذه المذكرة فى غاية
الخطورة ، وقد لا يعود الجنرال مارفن للمرور من هذه المدينة ،
وان مر فقد لا يلاحظ العربات • ولكن متى أثبتنا الموضوع كتابة
فتلك وسيلة لامخرج منها لخراب بيت الميجر ، مع أنه محق جداً
فى موضوع هذه العربات •

وقال الاومباشى شولتز : « أنا لأريد وجع دماغ • اننى مصدع
منذ الصباح » •

وسحب الجاويش ترابانى ورقة قرمزية من بين ملف فاشستى ،
ووضعها فى الآلة الكاتبة ، ثم كتب :

« الى اللفتنانت كولونيل و . و . نوريس ، الفرقة التاسعة
والاربعين ، من كابتن بيرفيس ، الفرقة ١٢٣ بوليس حربى ادانو ،
الموضوع - عربات البغال بمدينة ادانو ... »

« ١ - فى ١٩ يوليو وصلت أوامر من الجنرال مارفن الفرقة
٤٩ بمنع جميع عربات البغال من دخول مدينة ادانو ، ووضع
حراس على كوبرى النهر الاحمر وعند معامل تكرير كبريت
كاكوبازمو . ونفذ الامر .. »

« ٢ - وفى ٢٠ يوليو رفع الحراس بناء على أمر الميجر فيكتور
جوبولو ضابط الشئون المدنية لمدينة ادانو ، لان العربات كانت
ضرورية للمدينة وتضررت المدينة بدونها . »

وأعاد الجاويش ترابانى قراءة ما كتبه ، ثم قال : أصنع لهذا
يا شولتز ، هل تظن أن هذا سيضع الميجر فى مأزق ؟ ثم قرأ
التقرير بصوت عال ، وقال : أظن أن هذا الجزء الخاص بحاجة
المدينة للعربات يبرر تصرف الميجر .

وقال شولتز : لماذا تهتم بأمر هذا الميجر ؟ اذا كان لا يستطيع
أن يمرح ويمرح ، فلماذا تهتم بأمره ؟

وقال الجاويش ترابانى : لغير ما سبب . الا أنني لا أحب أن
أرى شخصا فى ضيق ، بينما هو يسعى لعمل الخير .

فقال شولتز : اذن لماذا لا تجعل هذا الخطاب يضع بين
أوراق الكابتن بيرفيس . ؟ وهذا يكفي . لا أريد مضايقة ، اذ
يكفينى ما أشعر به من تصدع رأسى .

ونظر الجاويش ترابانى الى الامباشى شولتز نظرة ذات مغزى ،
ثم قام وذهب الى مكتب الكابتن بيرفيس ووضع الورقة القرمزية
فى وسط كوم من الاوراق لا يلمسه الكابتن بيرفيس عادة الا
ليضيف اليه .

وقال ترابانى لنفسه : فكرة حسنة !

وقال له شولتز : انك من أصل ايطالى . قل لى ماذا يضع
هؤلاء الايطاليون فى نبيذهم هذا بحق الآله ؟

الفصل الثامن

وفى بداية الاسبوع التالى ، دخل جيوزيبى المترجم فى شىء
من الحيرة على الميجر جوبولو وقال له : اننى آسف يا سيدى !
وقال الميجر : ولم الأسف ؟

- لقد قلت يا سيدى انك تريد الخروج مع الشقراء تينا • أنا
آسف يا سيدى !

- اننى لم أقل أبدا شيئا كهذا يا جيوزيبى • ماذا جرى
لك ؟

- يا سيدى ألم تقل لى منذ بضعة أيام انك تريد أن تقابل
والدتين ؟

- نعم وأنا أريد أن أراه •

- أنا آسف يا سيدى !

- وما دخل هذا فى الخروج مع الشقراء ؟

وغمز جيوزيبى بعينه ••• وحين يغمز جيوزيبى يتحرك أثر
الالتحام فى وجهه ، ويبدو وجهه كله نحيفا ••• وقال : لا تكايد
جيوزيبى يا سيدى !

- لا تكايد رئيسك يا جيوزيبى ••• (قالها الميجر بحدة)
والآن قل لى ما الذى حدث ؟

وقال جيوزيبى : انك تريد مقابلة والدتين العجوز • حسنا •
أست تريد الخروج مع تينا الشقراء ؟

- اننى أريد أن أقابل والد تينا ، لانك قلت يا جيوزيبى

انه أحق الصيادين بالاحترام ،وأنا أريد أن يبدأ الصيادون
الصيد من جديد حتى تجدادانوما تأكله بجانب العجين والطماطم
والبادنجان • ذلك كل ما فى الأمر !

- انك تكايد جيوزيبي ياسيدى !

- أتريدنى أن أبحث عن مترجم غيرك يا جيوزيبي ؟

- فليكن يا سيدى ••• انك لا تكايد جيوزيبي •

- اننى أريد أن اقابل الرجل العجوز ، فهل تستطيع ترتيب
تلك المقابلة ؟

- ذلك ما أنا آسف بسببه !

- ماذا تعنى ؟

- ان الرجل العجوز والد تينالا يريد أن يقابلك !

- لماذا ؟ هل ذكرت شيئاً عن رغبتى فى الخروج مع ابنته ؟

- لا يا سيدى ! ان الرجل العجوز توماسينو يقول أنه لم
يسبق له أن دخل سراى المدينة فى حياته • انه يبغض اللصوص
الفاشين ، ولا يعرف أنك مختلف عنهم ، ولن يحضر لهذا !

- هذا أمر سهل يا جيوزيبي • سنذهب نحن لمقابلته !
(ونظر الميجر الى مفكرة مواعيده التى بدأ يحتفظ بها على مكتبه)
••• اعمل حسابك لنذهب اليوم الساعة الثالثة بعد الظهر •

وهكذا خولفت التقاليد مرة أخرى فى ادانو • فلم يسبق فى
ذكريات أهل المدينة أن ذهب موظف لمقابلة أحد الاهالى فى عمل •
فأما أن يحضر المواطن باختياره الى سراى المدينة ، أو يقبض عليه
ويؤتى به كرها !!

وفيما بين هذا الحديث والساعة الثالثة بعد الظهر كان جيوزيبي
قد استطاع أن يفضى الى عدد من الناس بموضوع هذا التساهل
من الميجر • فلما حان موعد ذهابهما للميناء للبحث عن
« توماسينو » العجوز كان قد تجمع جمهور غفير من الناس أمام
السراى وساروا خلف الميجر وجيوزيبي •

وسأل الميجر جيوزيبى : الى أين يحسب هؤلاء الناس أنهم
سائرون ؟

وقال جيوزيبى : انهم مجموعة من الفضوليين !

واستدار الميجر لهم وقال بالاطالية : عودوا الى منازلكم .
أليس لديكم ماتعملونه فى الساعة الثالثة بعد الظهر ؟

ولكن الجموع استمرت تسير خلف جيوزيبى والميجر . . .

وعند تقابل شارعى « دوجلنو وبارينو » استدار الميجر ثانية
وقال : اذا لم يكن عندكم أيها الناس ما تعملونه فى الساعة
الثالثة بعد الظهر فان عندى ما أجعلكم تعملونه . اننى أبحث
عن عمال بأجور زهيدة ، وسأجعلكم جميعا تعملون .

ولكن الجموع استمرت فى ملاحقتها ، بل ازداد عددهم تبعا
لتقدم الميجر وجيوزيبى فى سيرهما . وكلما أطلت رأس من
شباك أو خرج فضولى من باب صاحت به الجموع تدعوه للحاق
بها :

- « تعال . ان السيد الميجر سيعقد اجتماعا للعمل فى الميناء
. . . يحسن بك أن تحضر ، انه سيزور توماسينو العجوز الذى
يكره رجال السلطة » . . .

وهكذا يزداد العدد .

قاد جيوزيبى الميجر ومن خلفه الجموع الى الميناء ، ومروا على
السقالة الحجرية ورصيف شحن الكبريت وأرصفة مارتينو ودى
بوننتى ، حيث كانت مراكب الصيادين مربوطة .

وأحس الميجر أنه سيجد صعوبة فى مناقشة توماسينو
العجوز ، وقال لجيوزيبى : أيها المترجم . اذا لم تخلصنى من
هذه الجموع فستفقد عملك !

لذلك جرى جيوزيبى بحماسة الى الجموع ورفع يديه وأخذ
يصيح بهم : قفوا . لا تتقدموا . لقد صدر الأمر لكم بأن تقفوا .

وقالت الجموع : من الذى أصدر الأمر ؟ الرجل الذى كل
ميزته انه يتحدث لغتين ؟

لقد سارت الجموع مسافة طويلة لمشاهدة المنظر ، ولم يكن من
السهل حرمانها منه .

وصاح جيوزيبى : أرجوكم أن تقفوا ، لانكم أن لم تفعلوا
فسيفقد ريبودو جيوزيبى وظيفته !

وصاحت الجموع : وما قيمة مترجم بالنسبة لنا عندما تسنح
لنا الفرصة لرؤية شىء جديد فى ادانو ؟ .. أن هذا لم يسبق
حصوله .. ما قيمة بطالة رجل واحد ؟ واستمروا فى تقدمهم .

وصاح جيوزيبى : ان الميجر سيفضب اذا لم تتوقفوا هنا ..
... ثم أضاف بصوت هادى : لننتفك . اذا توقفتكم ، فسأستمع
الى الحديث وأنقل لكم ما يجرى فيه .

وعلى هذا الاساس قبلت أجموع أن تقف .

وكان الميجر قد وصل الى مركب توماسينو المجوز . وقد
عرفه ليس فقط لوجود رجل مقطب الجبين يجلس فيه ، ولكن
للكتاباة الزاهية بحروف تتخلل رسومات من أوراق الشجر
والفواكه : « تينا » !

وقفز الميجر الى المركب .

وصاح الرجل المتجهم الوجه : فليكن يا صاحب السلطان !
أقبض على ...

وقال الميجر : اننى لم آت للقبض عليك يا توماسينو .
وأقبل جيوزيبى جريا لينصت . ووقف على الحاجز ليستطيع
أن يوصل بسهولة بين الممثلين والمتفرجين .

وقال الرجل المتجهم : لماذا تحمل مسدسك ؟ أطلق على النار
هيا . أطلق !

وقال الميجر : « اننى أحمل مسدسى باستمرار ؟ ...
وقال الرجل المتجهم : « لقد جئت لتقبض على لاننى رفضت

الذهاب لمقابلة الميجر الامريكى! وقال الميجر : « هذا غير صحيح » !

- « اذن لماذا حضرت هذا المبلغ (المرشد) زيودو جيوزيبى الذى طلب منى أن أذهب لمقابلة الميجر الامريكى ورفضت ؟ »
- « أنا الميجر الامريكى يا توماسينو » !

ولم تطرف لتوماسينو عين !
- « اذن لماذا حضرت كل هذه الجموع اذا لم تكن تريد القبض على ؟ »

- « أنا لم أحضرهم يا توماسينو ، لقد جاءوا من تلقاء أنفسهم . وأنا لا أريد هم مثلك تماما . ان كل ما أريده هو التحدث اليك فى موضوع الصيد »

وقال الرجل المتجهم : « لأصدق ! ان رجال السلطان جميعا من نوع واحد لقد جئت لتقبض على وربما لتطلق على النار » !
وقال الميجر : « أرجوك أن تصدقنى » . . .

وصفر جيوزيبى لنفسه ، وجرى القهقرى نحو الجموع ، وقال بتأثر : « شئ مدهش ! لقد قال الميجر لتوماسينو : « أرجوك أن تصدقنى » !

وقال الواقفون فى الصف الاول : « أرجوك ؟ » أن هذا المدهش !
وقال آخرون : « ان شيئا كهذا لم يسبق حدوثه !! ان المستر ميجر يتنازل ويرجو هذا التوماسينو !
وصاحت جموع من الخلف ! « ما الذى قاله ؟ »

وصاحت الجموع الامامية : « انه قال أرجوك يا توماسينو ! »
وصاح الذين فى الخلف : « مدهش » !
وعاد جيوزيبى الى الحاجز . وكان الميجر يقول : « ان الموضوع اننى أريدك وبقيّة الصيادين أن تعودوا للصيد » . . .

وقال توماسينو : « لماذا ؟ لنملا جيوب رجال السلطة ؟ »
- « لا يا توماسينو ، بل لنملاؤا بطون أهالى ادانو » !
وضحك توماسينو : « رجل خير من رجال السلطة »

— « انك لا تفهم ياتوماسينو، ان الامريكان يختلفون عن الفاشيين » !

وقال توماسينو : « لقد سمعت ذلك من قبل . لقد قال العمدة « كرابا » انه يختلف عن العمدة « مارتوليو » ، وقال العمدة « ناستا » بعد ذلك انه سيختلف عن العمدة « كرابا » . وكان كل الاختلاف ان الضرائب والجزية والرشوة كانت تزيد في كل مرة عن قبل ، فما هو المبلغ الذى تطلبه أنت يا أمريكى ؟ »

— « أنك قد كونت فكرة خاطئة يا توماسينو »

وقال توماسينو : « ها ها . اننى رجل عجوز أيها الأمريكى . لقد رأيت رجال السلطة يأتون ويذهبون . ولا أعتقد انك تختلف عن الآخرين . »

وهنا غضب الميجر جوبولو وصاح فى وجهه : « أيها الصياد العجوز ! لا بد لك أن تفهم أن شعب أدانو جوعان ، وأنه محتاج للسّمك . يجب أن تدخل هذا فى مخك الغليظ . »

وعاد جوزيبي مسرعا الى الجمهور يقول لهم : « مدهش ! لقد قال الميجر أن شعب أدانو جوعان ويجب أن يحصل على السمك » .

وكرر الجمهور الذى فى المقدمة هذا الكلام، ثم صاحوا بأعلى صوتهم : « ليحيى المستر ميجر . ليحيى المستر ميجر ! »

وسأل الذين فى المؤخرة : « ما الذى قاله ؟ »

وقال الذين فى المقدمة : « انه يقول انه يجب أن نحصل على السمك لنطعم من جوعنا »

وصاح المجتمعون فى صوت واحد : « ليحيى المستر ميجر » . وسمع توماسينو فى مركبه ذلك النداء ، ودخله الشك : « لماذا استأجرت هؤلاء الناس لكى يحضروا ويهتفوا ضدى ؟ لن أخرج للصيد ! »

وقال الميجر جوبولو بالانجليزية لجوزيبي : « اصرف هذه الجموع انها تفسد كل شيء » !

ونقل جيوزيبى للجموع رغبة الميجر ، ولكنها هزأت منه : « انك مخبول يا حضرة المترجم . ان معرفتك للغتين قد أطارت صوابك » .

وقال جيوزيبى للميجر : « اننى آسف فلست بقادر على عمل شيء » !

وقال الميجر لتوماسينو : « انتظر قليلا يا توماسينو ، فأنتى سأتيت لك أننى أريد بك خيرا » وقفز الى الحاجز ، واتجه نحو الجموع ، وقال : « هل تريدون سمكا ؟ » وصاحوا : « نعم » !

- « اذن يجب أن تذهبوا لبيوتكم ، فليس من السهل اقناع توماسينو بالخروج للصيد ، وعليكم أن تختاروا بين هذه المظاهرة السخيفة وبين السمك » !

واختارت الجموع ! ان مشاهدة هذه المحادثة التى لم يسبق لها مثيل ، والحصول على بيانات من جيوزيبى ، أمر واقع ، أما السمك فموضوع للمستقبل ومشكوك فيه ! فضلت الجموع البقاء والمشاهدة .

وعندما وجد جوبولو أنه لن يستطيع أن يقنعهم بالانصراف ، سأل جيوزيبى : « ألا يوجد تلفون قريب من هنا ؟ » وقال جيوزيبى : « أظن فى مكتب ضابط الميناء ، وسأدلك عليه » .

وازدادت دهشة الجموع عندما انصرف الميجر وجيوزيبى ! أما مكتب ضابط الميناء فكان يشغله الليفتنانت البحرى الأمريكى المنوط به تسهيل مطالب ميناء ادانو ، وهو الليفتنانت « ليفنجستون » الذى التحق بالبحرية فى بداية الحرب ، والذى وضع فى طلبه للتدليل على صلاحيته لأعمال البحرية أن له بعض الخبرة بالفلايك الصغيرة . والواقع أن تلك الخبرة لم تكن تعدو التجديف مع فريق «مدرسة كنت » و « جامعة ييل » . وكان

« كروفت ليفنجستون » معروفافى « ييل » بأنه الفتى الذى يعمل لك كل شىء اذا أعجبته ، ولكنه كان يدقق كثيرا فى اختيار أصدقائه .

ولم يكن الليفتنانت « ليفنجستون » قد قرر بعد أن يحب الميجر جوبولو . فالميجر لم يدرس لا فى « كنت » ولا فى « ييل » ويشاع عنه أنه - فى وقت ما - كان كاتباً فى بلدية مدينة « نيويورك » تحت رئاسة « وولكر واوريان » . وكان من رأى « الليفتنانت ليفنجستون » أن الجيش قد خانهُ التوفيق بأرسال مثل هذا الرجل ليتولى إدارة مدينة مثل ادانو . وفضلا عن ذلك فعندما يقابل الميجر ضابطافى البحرية ، وعلى كتفه شريطان ، فالمفروض فى كل انسان أن يعرف أنهما للدلالة على رتبة ليفتنانت قديمة ، وواجبه أن يوجه اليه الحديث باعتبارهِ كابتننا !

وصاح الميجر عندما دخل غرفة الليفتنانت « ليفنجستون » :
« هالو . كابتن . هل أستطيع أن أستعمل تليفونك ؟ »

- « صباح الخير ، ماذا تفعل هنا ؟ »

وكان فى صوت الليفتنانت خريج « كنت وييل » ما يدل على اعتقاده بأن رجال الجيش يجب أن يبقوا فى مناطق الجيش الأرضية ، ويتركوا لرجال البحرية الشواطئ .

- « وهل أستطيع أن أستعمل تليفونك ؟ » . . . لقد كان الميجر من نوع الرجال الذين تتركز أفكارهم فيما يفكرون فيه وحده .

- « بلا شك تفضل . »

وأدار الميجر التليفون ، وبينما هو ينتظر الإجابة قال لليفتنانت :
« أريد أن أنظم هؤلاء الصيادين ، ولكننى محتاج قبل ذلك لتفرقة جموع من المتظاهرين . »

وبدا أن الليفتنانت لم يسر من هذا التلخيص لنشاط الميجر .
- « هالو ! اسمع يا بيرفيس ، أريدك أن تحضر هنا ، فأنا عندى

جموعاً من المتظاهرين يجب تفرقتهم • احضر مسدسك ، وأعتقد أنك إذا أطلقت ست طلقات في الهواء كان ذلك كافياً لانصرافهم لبيوتهم ... اننا هنا في الميناء بجوار الحاجز الغربى • • • حسناً • أسرع • »

وشكر الميجر الليفتنانت « ليفنجستون » لاستعمال التلغون • وقال الليفتنانت : « يبدو لى يا ميجر أن موضوع الصيد متعلق بالبحرية • • • »

وقال الميجر : « نعم ، سنأعود لأراك • اننى مستعجل الآن • شكراً للتلفون يا كابتن • وسأراك بعد قليل »

وبينما الميجر وجيوزيبى يخترقان الجموع متجهين الى الفلك « تينا » قال جيوزيبى للجميع : « اننى أنصحكم كصديق أن تعودوا لبيوتكم » • • • ولكنهم - وقد ازداد فضولهم بسبب هذه الزيارة السريعة بين الميجر وقائد الميناء - هزأوا بـ جيوزيبى : مسكين ريبودو جيوزيبى • ان معرفته للغتين قد أطارت صوابه !

وقال جيوزيبى : « فليكن • لقد نصحتكم كصديق • » وفى الفلك « تينا » كان توماسينو على كآبته يقول : « أراك قد أعطيت تعليماتك لرجالك المتظاهرين • هيا • خذنى • ما الذى سأخسره ؟ »

- « سيعودون الى منازلهم يا توماسينو • لقد أصدرت تعليمات لاعادتهم الى بيوتهم • والآن عن موضوع الصيد ، هل تظن أن من الممكن جمع بحارة خمسة أوستة مراكب ؟ »

وقال توماسينو : « ومن سيكون حامى هؤلاء البحارة ؟ أى مجرم ؟ »

- « حامى ؟ »

- « لمن يجب على الصيادين دفع الجزية هذه المرة ؟ »
« لا تهزأ بى أيها الصياد ، عم تتكلم ؟ »

وقال توماسينو : « هاها !هل يريد رجل السلطة أن يزعم أنه لايعرف نظام الحماية ؟ »

وقال الميجرجوبولو بحدة : « فيم تتحدث أيها الصياد ؟ »

وتردد توماسينو وهو يقول : « الحماية ! قبل مجيئك كان علينا أن ندفع جزية الى « آنيا » مراقب المصايد وهو رجل سوء . وفي مقابل ذلك كان يحمينا ! هاها ! لقد قال « فيورنتينو » مرة أنه لا يحس بالحاجة للحماية . وفي الاسبوع الثاني احترق مركبه « ماتينا » الجميلة ، وهى مربوطة فى مرساها . »

وقال الميجر : « لن يكون شئ كهذا فى حكم الامريكان ياتوماسينو . هذا هو ما نريد أن نزيله . »

وقال توماسينو : « انك تكذب على ! . لابد أن فى الموضوع خدعة »

وفى تلك اللحظة حضر الكابتن «بيرفيس» بسيارته ، وقفز منها ، وجرى وسط الجموع وصرخ فيهم : « انصرفوا يا أولاد الحرام فوراً . اذهبوا من هنا » . . وسحب مسدسه وأطلق ست طلقات فى الهواء . وتفرقت الجموع فوراً . وصاح صائح : «الامان» ! وصاح أحدهم : «لقد عاد الفاشستيون» !

وصاحت امرأة : « لقد قضى الامر » .

وصرخ رجل : « لقد أصبت » ، وهو لم يصب طبعا ، فقد كانت جميع طلقات الكابتن « بيرفيس » فى الهواء . . . وفى أقل من عشرين ثانية ، كانت الجموع قد تفرقت فى شوارع « ادانو » ولم يبق فى الميناء عند رصيف « بوننتى » الا الدخان الذى تطاير من مسدس « بيرفيس » . وعاد الكابتن الى سيارته وانصرف .

وأطلقت الطلقات توماسينو فقال : « لقد جئت لتطلق على النار . وقفز واقفا : « لقد كنت موقنا أن فى الامر حيلة . انك تريد قتلى . »

ولكن الميجر جوبولو طمأنه بقوله : « ان المقصود التخلص من المتظاهرين ، وكل ماأريده هو أن تخرجوا للصيد ياتوماسينو . »

وقال توماسينو : « فى الامر خدعة » - وجلس .

وقال الميجر : « اننا فى حاجة لنصف دسنة مراكب ، فهل تستطيع المساعدة ؟ »

« لمن ستدفع جزية الحماية ؟ وما قدرها ؟ »

- لن تدفع جزية للأمريكان ياتوماسينو .

- « لاحماية . ولاضريبة . ؟ اننى لأصدق . وماهى الضريبة التى يجب أن ندفعها على مجموع صيدنا ؟ »

- « لن توضع ضريبة على ما تصطادونه ياتوماسينو . سيكون عليكم فقط أن تدفعوا الضرائب القانونية . صحيح أن أرباحكم ستحدد بخمسة عشر فى المائة مما تأخذونه ، أما الباقي فيجب صرفه مرتبات للصيادين ولصيانة المراكب . »

- « لاحماية ؟ ولاجزية ؟ ولاضرائب خاصة ؟ انك تهزأ بى أيها الأمريكى . »

- « لم أهزأ بك أيها الصياد . ان وظيفتى أن أدير هذه المدينة ، وأعتبر من واجبى أن أستبقى سكانها أحياء ، وهم ليس لديهم مايكفى لطعامهم ، فأنا محتاج للسماك من أجلهم . ولذلك أريد منكم أن تخرجوا للصيد . لماذا اذن أسخر منك ؟ »

ووقف توماسينو وقال : « أيها الأمريكى . لقد بدأت أعتقد انك تختلف عن الآخرين . »

وتجاهل الميجر هذا التنازل ، وقال : « أريد أن تصبح ياتوماسينو رئيس صيادى ادا نو . . . لن أترك مجرماً مثل . . . ماذا قلت اسمه »

- « آنيا »

- « لن يكون هناك « آنيا » على رأس الصيادين . اننى أريد أن يرأس الصيادين صياد منهم . »

وكاد وجه توماسينو الحزين ينفرج عن ابتسامة وهو يقول :
« ان ذلك يكون عدلا • ونحن الصيادين لاسـابق علم لنا
بالعدل » • وفكر الرجل الحزين لحظة ثم قال : « لأستطيع • »
- « ماذا ؟ »

- « لاننى سأصبح واحدا من ذوى السلطان ، وهو الشئ الذى
كرهته طول حياتى • »

- « ولكنك سلمت الآن يا توماسينو اننى أختلف عن رجال
السلطة الآخرين • وأنت أيضا تستطيع أن تختلف • تستطيع
أن تجعل سلطانك يبدو نابعا من نفس الاشخاص الذين تسيطر
عليهم • وبعد لحظة يا توماسينو ينبعث ذلك السلطان منهم حقا ،
وما أنت الا آلة لتنفيذ ارادتهم • ذلك ما يريد الامريكان أن يعلموه
لكم أنتم الذين عشتم تحت سلطان أناس ظنوا أنهم هم منبع
السلطان • »

وفكر توماسينو طويلا ثم قال : « أن هذا حسن لدرجة لا تعقل !
لا بد أن فى الامر خدعة • »

- « نعم ان فى الامر خدعة • وتلك الخدعة هى أن بعض الناس
ليسوا من الطيبة بحيث يستفيدون من ذلك الوضع ، وهذا
ما يفسد الفكرة • وهنا الآن فى هذا الغزو لدينا جنرال سيىء •
هو الجنرال « مارفن » • انه يعتقد أنه شئ يستحق أن يعبد • ولدينا
آخر قد لا يكون طيبا - فلست متأكدا - وهو أقرب اليـنا من
الجنرال ، وأعنى به كابتن البحرية الذى يدير هذا الميناء • انه شاب
صغير مغرم بالسلطان • ويجب علينا يا توماسينو أن نحصل على
تصريح منه قبل أن نستطيع الخروج أنت والآخرى للصيد • »
وقال توماسينو غاضبا : « من هذا الشاب المحب للسلطة ؟ اننى
أحطم رأسه بحربتى • »

وبدا على الصياد كما لو كان يعنى ما يقول •

- « لنذهب ونتحدث اليه »

وهكذا سار الميجر وتوماسينو لمقابلة الليفتنانت « ليفنجستون »
فى مكتب قائد الميناء . وكان غاضبا بسبب المقابلة
التي قابله بها الميجر لانه كان مستعجلا . ولم يكن الليفتنانت
ليفنجستون مستعدا لاجابة أى طلب لرجل فظ من رجال الجيش .
ولكن الميجر جوبولو ، وكله منصرف لفكرته ، لم يلاحظ حالة
الليفتنانت ليفنجستون ، وهو يدخل عليه مع توماسينو ، وصاح
بمرح : « هالو ياكابتن . هاقعدت ! »

وقال ليفنجستون دون سرور : « ذلك ماأراه ! »

— « وهذا توماسينو رئيس الصيادين هنا »

ولما سمع توماسينو اسمه حيا الكابتن بالتحية الفاشستية .

وقال الليفتنانت ليفنجستون : « هل يسمح الصياد العجوز أن
يجلس على كرسي خارج المكتب ؟ ان من قواعدى ألا أسمح ليطالى
بالدخول الى هذا المكتب . »

وقال الميجر جوبولو « انه لامانع عند توماسينو ، ولكنى
أمانع . ماهذه الطريقة لادارة مكتب فى مدينة ايطالية ؟ ولما
سمع توماسينو اسمه حيا الليفتنانت بالتحية الفاشستية
مرة أخرى . »

وأجاب الليفتنانت ليفنجستون ببرود : « لأدرى كيف تديرون
مكاتبكم فى الجيش ياكابتن ؟ ولكن فى البحرية لدينا مانسميه أمن
الدولة . ولانستطيع أن نتساهل . »

فقال الميجر جوبولو : « غاضبا الى الجحيم ذلك الامن . اننى
أضمن توماسينو . »

وحيا توماسينو . لقد كان يكره السلطان ولكنه يعرفه حين يراه .

وقال الليفتنانت بغضب : « ومع ذلك فهذا مكتبى ياميجر ! »

وقال الميجر : « فليكن . ولكن هذه مدينة توماسينو . » . . .

وحيا توماسينو .

وقال اليفتنانت : « ما الذى تريده يا ميجر ؟ »

فقال الميجر جوبولو : « أريد تصريحاً من البحرية بخروج ستة من فلك الصيد ليأتوا بسماك لمدينة أدانو » .

وقال اليفتنانت ليفنجستون : « مستحيل » .

وقال الميجر جوبولو : « ولماذا الاستحالة ؟ »

وقال اليفتنانت : « لان ذلك يتطلب أدنا من قائد البحرية فى ايطاليا الذى لا بد له من عرض الموضوع على القائد العام للمنطقة الشمالية الافريقية ، وكلاهما أميرال . فليست هناك وسيلة للحصول على الاذن . »

- « وهل من الضرورى طلب الاذن من الاميرالات؟ ألا يتركون لكم أية مسئولية ؟ »

وقال اليفتنانت ليفنجستون بهدوء أناة : « لا يمكنك أن تفهم . هذه مشكلة تتعلق بالبحرية » .

- « اسمع يا لفتنانت اننا فى هذه الحرب الملعونة سويا . ما الذى يمر بخاطرك ؟ » .

- « كيف تستطيع أن تعلم أن هذا الرجل ليس من البحرية الايطالية ؟ كيف تستطيع أن تعلم انه ليس أجيرا للاسطول الالماني ؟ كيف تستطيع أن تعرف أن كل ما يريده هو للصيد ؟ » .

ولم يستطع الميجر جوبولو من فرط غضبه أن يضحك ، ولكنه قال : « توماسينو ؟ هل سبق لك أن تحدثت الى توماسينو ؟ » .

وحيا توماسينو تحيته .

وقال اليفتنانت : « هل يستطيع التحدث بالانجليزية ؟ »

ولم يطق الميجر جوبولو صبرا : « اسمع يا كابتن . ان هذه المدينة جائعة . انها محتاجة الى السمك . انها لا تحصل على شئ يسد رمقها . أن الناس هنا على وشك الموت جوعا . هل ستسمح لهؤلاء الناس بأن يخرجوا للصيد أو لا ؟ » .

ودهش اليفتنانت من حدة الميجر : وقال فى نوع من الدفاع :
قد يضطدمون بالغام طافية ويقتلون » :

— « فليكن • اننا فى حرب • ويجب أن يموت بعض الناس
ليحيا البعض الآخر • هل ستسمح لهؤلاء الناس بالخروج
للصيد أو لا ؟ » •

وقال اليفتنانت فى تردد : « لأظن أنه يجب على أن أفعل »

وقال الميجر جوبولو : « اذا لم تسمح ياكابتن لهؤلاء الناس
بالخروج فسأرسل خطابا مستقلا بين فيه اسم كل شخص يموت
جوعا فى هذه المدينة لرئيسك ، وأقول فى كل خطاب انها
غلطتك » •

وقال اليفتنانت : « ربما نستطيع أن نعمل شيئا » •

وقال الميجر جوبولو : « لاشك أنك محق فى أننا نستطيع
أن نفعل شيئا • اننى أريد منك أن تعد لغد الغد ست خرائط
تبين الجهات التى تستطيع أن تذهب اليها مراكب الصيد من
غير أن تصطدم بحقول الغامنا • وليس من الضرورى أن تبين
مواضع الالغام • وسأعمل على أن يلتزم هؤلاء الرجال تلك المناطق •
أعد الحرط لغد الغد » •

وقبل أن يتمالك اللفتنانت ليفنجستون — خريج كنت وييل
نفسه قال للميجر جوبولو الموظف فى بورى تمانى : « نعم •
ياسيدى » •

وخرج الميجر جوبولو مع توماسينو قبل أن يتمكن
اللفتنانت من استرداد وعده •

وبعد أن خرجا قال توماسينو . « اننى أكرهه • ما الذى قاله ؟ »
وقال الميجر : « سخافات كثيرة الا فى مسألة واحدة وهى أنكم
اذا خرجتم للصيد فقد تصابون اذ قد تصطدم مراكبكم بلغم
أمريكى » •

وقال توماسينو: «وماذا يهم ، سأخرج للصيد يامستر ميجر
لو كنت تعلم مقدار حزن صيادي « ادانو » ! ان كل ما نطلبه من
الدنيا هو أن نخرج للصيد . اننا سنخرج للصيد ، ولو
اضطررنا لدفع رشوة لرجال السلطة ، وأنت تقول اننا لسنا
في حاجة لذلك ، فشكرا لك يامستر ميجر . »

وقال الميجر ، وقد قرر في نفسه أن يعمل عملا : « لا
ياتوماسينو ، بل أنا الذي أشكرك لقبولك تعهد أمر الصيادين ،
وأقبل يدك . »

ونظر توماسينو لرجل السلطة هذا وقال : « انك تختلف عن
الآخرين . » ثم جرى الرجل العجوز على رصيف « تينا »
وصار يصيح وهو يجرى : « سنخرج للصيد . سنخرج
للصيد . »

الفصل التاسع

دق جرس التليفون :

« هنا الميجر جوبولو من حكومة الحلفاء العسكرية » •

« يا جوبولو أنا سارتوريوس فى فيشيننا مارى » •

« هاللو يا كولونيل » •

« بخصوص الجرس » •

« نعم • أى توفيق ؟ » •

« سأقول • لقد عثرت على البيانات فى خمس عشرة دقيقة •

يا الهى • ان هؤلاء الفاشستين يحتفظون بالبيانات الخاصة بمثل هذه الاشياء - مدينة مدينة - وكل ما احتجت اليه هو أن أنظر فى الملفات تحت كلمة ادانو • ولكن هؤلاء الايطاليين كانوا يسرفون فى الاعمال الكتابية • لقد كان عليهم أن يبلغوا المديرية عن أبسط حادث !

وقال الميجر جوبولو : « وماذا وجدت عن الجرس ؟ »

« لقد وجدت ثلاثة قيود فى الملف » •

« هل نستطيع أن نستعيد الجرس ؟ ذلك ما أريد أن أعرفه »

ولكن الكولونيل ريتشارد سارتوريوس كان رجلا منتظما •

فقال : « القيد الاول مؤرخ فى ١٥ يونيو ويقول ان الجرس وصل من ادانو على عربة بغال ، وأن تغليفه كان ضعيفا ووجب تغليفه من جديد ، وأخذ ذلك ثلاثة أيام » ••

« وأين الجرس الآن ؟ هل وجدته ؟ »

- « والقيد الثاني مؤرخ في ٢٢ يونيو ويقول ان الجرس وضع على ظهر الباخرة « الكوري » القاصدة ميلانو عن طريق جنوا .
ومرسل الى مسابك أسلحة في كوراتا ٤٣ شارع ادا موسولينى بميلانو » .

- « لعنة الله عليهم لقد شحنوه » .

- « ليس هذا فقط ، بل ان القيد الثالث يقول : ان المسابك في ٤٣ شارع ادا موسولينى في ميلانو - هل تتصور تسمية شارع باسم هذه الخرعة - قد تسلمته - ان هذا القيد في ٢ يوليو . انى أخشى أن يكون جرسكم قد أصبح الآن كتلة مدفع يا جوبولو » .

- « يالسوء الحظ » .

- « على الاقل لقد وجدت لك البيانات » .

- « هذا خبر محزن جدا » .

- « اننى آسف ولكننى مسرور اذ عثرت لك على البيانات » .
أن كل ما كان الكولونيل سارتوريوس ينتظره هو كلمة شكر ، ولكن الميجر جوبولو الذى لا يفكر الا فى موضوعه قال :
« ان الناس هنا سوف تنفطر قلوبهم » .

- « هل هذا سيحدث حقاً ! ليكن » . وأقفل الكولونيل سارتوريوس التليفون غاضباً .

الفصل العاشر

فى ذات اليوم الذى نزل فيه العمدة « ناستا » من مخبئه فى التلال ، نبتت عند الميجرجوبولو فكرة أن أهالى « أدانو » مغتبطون بدخول الامريكان الى مدينتهم •

كان الميجر جوبولو يتناول طعام الغداء مع كابتن بيرفيس فى مطعم « بسكاتورى » • وكان جوبولو وبيرفيس يختلفان كل الاختلاف أحدهما عن الآخر ، ولكن بدأت بينهما محبة مشتركة • ولعل السبب فى ذلك أنهما ضابطان وأمريكيان ، ولا أهمية لما كان يفصل بينهما فى بلادهما ، فهما هنا يستطيعان أن يتبادلا آراءهما ، ويضحكان سويا ، ويفهم كل منهما الآخر • وكان الأخ بيرفيس لا يزال مغرما بأن يرى الأخ جوبولو سكرانا ، وحتى هذه الرغبة التى بدأت مريرة قد أصبحت الآن موضع المزاح والتسلية •

وكان الطعام فى مطعم « بسكاتورى » خير ما يوجد فى « أدانو » ، وقد اعتاد الميجر والكابتن أن يتناولوا طعامهما بانتظام فيه • ولم يكن فى الطعام ما يستأهل الكتابة عنه الى الاهل فى الوطن ، ولكنه - على كل حال - أفضل من الجراية ! كان طعام العشاء هو بعينه طعام الغداء ، لا يتغيران : مكرونة بصلصة طماطم ، باذنجان مقلى ، وقليل من الجبن ، وعجة ، وعيش ، وفاكهة ، ونبيذ أحمر • وكان يتردد على المحل تسعة زبائن منتظمين ، هم ، فيما عدا الميجر والكابتن ، صاحب المحل ، وزوجته ، وابنه ، ومومستان من المدينة ، ورجلاه اللذان كانا

يختلفان من طعام لآخر • وفى كل مرة كان الميجر يقول وهو يجلس : « سأخرجهم من المدينة ذات يوم ، ولكن الملاحظة تكررت حتى أصبحت أشبه بدعاء يسبق الاكل ، ولم يعد من المنتظر أن يحقق الميجر وعيده •

وكان يحضر - عند كل طعام - بعض الصياح لسماع اذاعة روما ساعة الظهر ، وفى الساعة السادسة والنصف •

وفى اليوم الذى وصل فيه العمدة « ناستا » من التلال ، كان الميجر والكابتن بيرفيس قد انتهيا من تناول المكرونة ، وأخذا يتحدثان عن رجل الاسطول ثقيل الظل •• ليفنجستون ، عندما سمعا ضجيجا غير معتاد فى الشارع ، وصراخا وصفيرا يدلان على الغضب •

وكانت اذاعة روما مسموعة فى تلك اللحظة تذيع بيانات مليئة بالسخف ، ولذلك تصور الميجر جوبولو مصدر الضجيج وقال : « أظن أن هذه جماعة من أندية ما بعد العمل يستهزئون بالراديو • لقد سمعت أنهم فعلوا ذلك منذ يومين ، وهذه أول مرة أسمعهم • »

وقال الكابتن بيرفيس : « ولملا يشترك الفجر الموجودون هنا فى هذا الصراخ • ماذا يظنون أنفسهم • قل لهم يصرخوا يا صديقى »

ولكن الضجة فى الخارج أخذت ترتفع وتقترب • وفجأة جرى عدد من الصيغ الذين كانوا يستمعون الى الاذاعة فى المطعم • ولما ازدادت الضجة جمعت المومستان كمية من الفاكهة وجرتا وجرى خلفهما الرجلان اللذان معهما • وكذلك جرى الى الخارج صاحب المحل وزوجته وابنه ، وأفواههم مليئة بالمكرونة والبادنجان •

وأخيرا قال الميجر جوبولو : « لنذهب فنرى ما هو حاصل ! » وهكذا خرج هو والكابتن يحملان فى أيديهما « فوطيتيها » • ووقع نظراهما على رجل - فى وسط الشارع - يسير متخاذلا • كان

قصيرا وبدينا ، وملابسه قذرة ممزقة ، وحذاءه موحل ، ووجهه
حزين . وكان يسير الهوينى وقد تدلت رأسه . وكان فى جسمه
مظهر واحد يدل على التفاخر هو نظارة وجهية على أنفه الضخم .

وكان يسير خلف الرجل وعلى مسافة منه - كما لو كانوا يمشون
سلطاناه الديناميتى - جموع من الناس يصيحون ويصفرون
استهزاء !! وكانت سخرية الجموع أقوى عشرات المرات مما
كان يجب أن تكون ، لان هذه هى المرة الاولى التى استطاع أهالى
« أدانو » أن يظهروا احساسهم نحو هذا الرجل . حتى فى داخل
منزلهم وأبوابهم مغلقة ، لم يكونوا يجرون على التحدث عن العمدة
« ناستا » ، فقد كانت له آذان تسمع فى كل بيت رعيون تطل
من كل شبك ! وكانت عقوباته وحشية قاسية .

أما الآن فهم يهتفون بما يعتقدون .

وكانت الجموع تصيح : « خنزير فاشستى » . ذلك كان نداءهم
الذى أكثروا منه .

ولكنهم كانوا يصيحون أيضا : « ان القاتل يعود دائما لمكان
جريمته »

وكانوا يصيحون أيضا : « أين كرباج العمدة « ناستا » ؟ »

ومن الغريب أن المومستين هتفتا أيضا ، وكان فى هتافهما
شئ من التفاخر وهما تقولان : « يا ابن المومس !! »

وكان بين الجموع قسيس صاح فى وجهه : « يا كافر ! »

وكان بين الجموع أطفال يهتفون وهم يجرون من هناك لهنالك :
« يا خنزير . يا خنزير . يا خنزير ! » .

وقارب غضب الجمهور العنف . وعندما اقترب العمدة التعس من
مطعم « بسكاتورى » رفعت احدى المومستين ذراعها وقذفته ببرقوقة
لم تصبه وتبعثرت على أرض الشارع !

وقذفه غلام فى الثانية عشرة بحجر ، ثم بدأت تطير فى الجو

قطع الاحجار ، وانقلب صياح الغضب المكبوت طويلا الى دعوة
للانتقام .

ونظر الكابتن بيرفيس الى الميجر جوبولو الذى قال :
« يجب أن نضع حدا لهذا »

لم يكن الكابتن بيرفيس بالرجل الحاذق ، ولكنه كان لا تنقصه
الشجاعة ، فاندفع الى الشارع بين العمدة « ناستا » والمتظاهرين ،
ورفع يده وصرخ فيهم : « قفوا . قفوا . أيها الجهلة . »

واستمرت الجموع فى تقدمها وقذف الكابتن بحجر أصابه خطأ
وهو فى طريقه الى العمدة « ناستا » !

وأخرج الكابتن بيرفيس مسدسه من جيبه ، وكان ذلك كافيا .
فاحتجز الذين فى المقدمة من خلفهم ، ووقفت الجموع فى
الشارع . واتجه الكابتن بيرفيس الى جانب الطريق .

ولما أحس العمدة « ناستا » بأنه أنقذ ، اتجه الى جانب الطريق
يشكر منقذه الأمريكان : « يا لله . انكم أصدقائي ، شكرا لكم
لإنقاذى من هؤلاء الجاحدين ! لقد خدمتهم سنين طويلة ، وانظروا
كيف يتصرفون ! أننى وحيد أيها السادة الأمريكان ! لقد بقيت
فى التلال بمفردى أياما طويلة ، ولم يشأ أحد أن يبقى معى .
ولقد سلم الآخرون جميعا أنفسهم . ولقد فكرت فى كل
شئ . اننى أريد أن أخدمكم ان أمكننى » ..

واستمر يثرثر وصوته يرتفع ويرتفع .

وصاح واحد من المتظاهرين : « اذا ساعدتم هذا الرجل يامستر
ميجر فلستم أصدقاءنا » .

وتصرف الميجر جوبولو بسرعة لينقذ الموقف . وسار الى منتصف
الشارع ، ثم رفع يده مطالباً بالسكوت ، وحرص على أن تكون
يده اليسرى حتى لا يظن أنها تحية فاشية . ثم صاح فى
الجموع :

« انصرفوا الى بيوتكم أيها الناس ، فسأتولى بنفسى أمر هذا الرجل كما يستحق • انه مقبوض عليه ! »

ثم قال بالانجليزية للكاتبين بيرفيس : « أقبض عليه يا بيرفيس • اظهر لهذه الجموع أنك تقبض عليه »

وكان هذا هو الشيء الذى يحبه الكاتبين بيرفيس • وبينما هو يضع يده بقوة على كتف العمدة « ناستا » ، قال : « لعنة الله ، ليتنى أفهم الايطالية • ان هذا الشيء عظيم ! »

وانصرفت الجموع تدريجيا وهم يتمتمون غاضبين لحرمانهم من الانتقام •

وقال بيرفيس : « ومن هذه الحشرة يا ترى ؟ يا الهى • كم يكرهونه ! أليس كذلك ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « انه الشخص الذى كان عمدتهم »
« ها ها • أنه هو • حسنا ! هناك أسباب عديدة تبرر كراهيتهم له طبقا لما يقوله بورث • • » ورفس بيرفيس العمدة « ناستا » فى مؤخرته لجرد أنه لا يستطيع أن يقول له بالايطالية :
« انك ابن حرام ! »

وسأل العمدة ناستا بالايطالية وهو يبكى : « ماذا ستفعلون بنى ؟ ان كنتم ستقتلوننى فبالله عليكم قولوا لى • لا تطلقوا النار على من الخلف • »

أما الذى فعله الميجر جوبولو بالعمدة ناستا فهو أنه أخذه الى مكتبه • وقد أظهر الجميع امتعاضهم لرؤية العمدة ناستا ، حتى زيتو الصغير الذى سبق له العمل معه ، وحتى داريا وكيل العمدة الذى يشبه العرسة ، والذى سبق له العمل معه أيضا • وأبدى بعضهم ملاحظات مهينة على مسمع منه •

ولما انتشر خبر عودة العمدة ناستا فى السراى أطل عدد كبير من الناس من باب غرفة الميجر التى كانت فى وقت من الاوقات

مكتب العمدة ، ليلقوا نظرة عليه في حالته المهلهلة ، ويسخروا منه في وجهه .

وقال الميجر جوبولو لزيتو وجيوزيبي : « اننى أريد أن أحادث العمدة ناستا على انفراد . اذهبوا قولا لشاغلي المكاتب الاخرى اننى لا أريد أن يزعجنى أحد ، ولا بفتح هذا الباب أو بوضع الأذان على ثقب المفتاح ! »

وقال زيتو : « نعم يا مسترميجر »

وقال جيوزيبي : « لا يامسترميجر »

وجلس الميجر جوبولو على مكتبه وقال بحدة : « اجلس . »
وجلس العمدة على أحد الكراسى المواجهة للمكتب .

وقال الميجر جوبولو « ما الذى تريده ؟ »

ومر العمدة ناستا بيده بخنوع على خشب المكتب ثم قال : « انه يبدو غريبا أن أرانى جالسا على الناحية الاخرى من المكتب ! »
وقال الميجر جوبولو « وقد يبدو أكثر غرابة الجلوس فى الناحية الاخرى من أعمدة السجن ! ما الذى تريده ؟ » ورتب العمدة ناستا وضع نظارته على انفه ، ولكنه لم ينظر الى الميجر جوبولو وهو يقول : « كل ماأطلبه ان أعطى فرصة ، يامسترميجر . »
وقال الميجر جوبولو غاضبا : « تريد فرصة . وهل أعطيت أنت لائى أحد فرصة ؟ »

وقال العمدة ناستا : « لقد فكرت فى ذلك طويلا . لقد بقيت فى وحدتى أياما طويلة . لقد فكرت فى الامر يامستر ميجر واود ان اخدم ان استطعت . »

- « ماهى مدة شغلك لمنصب العمدة ؟ »

- « تسع سنوات يامسترميجر »

- « لقد فكرت فى الامر بعد تسع سنوات من شغلك للمنصب ! بعد تسع سنوات رشوة وسرقة واذلالا لهؤلاء الناس ، فكرت وتريد أن تساعد ؟ هل تريد حقا ؟ »

- « ان عندك فى هذا المكتب فاشيين آخرين • لقد رأيت وجه « داربا » منذ لحظة • ورأيت « تاجليا فيا » الذى كان مدير ماليتى • ورأيت « جرجانو » رئيس الشرطة • اذا كنت تستطيع أن تستعملهم ، فلماذا لاتستعمل ناستا العمدة ؟ »

- ان عندى عمدة جديدا خيرا من العمدة السابق ؟
وكانت هذه جارحة !

- « ومن هذا العمدة ؟ »

- « الموثق بللانكا • رجل أمين اكثر أمانة من العمدة السابق ! »
وقال العمدة السابق : « نعم لاشك أن بللانكا رجل أمين • ولكن لاشك أن عندك ماتكلف به ناستا • اننى أقبل أى عمل أقل من العمدية »

ودعك ناستا خشب المكتب باشتياق •

وظهر الغضب فى عينى الميجر جوبولو ووقف فجأة يقول :
« تقبل ؟ أتقول تقبل ؟ نعم ان لدى شينا اكلفك أداءه : وهوان تقدم نفسك كل صباح الى الجاويش « بورث » من الجيش الامريكى • وستجده فى مكتب الفاشية • ذلك كل ما هو مطلوب منك عمله يوميا • ولكن اياك لاتعمل فانك تتعرض للسجن • »
- « هل تريد أن تقول ان ناستا أصبح مشبوها عاديا ؟ »
- « اذن ناستا يعلم طريق وضع الناس فى قائمة المشبوهين ! ان هذا لظريف منك • لقد كنت أعتقد ان عقوباتكم احذق من ذلك » !

وقال ناستا : « أرجو أن تكون كريما معى • كلفنى اى عمل ! »
- « كريما ؟ بالله ياناستا ماذا تنتظر ؟ انك تستحق بسبب الجرائم التى ارتكبتها ضد سكان ادانو أن تقتل بالرصاص فوراً دون محاكمة • وأنت أكنت تمكن أحدا من محاكمة عادلة الا اذا كانت تعود عليك بالنفع ؟ اننى اكثر من كريم •

اننى اضحك مشبوها ، فاجتهد فى أن تتصرف بعقل أيها الفاشستى
وتدلل العمدة ناستا وقال : « نعم يامستر ميجر • ما هو اسم
الضابط الأمريكى الذى يجب أن أقدم له نفسى ؟ »

- « اسمه بورث • وهو ليس ضابطا ، بل جاويشا • انك لا
تستحق ضابطا ياناستا ! »

- « نعم يامستر ميجر • »

وهكذا صار العمدة ناستا يقدم نفسه كل صباح للجاويش
بورث فى مكتب الحزب الفاشى • • ولأن اربعة أو خمسة أشخاص
كانوا يتبعون العمدة حيثما يذهب ، من باب الفضول أو
الحقد ، فقد كان هناك مستمعون قليلون عندما ذهب يبلغ عن
نفسه لأول مرة عند الجاويش بورث • ولقد استمتع المستمعون
بما راوا وسمعوا لأن مثل هذه المواقف كانت غداءا للجاويش
بورث الذى كان ينظر للحرب كلها على أنها تسلية •

ودخل ناستا المهلهل الى أحد مكاتب البوليس الحربى ، ورتب
وضع نظارته وقال : « أين أستطيع أن أجد الجاويش بورث ؟ »

- « انا بورث »

- « وأنا ناستا »

ووقف بورث وفرك يديه وقال « هو هو • أذن انت العمدة ؟
لقد فهمت أنك جئت لادانوتستغفر عن خطاياك ! هل هذا
صحيح أيها العمدة الشريف ؟ »

« لقد طلب الى أن أبلغ عن نفسى هنا كل صباح ، وقد جئت
لأبلغ لا لأحقر يا جاويش »

- « يجب أن تدعونى مستر جاويش »

وزنخر العمدة ناستا لكثرة ما اعتاد أن يزنخر • وقال له
بورث بحدة : « أسمع يا ناستا اننى أعرف عنك أكثر مما تعرف
عن نفسك • فأحترس فى أسلوب تصرفك هنا ، واجب عن سؤال

بأدب : هل صحيح أنك جئت لادانو لتستغفر من خطاياك ؟
واصفر وجه العمدة من الغضب ولكنه قال : « أظن أنك
تستطيع أن تقول ذلك » !

وقال بورث فى كثير من الابد : « شكرا • فى هذه الحالة
ستستغفر فى صباح كل يوم عن واحدة من خطاياك كلما تقدمت
للجاويش بورث • هل تود أن تختار أنت خطيئتك أم تترك
للجاويش بورث اختيارها ؟ »

ولم يستطع العمدة ناستا أن يمنع نفسه عن الزخرة !
وقال بورث بمزيد من الابد : « حسنا • تفضل أن يختار بورث
لك • حسنا • لننظر • فى هذا الصباح سنناقش خطيئتك المخجلة
بهروبك من مركز أمام الغزو الأمريكى • بماذا تسمى هذه
الخطيئة يا حضرة العمدة ناستا ؟ »
- « ماذا تعنى ؟ ماذا اسميها ؟ »

- « انك لا تجد الانفاظ ؟ حسنا سيجيب بورث عن سؤال
نفسه • ان اسمها خطيئة الجبن • »

وزنخر العمدة ناستا !!

- « لافرق فى أى ناحية كنت ولا أهمية لكونك كنت فى فريق
الصوص ، فقد كانت خطيئة أن تقر • أليس كذلك يا عمدة ؟ »
وأصلح العمدة ناستا موضع نظارته بيد مرتعشة •

- « أجب عن سؤالى : هل أعطيت أو لم تعط بنادق للبوليس والحرس
المالية ، وألقيت عليهم خطبة جميلة عن الحرب حتى آخر رجل ،
وبعد ذلك فررت للتلال ؟ »

وقال العمدة ناستا بصوت مرتعش : « قل لى يا حضرة الجاويش
الماهر ! »

وصاح الجاويش بورث : « أجب أيها المشيوه »

وقال العمدة ناستا بهدوء : « لقد أجبت يا جاويش » !

- « مستر جاويش »

- « لقد أجبت يا مستر جاويش » !

- « هل أنت آسف لهذه الخطيئة المخجلة يا ناستا ؟ »

وكان العمدة ناستا يسمع الناس يكتمون ضحكاتهم خلفه •
وقال بصوت ضعيف : « نعم يا مستر جاويش »

وقال بورث : « حسنا • تستطيع أن تذهب » •

وذكر المستمعون القلائل الذين سمعوا هذا الاستغفار الاول
لأصدقائهم ، فلما جاء الصباح التالى كان جمع غفير واقفا أمام
مكتب الجاويش بورث عندما حضر العمدة ناستا ليليلج •

وفى اليوم الثانى حمل الجاويش بورث العمدة ناستا على أن
يستغفر عن خطيئة سكناه فى منزل كبير وسط هذه المدينة
الفقيرة ، وعن تخزينه للنقود فى مرتبة فى منزله ، وعن قبوله
الرشوة •

وفى اليوم الثالث جعله الجاويش يستغفر من كونه فاشستيا
أو من كونه فى شبابه عضوا فى السكرتارية الفدرالية فى
روما •

وفى الصباح الرابع جعله الجاويش يعتذر عن محاربته فى أسبانيا
مع فرانكو ، لا بشجاعة ، ولكن لانه حارب على كل حال •

وفى اليوم الخامس جعله الجاويش يستغفر عن حصوله على
نصيب من سوق السمك والمخابز وسوق الخضر ، ولاختلاسه
خمسة وعشرين فى المائة من ضرائب المدينة •

وفى الصباح السادس جعله الجاويش يعتذر عن خطيئة عرضه
العمل كجاسوس للامريكان اذا امتنع الجاويش عن الزامه
بالاستغفار •

وفى الصباح السابع جعله الجاويش يستغفر لسيطرتة على
فتاتين من بنات المدينة .

وهكذا استمر الاستغفار يوما بعد يوم ، وفى كل يوم يزداد
عدد المستمعين أمام مكتب الجاويش بورث فى بناء الفاشيو
ويزداد الضحك والسخرية !!

الفصل الحادى عشر

وفى ذات صباح مر توماسينو الصياد على مكتب الميجر جوبولو فى السراى • وكان يبدو وهو يدخل البناء ويسير الى مكتب الميجر كما لو كان سائحا أمريكيا ، فقد كانت رقبته مائلة الى الخلف وعينه زائغتين •

وسر الميجر جوبولو برؤيته ، وقال فى مرح : « صباح الخير ياتوماسينو »

ولكن وجه توماسينو أنقلب من الدهشة الى التجهم ، وقال : « لم أكن أريد أن أفعل ذلك »

- « تفعل ماذا يا توماسينو ؟ »

- « أن أحضر الى مقر السلطة فى هذه السراى • لم يسبق لى أن أفعل ذلك فى حياتى • وقد أجبرتنى زوجتى على ذلك • »

- « لماذا ؟ ما الذى تريده زوجتك ؟ »

- « انها تقول انه اذا كنت قد صغرت نفسك وجئت لتقابلنى فى مركب الصيد ، فأننى أستطيع أن أصغر نفسى وأحضر لمقابلتك فى السراى • انها تريد منى أن أدعوك للحضور الليلة الى منزلنا للاشتراك فى أكل فطيرة صنعتها ابنتى تينا • أن زوجتى امرأة صعبة • اننى أكرهها • انها تعتقد أنها صاحبة السلطة فى بيتى ! »

وقال الميجر جوبولو : « أرجوك أن تبلغ زوجتك أنه وان كان زوجها قد أبلغ - على مضض - رسالتها ، فإنه ليسر الميجر أن يقبل الدعوة ! »

وقال توماسينو : « لا أظن اننى سأبلغها • اننى أكرهها • »
وقال الميجر جوبولو : « متى ؟ »

وقال توماسينو متجهما : « أنك صاحب السلطان • أنت الذى
تحدد الوقت • »

عند ذلك تذكر الميجر جوبولو جملتين من مفكرته « من جوبولو
الى جوبولو » . تذكر : « لا يكن لك محاسيب ••• كن حذرا فى
قبول الدعوات ••• » قد يكون من الأفضل ألا يرى ذاهبا الى
منزل توماسينو ، فقد يسيء أشخاص من مثل المترجم جيوزيبى الظن
ببواعثه • انها تكون فكرة صائبة لو ذهب بعد حلول الظلام • وفكر
الميجر بسرعة : أن الشمس تغيب فى نحو الثامنة والرابع ويبدأ
الظلام •••

- « ما قولك فى الساعة التاسعة يا توماسينو ؟ »

وقال توماسينو بصوت حزين : « ثمانية ، تسعة ، عشرة
ما الفرق ؟ »

- « سأكون عندكم فى التاسعة • ما هو العنوان ؟ »

- « أنه منزل فطيع • ٩ شارع فيكتور ايمانويل • »

وفى الساعة التاسعة بالضبط كان الميجر جوبولو يندق باب
المنزل رقم ٩ بشارع فيكتور ايمانويل ، وفتح توماسينو الباب ،
ولكنه لم يظهر أى سرور بمجيء الزائر • وقال فى ضجر :
« تفضل • »

وخطا الميجر خطوة الى الداخل ، وحاول أن يصفح توماسينو ،
ولكنه لم يعثر على يده بسبب الظلام •

رقال توماسينو شاكيا : « سنضطر لصعود عدد كبير من
الدرجات ! »

وقد تبين أن الدرجات لا تزيد على دور واحد ، وجدا نفسيهما
بعده أمام صالة مضيئة • وقاد توماسينو الميجر مخترقا الصالة

الى غرفة استقبال ضيقة • وكانت الغرفة تكذب ما يبديه
توماسينوم كره للاختلاط ، فقد تبين أن ليس فى الغرفة من أثاث
الا مجموعة كراسى ، وهى فى « ادانو » الدليل الذى لا ينقض على
كثرة الزوار وترددهم • ولم يكن بجوار الكراسى الا راديو
ايطالى كبير بأحد أركان الغرفة، وطاولة مستديرة فى وسطها •
وكانت الغرفة من الضيق بحيث تمكن الجالسين على الكراسى على
أحد الجانبين من أن يتناولوا ما هو على الطاولة •

ووصل ضيفان قبل حضور الميجر • ودهش الميجر من
شخصيتهما •

قال الكابتن بيرفيس الذى بدا كما لو كان قد شرب زجاجتى
نبيد : « هاللو يا ميجر • لقد قال لى جيوزيبى أن عندك كلب
الصياد العجوز هذا ابنتين جميلتين • ولقد بدأت أحس
بالصدأ • لقد قال لى جيوزيبى انه رتب كل شئ لى • ياله من
عجوز طيب • »

وقال جيوزيبى : « مساء الخير يا رئيس » • • لقد كان جيوزيبى
مرتبكا ، ولم يكن يعرف أن الميجر سيحضر •

ولم يكن ارتباك الميجر أقل من ارتباك جيوزيبى • لقد كان
يفكر فى جملتى مذكرته : « لا تتخذ محاسيب • احترس عند
قبول الدعوات • »

وقال الميجر : « ماذا ؟ • هاللو • »

وقال الكابتن بيرفيس « لم أر العصفورة بعد • فالسيدة
العجوز فى المطبخ • انها سكرانة • لقد علمتها كيف تقول
يا الهى ! »

وجلس الميجر متخشبا •

وقال الكابتن بيرفيس : « لم أكن أعلم يا نمس أنك من رواد
هذا المكان • لماذا لم تقل لى عن هذه الطيبات ؟ لقد حسبت

يأملون انك لاتهتم الا بالعمل .. قل لى كيف هاتان العصفورتان؟
اننى أود لو قضمت صدر عصفورة فورا • »

وقال الميجر جوبولو بخنوع : « لم يسبق لى رؤية الفتاتين الا
واحدة منهما فى الكنيسة • وهذه أول مرة آتى هنا • »

وقال كابتن بيرفيس، وقد أخذ السكر منه كل مأخذ : بخصوص
موضوع العصفير أو الفراخ ، سمعت نكتة أخيرا ، تذكر عندما
قال هوفر أنه سيعمل على أن يكون بكل حلة فرخة ، فهم يقولون
انه بعد وجود الجيش الأمريكى هنا ستوضع حلة على كل فرخة :
« الكلمة الأمريكية حلة بمعنى مبلغ من المال أيضا »

وقهقه الكابتن • ومع أن جيوزيبى لم يفهم النكتة فقد ضحك
مجاملة • أما الميجر فقد ذعر ، وأما توماسينو فجلس حزينا لا يفهم
شيئا مما هو حاصل •

وجاءت زوجة توماسينو من المطبخ تحمل طبقا من الفطير ،
وأنقذت الموقف ! كانت تزن على الاقل مائتين وخمسين رطلا • ولما
وضعت الحلوى على الطاولة رفعت ذراعيها : « يا الهى • • يا الهى »
واهتز كل مافى جسمها من شحم ولحم وهى تضحك • وضحك عليها
كل الموجودين الا توماسينو •

ووقف جيوزيبى بسرعة وقدم الميجر الى زوجة توماسينو • وكان
اسمها روزا • وقالت فى صوتها النسائى الملىء الأجلش : « اننى
مسعدة أن أراك هنا يا مستر ميجر • ان هذا الخرج - وأشارت
الى توماسينو - لم يكن يريد أن يذهب لدعوتك • لقد بدأت أعلم
التكلم بالانجليزية » وأخذت تصيح : « يا الهى • • يا الهى »
بطريقة فى النطق تدعو للضحك، بينما حاول الكابتن بيرفيس أن
يصبح نطقها •

ثم صاح الكابتن بيرفيس : « لعنة الله • أين هاتان السمكتان
المفروض أنهما عند هذا الصياد العجوز ؟ على فكرة باميجر يجب
أن نتفق هنا • ان جيوزيبى يقول ان السمراء ستعجبني »

وقال جيوزيبى محاولا اظهار اخلاصه للميجر : « لقد احتفظت بالشقراء لك ياسيدى الرئيس ! »

ولم يدر الميجر جوبولو ماذا يستطيع أن يقول :

وأسرع جيوزيبى وقال لروزا البدينة التى كانت لاتزال تضحك بهدوء لنجاحها فى التكلم بالانجليزية : « أين الفتاتان ؟ »

وقالت الام « اذا كنت تعتقد أنك تستطيع استعجال فتاتين جميلتين تحاولان أن تظهرأ أكثر جمالا فانك ستجدهما فى غرفة النوم » !

وانزعج الميجر جوبولو اذ رأى جيوزيبى ينهض ويتجه الى غرفة النوم . وتساءل : أى نوع من الفتيات هاتان الفتاتان ؟

ولكن جيوزيبى عاد بعد لحظات يقود فتاة فى كلتا يديه . ويبدو أنه قد أوضح الموضوع للفتاتين ، لان تينا اتجهت لفورها نحو الميجر وهزت يده ، ثم جلست الى جواره . بينما اتجهت السمراء فرانسيسكا الى الكابتن بيرفيس وهزت يده وجلست الى جواره .

وقال الكابتن بيرفيس : « هم .. هم .. هم لا بأس بها . » وأحس بالاطمئنان لان الفتاتين لا تتكلمان الانجليزية . فقال : ما رأيك فى الذهاب الى السرير فورا يا عصفورة ؟

وقال الميجر : على رسلك !

وأجاب الكابتن : هل تحسبني مستعجلا . لماذا الف والدوران يا ميجر ؟

وقالت تينا بالاطيالية : لقد سمعتك تنهج فى الكنيسة يوم الاحد الماضى . يحسن بك أن تكثر من التمرينات الرياضية يامستر ميجر !

وقال الميجر جوبولو : لقد كنت متأخرا . متأخرا جدا . فقد شغلت فى دراسة موضوع ونسيت الوقت . فاضطرت للجرى الى الكنيسة . وكان الموقف مخجلا .

وقالت تينا : لقد أقلقك بال الأب بنشوفيكو • أحسست بذلك من طريقة خلطه في ترتيب الصلاة •

وسأل الميجر جوبولو : هل تذهبن الى الكنيسة كل يوم أحد ؟ وأجابت تينا : طبعاً •

وقال الكابتن بيرفيس : لتذهب الى الجحيم يا ميجر أنت وحديثك بالاطالية • انك تضيع الوقت بينما كل ما أستطيع عمله هو الغمز بعيني لهذه البنية •

وقال جيوزيبي : أنا أترجم يا كابتن • أنت تقول وأنا أنقل ما تقول الى فرنسيسكا •

وهكذا ولفترة اشتغل الكابتن بيرفيس في أن ينقل سخافات الى فرنسيسكا عن طريق ترجمة جيوزيبي غير المضمونة • وعلى كل حال فقد كانت الفكرة العامة لملاحظات كابتن بيرفيس تصل الى فرنسيسكا لانها أخذت تحمر خجلاً •

واستطاع الميجر جوبولو في الوقت نفسه أن يتحدث الى تينا لا يعترضه أحد الا صيحات الأم من وقت لآخر بالانجليزية : « يا الهى » ، يتلوها انفجار من الضحك من جميع المحيطين بها الا توماسينو الذى كان ينظر غاضباً الى سقف الغرفة •

وقال الميجر : هل تذهبن دائماً الى كنيسة سانت انجيللو ؟ وفى هذه المرة احمر وجه تينا خجلاً وقالت : لا • ان جيوزيبي أخبرنى أنك ستكون هناك ، وأردت أن أرى شكل الميجر الأمريكى ! وفى أغلب أيام الأحد أذهب لكنيسة البنديتينى •

وسألها : وماذا كان رأيك فى الميجر الأمريكى ؟

وقالت تينا : انه يتنفس بصوت عال ، مثله كمثل قرية أرغن كنيسة البنديتينى المثقوبة • وضعك الميجر •

وقالت تينا : تفضل قطعة من الفطيرة ، لقد صنعتها بنفسى •

وما كان يمكن رفض دعوة تقدم بهذه الطريقة ، ولذلك أخذ الميجر قطعة كبيرة • وبدأت الحلوى تدار حول الغرفة ، وسكن الحديث لفترة من الزمن • ولم يكن يسمع الا قرعة تكسير البندق بين الاسنان ، وصوت محاولة التخلص من التصاق السكر المحروق بالاسنان • وفى فترة المضغ هذه لم يسمع الميجر جوبولو الا أن يفكر فى غرابة تمضية ليلة كاملة حول أكل فطيرة ! ولكن يبدو أن ذلك هو البرنامج المعد •

ولما قارب الانتهاء من المضغ ، قال الميجر : حسن •
بينما استطاع الكابتن بيرفيس أن يفصح عن حقيقة شعوره بالانجليزية فقال : يا الهى الى أى مكان حضرنا ؟ الى فاوريقة صمغ ؟ •

وقالت تينا للميجر مرحة : قطعة أخرى ؟ •

وأجاب الميجر : بعد لحظة •

وقالت روزا البدينة المحظوظة: يجب أن نتناول بعض النبيذ • ثم التفتت الى توماسينو وقالت له : اذهب الى المطبخ يا غبى ، وأحضر زجاجة من نبيذ مارسالا •

ولم يكن الميجر جوبولو يستطيع أن يتصور شيئا يمنع الشهية مثل النبيذ بعد تلك الفطيرة ! ولكن الكابتن بيرفيس ما كاد يسمع اسم النبيذ بالايطالية (فينو) حتى صاح : « فينو •• أسرعوا أحضروا الفينو ، ثم قال بجذ كما لو كان ينتشل نفسه : « يا الهى ! لو شربت من هذا الحمر كمية أخرى ، فلا مفر من أن أطرح احدى هاتين الفتاتين أرضا • واذا وجب أن أبقي طويلا فى هذه المدينة ، فلا مانع عندى من أخذ البدينة وان كانت أمهما » •

ووقف الميجر جوبولو وقال : بيرفيس • اما أن تغلق حنكك أو أقذف بك الى الخارج •

وقال الكابتن بيرفيس : كفى يا ميجر لا تكن معكرا لصفائنا •
انك تعلم أنك تشعر بنفس الشعور لو صدقتنا القول •

- اخرس يا بيرفيس ...

واستشاطت نظرات الميجر غيظا : هذا أمر • والآن كن مؤدبا •
ووقف الكابتن بيرفيس وحياء التحية العسكرية ، وقد اهتزت
كرامته • وعاد توماسينو بالنبيذ ، وحياء الكابتن بيرفيس
الزجاجة بأن انحنى نحوها ووجه تحيته اليها !

وأحست روزا بأن فى الامر شيئا ، فصاحت يائسة : « يا الهى
يا الهى » ولكن أحدا لم يضحك •

وقفزت تينا واقفة وقالت : « لنرقص » ، واتجهت نحو
الراديو وأدارته لتحصل على راديو موسكو ، وقالت : ان موسكو
تذيع دائما أحسن الانغام •

ونقلت فرانسيسكا بمساعدة الميجر جوبولو الطاولة الى آخر
الغرفة بعيدا عن الراديو • وأسرع كابتن بيرفيس نحو روزا وقال :
حسنا يا بدينة ، فلنرقص •

وفهمت روزا من حركاته ما يريد ووقفت تضحك • وأخذ الكابتن
الثمل وشريكته البدينة يدوران حول الغرفة • وبعد دورتين سقطت
روزا منهكة على كرسي تلهت وتكرر كلمتها الانجليزية !

وعندئذ رقص الكابتن بيرفيس مع فرنسيسكا والميجر جوبولو
مع تينا • وأخذوا يدقون الارض ويضحكون ويتكلمون بصوت يعلو
على الموسيقى ، الى أن قال توماسينو متجها : انكم تحدثون
غوغاء وسوف توقظون البنات •

وجرت تينا وخففت من صوت الراديو •

وسأل الميجر : أى بنات ؟

واحمر وجه تينا وقالت : بنات أختى •

- بنات فرنسيسكا ؟

- لا بنات أختى التى فى روما •

ولم يدر بخلد الميجر جوبولو أن يسأل لماذا يوجد الاولاد فى

أدانو بينما الأم في روما ؟ ولا لماذا احمر وجه تينا ؟ ولا لماذا
بدا عليها أنها لا تميل الى التحدث في موضوع البنات النائمات ؟
وقالت : لنرقص مرة أخرى •

وهكذا رقصا حتى تصببا عرقا في حرارة منتصف الصيف •
وقد كانت تينا هي التي قالت : هل تريد هواء نقيا يامستر
ميجر ؟

وقال هو : انها تكون فكرة حسنة •

وقالت تينا : « نستطيع أن نخرج الآن »

وتسحبت من باب خشبي الى بلكونة ضيقة فوق الشارع
المظلم ، وتبعها الميجر • وسمع الكابتن بيرفيس خلفه يقول
لجيوزيبي : « هاهو ابن الحرام يخرج ليسترسل في حديثه
بالإيطالية • كيف تريدني أن أنزل بينما أنا مضطر لابقائك
بجوارى يا جيوزيبي »

وأغلقت تينا الباب الخشبي خلف الميجر •

ووقف بجوار سور البلكون الحديدى البارد وحدا في النجوم ،
وقالت تينا : « هل يعجبك هذا المكان ؟ »

وأجاب الميجر جوبولو : « لم أحس بمثل هذه السعادة طول
حياتي »

وقالت تينا : « هذا عجيب مع هذا البعد الشاسع بينك وبين
بلدك • »

- « لست بعيدا جدا عن بلدى ، لان فلورنسا تكاد تكون

بلدى • فأبى وأمى من بلدة صغيرة بجوار فلورنسا » •

- « ومن أى ولاية أنت • أعنى فى أمريكا ؟ »

- « البرونكس ياتينا • »

- « وأين البرونكس هذه ؟ »

- « نيويورك • »

- « هل البرونكس جزء من مدينة نيويورك ؟ »

- « أنا أعتقد فى بعض الاحيان أن مدينة نيويورك جزء من البرونكس »

- « آه • يجب أن أذهب لهنالك • هل البرونكس جميلة؟ هل المكان جميل لاهالى فلورنسا؟ وكيف يكون الحال لشخص من أدانو ؟ »

- « انه مكان جميل جدا فى نظر والدى الفلورنتيين • نعم • انه مكان جميل • لقد كانا فى ايطاليا مجرد فلاحين فقيرين، وأنت تعلمين أن الحياة ليست جميلة معنا للفلاحين الفقراء • أما هناك فابى جرسون • أن عنده وظيفة مريحة فى نادى الجامعة • فى وسط ظريف • الكراسى من الجلد كما فى السراى هنا ، والجدران مكسوة بالحشب • ان الحياة هناك جميلة جدا بالنسبة لهما • أما بالنسبة لى فلم تكن الامور دائما كما أشتهى » •

- « لماذا يا مستر ميجر ؟ »

- « من الصعب أن أشرح لك • اننى نشأت فى أمريكا وبدا لى أن البرونكس ليست أجمل ما فى أمريكا • لذلك كنت أشتهى دائما أكثر مما عندنا • لا أدرى • من الصعب أن أفسر لك ذلك • »

وقالت تينا : « لا • لست فى حاجة لان تشرح لى • اننى أعرف صعوبة احساس الانسان بالقلق وعدم الرضا • ذلك هو السبب فى أن شعرى أشقر فيما أظن • »

لقد كان الميجر جوبولو قد وطن النفس على أن شعر تينا مصبوغ ، ولكنه لم يكن يتوقع أن تتحدث هى عنه •

وأحست تينا بارتباكها : « ان شعرى ليس طبيعيا يا مستر ميجر • لقد صبغته لاننى لم أكن راضية عنه • أن شعرى الاسود هو مدينة برونكس بالنسبة لى • لقد كانت الفتيات جميعهن سود الشعر و اردت أن يختلف لون شعرى • »

وقال الميجر بأدب : « لقد ظننت بادى الامر أنك قد تكونين من شمال ايطاليا . »

وضحكت تينا وقالت : « حدثنى عن نفسك »

فقال : « ليس هناك ما يستأهل الحديث عنه »

- « هل ذهبت الى احدى جامعات أمريكا ؟ لقد رأيتها فى السينما فى فيشينامارى ؟ »

- « لا . لقد ذهبت الى المدرسة حتى السادسة عشرة . ثم كذبت فيما يتعلق بسنى ، وقلت ان عمرى ثمانية عشرة لاحصل على رخصة قيادة وأجد عملا . فعملت سائقا للورى حتى سن العشرين ، ثم أصبت بحادث بسبب رفعى لاشياء ثقيلة . »

- « أى نوع من الحوادث يا ماستر ميجر »

- « فتق . وبعد الحادث بقيت شهرين دون عمل . والبقاء دون عمل فى الولايات المتحدة متعب جدا . وأخيرا وجدت عملا ككاتب فى مخزن بقالة بائنى عشر دولارا فى الاسبوع . »

- « كم يساوى هذا الاجر ؟ »

- « ألفا ومائتى ليرة . »

- « ألفا ومائتى ليرة . لابد أنك كنت غنيا جدا . »

- « لا ياتينا . ان ألفا ومائتى ليرة مبلغ كاف فى ادانو »

- « مبلغ كاف . بلا شك . أن ستمائة مرتب كبير . ان والدى كان يعتبر ربح ستمائة أسبوعا ناجحا . . ولكنه لم يخرج للصيد منذ زمن طويل . » قالت ذلك فى صوت حزين .

« ولكن هذا المبلغ ليس كبيرا فى الولايات المتحدة . »

- « هل تريد أن تقول ان كل الناس أغنياء فى البرونكس ؟ »

- « لا . لا أريد أن أقول ذلك ياتينا . كل ما فى الامر أن مستوى معيشتنا أعلى من مستواكم »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « من الصعب شرح ذلك • كل ما فى الامر أن كل واحد يملك أكثر مما يملكه الفرد هنا • أن أغلب الناس يملكون سيارات فى زمن السلم • والطعام أفضل قليلا • فكل واحد يحصل على عصير البرتقال واللبن وأشياء من هذا القبيل • وأجورهم أكبر ، وهم لذلك يدفعون ثمنا أكثر لما يشترونه • »

- « وبتعبير آخر : الامر هو كما قلت تماما ، الكل غنى فى البرونكس »

- « ليكن لك ما تريد • وعلى كل حال فقد لعب القدر دورا كبيرا فى حياتى ، فقد ذكر لى أحد أصدقائى ذات ليلة أن امتحانات ستعقد لوظائف فى حكومة المدينة • »

- « مدينة البرونكس ؟ »

- « لا يأتينا مدينة نيويورك • وقال لى اننى يجب أن أتقدم للامتحان ، فقلت له اننى لم أحصل على الكفاية من التعليم ، ولكنه قال لى أنه يجب أن أتقدم وأجرب حظى ، وفعلت وكان ترتيبى الـ ١٧٧ من بين ١١٠٠ ، ولقد رفع ذلك من تقديرى لنفسى ، فقد أثبت أننى على شئ من المعرفة • وقد عينونى فى وظيفة كاتب بإدارة الضرائب والمالية • »

- « وهل أصبحت بذلك غنيا ؟ »

- « لا • أن تحصيل الضرائب فى نيويورك لا يجعل الانسان غنيا • كان مرتبى عشرين دولارا فى الاسبوع ، أى ألفى ليرة • »
- « ألفان • هذا غنى كبير ! »

- « وكنت ناجحاً فى عملى ، ولكنهم انتخبوا رجلاً يدعى لاجوارديا ، ولأنه كان من حزب غير حزب سابقه فصل عددا كبيرا من الناس ، وكنت واحدا منهم • فاقترضت بعض المال من حماتى ••• »

- « حماتك ؟ هل كنت متزوجا ؟ »

- « نعم ياتينا . سأشرح ذلك فيما بعد . اقترضت ذلك المال ، واشتريت مخزن بقالية في البرونكس ، وأصبح المخزن كله ملكي . ولكن بعد سنتين ساءت الحالة ، وأصبحنا في أزمة ، واضطرت لبيع كل المحل قبل فوات الوقت . وعدت للمدينة طالبا أن يعيدوني للعمل ، لانهم كانوا قد أرسلوا لى اشارتين عندما كنت أملك محل البقالة ، يقولون أنهم يريدوننى . وسألوني لماذا لم أرد على اشاراتهم ؟ فقلت انها لم تصلنى ، ولا بد أننى كنت فى فلوريدا عندما أرسلوها . »

- « وأين فلوريدا ؟ »

- « انها فى الجنوب ولم أذهب اليها مطلقا . وكانت هذه هى المرة الثانية التى كذبت فيها لأحصل على عمل . ومن وقتها وأنا أجتهد ألا أكذب أبدا . ان الصدق أفضل وأسلم . فأعطوني عملا فى الادارة الصحية . وبعد فترة امتحنت للترقية لكاتب من الدرجة الثالثة ، ثم حصلت على وظيفة كاتب من الدرجة الثانية . وكنت أكسب اثنين واربعين دولارا فى الاسبوع عندما التحقت بالجيش . (وبدأ الميجر جوبولو يفاخر بثروته التى لا وجود لها) : كان ذلك يعادل أربعة آلاف ومائتى ليرة أسبوعيا »

وقالت تينا : « الزوجة ؟ هل كانت جميلة ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « نعم انها جميلة جدا ، أو على الاقل تبدو كذلك فى نظرى . اننى أشعر بغياها . ان بذقنها من الجهة اليسرى ندية . أما فيماعد ذلك فهى جميلة جدا . انها من أصل ايطالى ، وبشرتها سمراء مثلك ، وانك - من بعض النواحي - تذكرينى بها . »

لقد كانت تينا طول ذلك الوقت تنظر الى النجوم ، ولكنها فجأة نظرت الى أرض الشارع المظلمة ، ثم قالت : « لنعد الى الداخل ونرقص » ! وفتح الباب وأتجهت الى الداخل . وتبعها الميجر جوبولو .

أما كابتن بيرفيس فقد كان قد استهلك كمية ضخمة من نبيذ
توماسينو ، وبدأ أيضا يق الحاضرين ، ولذلك أقنعه الميجر جوبولو
بالعودة الى منزله ، وأخذ هو وجوزيبي الى داره .

ولما عاد الميجر جوبولو الى مسكنه وخلع ملابسه ودخل الى
سريره ، أحس بأنه تعيس . ولم يدرك سبب تعاسته الا في نحو
الساعة الثالثة صباحا . ان مما يتعس الانسان أن يشعر بأنه
بعيد عن وطنه بمثل المسافة التي تفصل ما بين البرونكس نيويورك
ومدينة ادا نو بايطاليا .

الفصل الثانى عشر

وفى الغد جلس الكابتن بيرفيس وقد وضع رجله على مكتبه وكان مزاجه معكرا .

وكان الجاويش ترابانى خارج المكتب ، وقال الكابتن بيرفيس الى الامباشى النوبجى شاكشولتز : « هذا الميجر جوبولو . . . لقد كنت بدأت أحبه ، ولكنه يا الله ! ماأسخفه . لقد كنت بدأت أمس أستمتع بالسهرة عندما انقض على صاحبيا لم يذق الخمر وأخذنى الى بيتى »

وسأل الامباشى شولتز : « هل بدأت تسكر من نبيذ داجو الاحمر ؟ »

وقال الكابتن : « نعم ! هناك صياد عجوز أخذنى جيوزيى الى منزله ، لان عنده زغولتين جميلتين ، فقدم الى نبيذه الاحمر » !

وقال الامباشى : « هذا النبيذ القاتل ياكابتن . انه يسبب لك اسهالا لا ينقطع »

وقال الكابتن : « هذا صحيح وأنا متعب هذا الصباح ، ولكن هذا لا ينهض عذرا للميجر لمعاملتى بمثل هذه المعاملة »

وقال الامباشى شولتز : « ان هذا النبيذ ضار جدا ياسيدى ، ولاأظنك تريد أن تتناول هذا النبيذ بأكثر مما تستطيع . لقد شربت منه بعض الشئ أمس وأجدنى مضطرا للذهاب كل عشر دقائق منذ الصباح . »

وقال الكابتن بيرفيس : « صحيح لقد أتممت ست رحلات منذ الصباح ، ولكننى لاأزال حاقدا على الميجر »

ولم يكن الامباشى شولتز من غواة الحديث ، ولذلك صمت الاثنان ، وتشاءب الكابتن بيرفيس ، وتمطى ، وحقق فى الطريق بضع

دقائق ، وتثائب ثانية ، ثم وقف ومشى حول الغرفة ، وجلس ثانية ،
وتثائب ثم قال : « اننى متضايق . ليت عندى ما عمله ! »

ومال على كرسیه ووضع قدمیه على المكتب ثانية . وفيما هو يمد
رجليه ، أوقع بعض الاوراق التى على المكتب . ثم قال : « لعنة الله
على هذه الاوراق . قد أحسن عملا بتنظيف هذا المكتب اللعين مما
عليه ، فلامفر من عمل ذلك فى يوم من الايام . »

وانحنى الى الارض وجمع الاوراق المتناثرة ، وبدأ يفرز
الاوراق ويضعها فى أكوام ، ورمى البعض ، ووضع البعض
الآخر فى ملفاته ، وقرأ بعضها بصوت مرتفع للامباشى شولتز
الذى لم يكن مهتما بالموضوع أقل اهتمام !

وفى أثناء ذلك تناول ورقة قرمزية ثم قال : « يا لعنة
ما هذه ؟ » وقرأ : « فى ١٩ يوليو صدرت أوامر من الجنرال مارفن
قائد الفرقة ٤٩ بمنع دخول عربات البغال الى مدينة
ادانو ، وعين حراس عند كوبرى النهر الاحمر ومعمل تكرير
كاكوباردو للكبريت . ونفذ الامر ، وفى ٢٠ يوليو رفع الحرس بناء
على امر الميجر فيكتور جوبولو . » !

وضرب الكابتن بيرفيس المكتب بقبضة يده ، ثم صاح : « لعنة
الله ! أين ترابانى يا شولتز ؟ »

— « قال انه خارج الدقيقتين ياسيدى ، وقال انه عائد فورا . »
هل أستطيع عمل شيء ياسيدى ؟

— « لا . لعنة الله ! انتظر حتى يحضر هذا الترابانى . »
وحضر ترابانى بعد بضع دقائق . وقال الكابتن بيرفيس بمجرد
حضوره :

« هأنت . تعال هنا »

وقال ترابانى : « نعم ياسيدى »

ومد الكابتن الورقة القرمزية وقال : « ما هذا ؟ »

وتناولها ترابانى ونظر اليها : « هذا التقرير عن عربات البغال
ياسيدى ! قال ترابانى ذلك ببورد : « لقد طلبت منى أن أعد
تقريراً . ألا تذكر ؟ »

— « انك على حق وأنا أذكر ذلك . والى أى جهة قلت لك أن
ترسله ؟ »

- « كان يجب أن يرسل الى الجنرال فى الفرقة ياسيدى » !

- « حسنا • عليك اللعنة • ولماذا لم ترسله ؟ »

- « لقد وضعته على مكتبك ياسيدى لتقرأه » •

وأخذ الكابتن بيرفيس ينفخ ويتململ • انه ليعلم أنه لا يبدى
بمكتبه من الاهتمام ما كان يجب أن يبدىه : « حسنا • لعنة الله !
لنرسله الآن فورا • أريد أن أراك بنفسى ، وأنت تضع هذا
التقرير فى كيس البريد الذاهب الى الفرقة » •

وجلس الجاويش ترابانى لفوره ، وكتب العنوان على ظرف ،
وأدخل فيه قطعة الورق ، ووضع الظرف فى الكيس المزمع ارساله
بعد الظهر لرئاسة الفرقة • لقد كتب العنوان للشخص غير ذى
الاختصاص فى الفرقة ، ولكن الكابتن بيرفيس لم يلاحظ ذلك •

الفصل الثالث عشر

وصل رسول يتصبب عرقا يحمل رسالة الى مكتب الميجر جوبولو . وكانت مكتوبة بالانجليزية : « يجب أن أراك فوراً » والتوقيع « م . كاكوباردو » .

وبعد وصول الرسول بأقل من خمس دقائق ، وصل كاكوباردو بنفسه ، مرتديا ملابس السفر . كان يلبس قفازا من الجلد ونظارات واقية ، وكان يحمل مظلة خضراء فى يده اليمنى .

وتقدم الرجل البالغ من العمر اثنين وثمانين عاما نحو مكتب الميجر ، ثم انحنى على المكتب ونظر من فوق كتفيه الى جيوزيبى وزيتو ، ثم نظر الى الميجر ، وقال فى همس مسموع : « أريد أن أتحدث اليك وحدك : »

وطلب الميجر جوبولو من ترجمانه وحاجبه أن يخرجوا .

وقال الرجل العجوز وهو لا يزال يهمس بصوت مسموع : « لقد وصلتني رسالة سرية من ألمانيا (جمعية سرية) . . . »
« عندي الاسرار الحربية عن مواقع الجيوش الالمانية . يجب ارسال جنودك يامستر ميجر »

وقال الميجر جوبولو : « ليس عندي جنود . اننى مجرد الضابط الادارى لادانو »

وقال كاكوباردو : « لابد أن أذهب للجنرال . اننى مستعد »

وقال الميجر جوبولو : « لحظة يامستر كاكوباردو . اننى لأستطيع أن أرسل كل من هب ودب لرؤية الجنرال مارفن . لابد أن تقدم لى الدليل على صحة معلوماتك »

ووضع كاكوباردو العجوز يد فى جيبه وأخرج ورقة وبسطها

على مكتب الميجر جوبولو وقال : أنظر: هنا بينارو • وهنا التلوي
أمام بينارو ، وهنا الالمان • هنا جزء من سلاح الدبابات الثالث
والاربعةين • جزء من هرمان جورنج • ان لدى كل التفاصيل

وقرر الميجر جوبولو لساعته أن هناك احتمالا قويا أن تكون
معلومات الرجل العجوز صحيحة، وأنه يجب أن يرسله للفرقة فوراً •
وقال: « سأرسلك للفرقة يا مستر كاكوباردو ، ولكن يجب أن
أحذرك • ان الجنرال رجل ضيق الصدر ، وإذا كانت معلوماتك
غير صحيحة فسيغضب أشد الغضب، ولا أدري ما الذي سيفعله
بك ، ولكنه على كل حال لن يكون ساراً • وكذلك أريد أن أطلب
منك ألا تخلق لي متاعب ، فان علاقتي بالجنرال مارفن ليست
على ما يرام • عدني أن تكون محتاطاً • هل تعد ؟ »

وقال كاكوباردو « سأحتاط، ولكن الخبر مهم »

وحرر الميجر جوبولو تصريحاً لكاكوباردو ، وأرسل يطلب
سيارة جيب •

وتحرك كاكوباردو خطوة الى الخلف ثم حيا بالتحية الفاشية ،
ولكن ذاكرة العجوز تنبهت ، فحرك يده الى جبهته ، فانقلبت
الى تحية عسكرية ، وقال : « كاكوباردو هو الكبريت
والكبريت هو كاكوباردو » ! ثم استدار على كعبه بطريقة عسكرية
بقدر ما استطاع وخرج •

ولم يقل كاكوباردو العجوز كلمة واحدة لسائق الجيب طول
المسافة من السراي بادانو الى مقر القيادة في فيشيناماري • فقد
جلس مائلاً الى الامام مواجهاً الريح ، ونظاراتاه على عينيه ،
ومظلته مشدودة فوق رأسه • وكان حاجز الريح في الجيب
نازلاً ، وفوقه الغطاء القماشى في الوضع الذي يجب أن يوضع به
عندما يكون هجوم العدو محتملاً، ولذلك كانت الريح قوية جداً •
وبعد لحظة قرر كاكوباردو العجوز أن الشمس أفضل من الريح ،
ولذلك أنزل مظلته ووضعها أمامه ليتقى بها الريح •

وكانت الفيلا التي تشغلها الفرقة التاسعة والاربعون في ذلك
الوقت مملوكة لـ احد أصدقاء كاكوباردو • وكان كاكوباردو
وصديقه مغرمين بالاثاث الايطالى، لذلك فان كاكوباردو كان يعلم

قيمة الاثاث الموجود بتلك الفيلا . ولقد مات ذلك الصديق ، ولكن
كاكوباردو أصبح من العسير عليه أن يتذكر أى أصدقائه قد توفي
وأيهم لا يزال على قيد الحياة . لذلك كان يفكر فيهم جميعا على
أنهم لا يزالون أحياء ، فقد كان ذلك أسهل .

ولانه كان يدخل فيلا مملوكة لصديق له يعتبره حيا ، تقدم
كاكوباردو الى البوابة كما لو كان مقدما على زيارة حبة .
ولذلك كانت دهشته لامثيل لها .

انه من العسير على من لم يسبق له أن حاول مقابلة جنرال أن
يتصور نوع الاستقبال الذى استقبل به كاكوباردو .
أوقفه ديدبان عند البوابة .

وقال كاكوباردو كما لو كان يحدث خادما على باب صديقه :
« صباح الخير . هل صديقى سالاتيلىو هنا ؟ »

وقال الحارس : « لأعرف أحدا بهذا الاسم هنا . أى شىء هو ؟
وسأل كاكوباردو سائق الجيب عن معنى هذين الحرفين ب . ح .
وقال السائق : « بوليس حربى »

— « بوليس حربى ! طبعا لا . انه مدير فيشيننا مارى وغاوى
تحف خشبية . انه صديقى وهذه الفيلا ملكه ، هل هو هنا ؟ »
وصاح الديدبان فى شخص مستلق داخل البوابة : « اسمع
يا هذا هل سمعت عن شخص هنا اسمه — ماهو الاسم ثانية ؟ »

— السيد سالاتيلىو . انه صديقى .

— سالادوليو ؟

وقال باك : « لا . لا يوجد أحد هنا باسم كهذا الاسم . »

وقال الديدبان : لا أحد هنا بهذا الاسم !

وقال كاكوباردو : اذن فأين الجنرال مارفن ؟

لقد روض رجال البوليس الحربى على أن يكونوا حريصين مع
الاجانب ، ولذا أجاب الديدبان : لا يا حبيبى . لا أستطيع أن أقول
لك .

وقال كاكوباردو بعد أن أخرج التصريح من جيبه : « عندى ورقة
لمقابلة الجنرال مارفن » .

وقال الديدبان : « يا للمصيبة ، لماذا لم تقل ذلك . معك تصريح !

مؤكد الجنرال هنا « لثم صاح في زميله : « الرجل العجوز هنا
ياباك ، أليس كذلك ؟ »

- أجل . أظن أن العجوز وصل من نحو نصف ساعة .
وقال الديدبان : « نعم . انه هنا . لماذا تريد أن تقابله ؟ »
واخرج كاكوباردو الخريطة وقال : « أستطيع أن أبين لكم
مواقع الالمان »

وأشار الديدبان في الطريق الى مدخل الفيلا وقال : « هناك .
في هذا الباب المواجه لك » .

وسارت الجيب الى الباب الأصلي . وكان هناك ديدبان آخر .
ولما حاول كاكوباردو أن يمر من الباب وضع الديدبان سنجته
تمنع المرور . وجفل كاكوباردو خائفا . وقال : « أنا لست من
الأعداء . ان عندي تصريحاً لمقابلة الجنرال مارفن » ، وقدم
التصريح . لقد فهم كاكوباردو ما يجب عمله وبسرعة لرجل في
سنه .

وتساول الديدبان التصريح وقال : « أشك يا أخ أنك تستطيع
أن تقابل الجنرال فوراً ! انه لا يجب أن يقابل أحداً في الصباح !
انتظر دقيقة : ثم نادى الديدبان على امباشى الحرس .

وعاد امباشى الحرس فوراً وقال : « من هنا » . ثم قاد
كاكوباردو الى رجل جالس أمام مكتب .

وقال الرجل بتجهم : اسمك ؟

- كاكوباردو .

وقال الرجل المتجهم : « هل هذا اسم يا الهى أم لقب ؟ »

- وقال كاكوباردو : « هذا لقب أسرتى »

- وكيف تتعجأه ؟ »

وتهجى كاكوباردو الاسم ، وكتبه الرجل بصعوبة . . .
كاكوباردو

وقال الرجل المتجهم : « الاسم الاول ؟ »

- ماتيو .

- لعنة الله ! يجب تهجى هذه الاسماء الإيطالية ؟

وتعجأه كاكوباردو وكتبه الرجل خطأ . . . !

- تريد أن تقابل من ؟

- الجنرال مارفن .

وقال الرجل : ليس هناك أمل فى أن تراه ! يا للمصيبة !
ان الحرب دائرة يا حضرة . لماذا تريد مقابلة الجنرال ؟

ومد كاكوباردو يده الى جيبه يستخرج الخريطة ، وقال :
أستطيع أن أبين لكم مواقع الالمان !

وقال الرجل مشيرا بقلمه : يحسن أن تكلم الوكيل عن ذلك . . .
الباب الاول على اليمين ، حيث كتب عليه : الكولونيل هندرسون .

وذهب كاكوباردو الى الباب المكتوب عليه « هندرسون »
وطرقه . وصاح صوت من الداخل . . . أدخل : لعنة الله !

وسأل كاكوباردو : « الجنرال مارفن ؟ »

وقال الصوت القلق ، صوت كولونيل بكامل برته : فوق .
فوق . وبدأ كاكوباردو يتحرك ، ولكن الكولونيل صاح به :
اسمع ، انتظر قليلا !

واستدار كاكوباردو ، وقال الكولونيل : من أنت على أى حال ؟
- كاكوباردو ماتيو . أرسلت لمقابلة الجنرال .

وقال الكولونيل : ان الجنرال مارفن لا يحب الايطاليين . لماذا
تريد أن تقابله ؟ يحسن ألا تطلب منه أية مساعدة أو استثناء ، فإنه
سوف يرفضك الى خارج الغرفة بنفسه !

وبحث كاكوباردو عن الخريطة وقال : أستطيع أن أبين لكم أين
يوجد الالمان .

- ليس من عملك أن تبين ذلك للجنرال مارفن . ماذا تظن
واجب مساعدة الجنرال ؟ ولماذا وجد ؟ يمكنك أن ترينى هذه
الخريطة . . .

- « لقد أرسلت لمقابلة الجنرال مارفن وهو الشخص الذى اريد
مقابلته »

وبعد مناقشة مع الكولونيل « هندرسون » أرسل « كاكوباردو
محروسا الى الدور الأعلى ، ووقف ووجه اليه ديدبان على رأس السلم
أسئلة ثم أعاده للدور الاسفل ، لأنه لم يكن يحمل تصريحاً صادراً
من الفرقة . واعطى التصريح ، واخذ ثانياً للدور الأعلى ، وسئل
عن عمره وديانته ومعتقداته السياسية وجنسه ، بواسطة

جاويش ، ثم ناقشه ضابط من اركان حرب الجنرال الذى ابدى
شكه فى أن الجنرال يستطيع مقابلته ، وحوله الى الكولونيل
ميدلتون ، رئيس أركان حرب الجنرال . وقد استجوبه سكرتير
الكولونيل الذى قال له ان الكولونيل مشغول جدا .

وأخيرا أدخل على الكولونيل « ميدلتون » الذى وافق بعد
مناقشة على أن يتحرى ما اذا كان الجنرال يستطيع مقابلته ، وان
كان يشك فى امكان ذلك .

وفى هذا الوقت كان الجنرال « مارفن » يلعب مع مساعده
اللفتنان بيرد النيشان بمطواه ، وكانا قد اكتشفا ان احدى
الطاولات من الخشب الموجهة تلتقط المطواة بسهولة . وكان
الجنرال قد رفع يده الى أعلى رأسه بالمطواة . فلما دخل الكولونيل
« ميدلتون » فى الوقت الذى قذف الجنرال بالمطواة ، كان لدهشة
دخوله ما أفقد الجنرال اصابة الهدف ، وتدرجت المطواة على
الطاولة دون ان تثبت بها . وضايق هذا الجنرال . فصاح :
« يا لعنة ! ألم أقل لك أن تطرق الباب قبل أن تدخل »
يا ميدلتون ؟

— نعم ياسيدى . يوجد رجل ايطالى عجوز يريد مقابلتك . . .
— ماذا جرى لك يا ميدلتون ؟ ألم أقل لك اننى لا أريد أن أقابل
ايطالين ؟

— نعم ياسيدى ، ولكن يبدو أن هذا الرجل فوق المتوسط .
انه أرسل اليك من قبل أحد رجالنا ، وهو يقول ان عنده
معلومات تهكم .

— لعنة الله عليه ! أدخله . لماذا أنت واقف هكذا ؟ قلت لك
أدخله .

وأخيرا وصل كاكوباردو أمام الجنرال . وكان قد بلغ به
الغضب مثلما بلغ بالجنرال . ولما كان هو أكبر من الجنرال بعشرين
سنة اعتبر أن من حقه أن يظهر غضبه أولا !

ووجد سبيله لاطهار غضبه فيما رآه على وجه الطاولة الموجهة
من آثار فقال : « انكم متوحشون » !

ولم تكن هذه طريقة مقبولة من كاكوباردو العجوز لبدء
الحديث مع الجنرال « مارفن » ، خصوصا أن موقفه كان ضعيفا

لسببين : الاول أنه وجد الجنرال فى ساعة غضب ، والثانى أنه
إيطالى . وقال الجنرال فى صوته المعروف : نحن ماذا ؟

- قلت انكم متوحشون . كيف تجرأون على اتلاف طاولة
صديقى « سالاتيللو ؟ »

ومن باب الجدل المحض لم يكن ليحدث أى فرق ، لو ان الجنرال
مارفن كان يعلم أن « سالاتيللو » قدمضى على وفاته ثلاثة عشر عاما !
لقد بلغ الغضب بالجنرال حد ليس عليه من مزيد : يا لله ! من
هذا الايطالى ؟

- ان هذه الطاولة قد صنعها سيركا فى عام ١٧٧٥ ، فى وقت
لم يكن قد أصبح لبلدكم وجود بعد يامتوحش ! لقد نحتها
فنشونزو بيانكى من بارما . اننى لا أستطيع أن أقدر ثمن هذه
الطاولة . انكم خنازير ، اذ تخططون وتتلفون سطحها .

وصاح الجنرال : خذوا هذا الايطالى المجنون من هنا !
وجرى الكولونيل ميدلتون والفتنانت بيرد ، وأمسكا
بكاكوباردو ، وأخذوا يدفعانه الى خارج الغرفة .
وصرخ الجنرال : انتظرا . من الذى أرسل هذا المغفل الى هنا
ياميدلتون ؟

- لست أدري باسيدى ! انه ميجر .
- لا تعرف . لعنة الله عليك ! ان من واجبك أن تعرف .
وسأل الكولونيل ميدلتون كاكوباردو : من الذى أرسلك
الى هنا ؟

- صديقى الميجر جوبولو الذى ليس متوحشا !
وقال الكولونيل ميدلتون . من أى وحدة هذا الميجر ؟
وقال كاكوباردو العجوز : ادانو . من ادانو . من بلدى
أدانو .

وصاح الجنرال : ادانو . ان هناك شيئا بخصوص هذا المكان!
ماذا لدينا بخصوص ادانو ياميدلتون ؟ لعنة الله . ماهو ؟
وقال الكولونيل ميدلتون : « العربية يا جنرال » . . . ولم
يكن الكولونيل ميدلتون يستطيع أن ينسى ادانو طوال حياته .
- العربية ؟ أى عربية ؟ لعنة الله ! لا تتحدث بالالغاز ياميدلتون !
أى عربية ؟

- العربية التي أزعجها من الطريق ياسيدى • البغل الذي أطلقنا عليه الرصاص يا سيدى!

وتذكر الجنرال مارفن وزادت الذكرى من تجاهم وجهه ، وقال
أذن ذلك هو الميجر الذي أرسلك ، ما اسمه ثانية • اننى أريد أن
أذكر ذلك الاسم •

وقال ميدلتون : « جوبولو »

وصاح الجنرال مارفن : جوبولو • اكتبه يا ميدلتون وتذكر
هذا الاسم • هذا الميجر الملعون • هو أيضا أمريكى ايطالى ! لقد
تذكرت الآن • انه ايطالى ملعون ، أليس كذلك يا ميدلتون ؟

ورغبة فى ألا يظلم أحدا ، قال الكونونيل ميدلتون : لا أذكر
يا سيدى !

وصاح الجنرال مارفن : ولكننى أنا أذكر • والآن اقدفوا
بهذا الايطالى المجنون ابن الكلب من هنا • واذا سمحت لأى
ايطالى بالدخول هنا يا ميدلتون فسأسخطك الى ملازم ثان !

وقال ميدلتون : نعم يا سيدى !

وبينما هما يخرجانه ، قال كاكوباردو : ولكن عندى معلومات!
استطيع أن أقول لكم أين مواقع الألمان • انها معلومات هامة •
الألمان • الألمان •

ولكن الغضب كان قد أخذ من الجنرال مأخذه ، فأخرج
كاكوباردو ، وأعيد الى مدينته دون أن يتمكن من حمل أحد
- حتى ولا الديدبان الواقف على البوابة - على أن يصغى الى
وصفه لمواقع الألمان أمام «بينارو» •

الفصل الرابع عشر

لقد كان الكابتن بيرفيس يكثر من انتقاد الميجر جوبولو وراء ظهره . أما في حضرته فقد كان يظهر الترحاب بل الصداقة ! وقد جمع بين الرجلين زيادة على اشتراكهما في اللغة أمر جديد هو معرفتهما لفتاتين أختين . وهذا يكفي - في بلاد الغربية - لخلق صديقين من عدوين لدودين .

وفي ذات يوم ، وهما يتغديان ، تحدثا عن الفتاتين . تحدثا كما يتحدث الأمريكان عن الفتيات وهم في الغربية . وقال الكابتن : تلك الفتاة الصغيرة فرنشيسكا ، لاشك أن لها ثديين لا مثيل لهما .

وقال الميجر جوبولو : أنا أعتقد أن الشقراء أكثر نضوجا وقال الكابتن : يا أخى أنا مستعد أن أبادلك النضوج بثديين جميلين في أى يوم تشاء من أيام الاسبوع ! وقال الميجر : هذه مسألة ذوق !

وقال الكابتن : أنا مستعد أن أذوق الصغيرة ! شكرا . أن مجرد التفكير فيها يهيجنى ! ما رأيك ؟ نذهب الليلة هناك لنراهما ؟

وقال الميجر : لنفعل . ان ذلك يسلينا ! ثم أخذ يتسائل عما دفعه لأن يوافق على اقتراح الكابتن بهذه السرعة . ان نظرة الكابتن لهاتين الفتاتين كانت تؤذى الميجر . لقد كان الكابتن ينظر الى الفتاتين كما لو كانتا من سقط المتاع ! انه ينظر اليهما - فيما يبدو - كما لو كانا شيئا يباع ويشترى ، كالبطيخ الايطالى والعنب والنبيذ الاحمر . وكان الميجر يأبى على نفسه أن ينحدر الى مثل هذا التفكير .

ومع ذلك فقد بادر بقبول دعوة الكابتن . وعاد نفا .

التصرفات الجنونية ليلة أن كانوا عند توماسينو. ذكر الحلوى المصمغة ، وصراحة تينا فى التحدث عن شعرها الاشقر الصناعى ، وفى حديثه عن حياته وعن زوجته ، وعن احساسه بالوحدة فى نهاية الليل . وخطر له أن الموضوع كله غريب .

ولكن الواقع أنه لم يكن غريبا ، بل بسيطا فى الحقيقة . انه يمثل الطريقة التى يشعر بها الامريكان العاديون حين يغتربون . وربما كان ذلك شأن البريطانيين وأغلب الالمان واليابانيين أيضا . أنه نوع معروف من الاحساس بالوحدة .

لقد كان المجر جوبولو يحب زوجته ، ويفتقدها بشدة . فلما وجد نفسه بعد عدة أشهر بجوار فتاة متوسطة الجمال تعطف عليه ، وجد نفسه مهتما بجمالها ، ثم أحس بالحزن ، وتحدث عن التى يحبها فى وطنه ، ثم وجد نفسه وحيدا ، ثم أخذ يفكر شيئا فشيئا فى الفتاة الجميلة القريبة منه ، وأحس بالخجل لتفكيره فيها ، وحاول ألا يفعل ، ولكنه لم يستطع .

ولم تكن حالته فريدة كما توهم المجر جوبولو ! لقد كان وحيدا بدرجة مؤلمة ! وكان يتصرف تماما كما يتصرف أغلب الرجال فى مثل وحدته . وكان الكابتن بيرفيس ، الذى له هو أيضا من يحبها فى الوطن ، يتصرف تماما كتصرف المجر جوبولو ، والفرق الوحيد هو فرق شخصيتيهما !

وهكذا حدث أن الشخصين المتباينين ذهبا فى ذلك المساء الى المنزل رقم ٩ بشارع فيكتور ايمانويل ، وقد غمرهما احساس مشترك ، وتوقعا نفس الشيء .

وفاجأ المجر جوبولو والكابتن بيرفيس أسرة توماسينو فى تلك الليلة ! لقد كانت روزا البدينة جالسة على أرض غرفة الاستقبال ، تنتف ريش فرخة ، وقد انتشر الريش فى أنحاء الغرفة ! وكان الراديو يدور ، وقد جلس بجواره بنتا الأخت التى فى روما على الأرض أيضا ! أما فرنسيسكا وتينا ، فكانتا فى بيجامتين زاهيتين اللون ، وقد استلقيتا احدهما بجوار الأخرى ، تقرأن معا رواية ايطالية رخيصة ، اسمها « قلب فى ثلاثة أجزاء » ! وقاد توماسينو ، الذى فتح الباب ، الامريكيين فى غير ما سرور - الى الداخل دون أن ينبه الى حضورهما .

ونفض الجميع فجأة . البنات الصغيرات يصرخن ، وروزا البدينة تذكر الله بالانجليزية ، والفتاتان تحيان الامريكيين !

ولم يكن الكابتن بيرفيس قد ذاق نقطة من شراب ، وقد
اعتزم أن يسلك سلوكا حسنا ليبين للميجر أنه يستطيع ،
ولكنه لم يتمالك ، حين رأى الفتاتين في بيجامتهما ، أن يقول :
ها أنتما مستعدتان للسريـر يا فتيات .؟ هلم بنا . ماذا ننتظر؟
وأضمت أسرة توماسينو وضيـفاهما الدقائق الخمس التالية
على أيديهم وركبهم ، يجمعون ريش الفرخة ! ولما انتهوا قالت
روزا لتوماسينو : أيها الرجل الحزين .. ضع الاطفال في السريـر .
وقاد توماسينو الصغيرتين دون رفق . وذهبت روزا الى المطبخ
تحمل الريش والدجاجة لتتم عملها .

وبمجرد أن صار الضابطان والفتاتان في بيجامتهما وحدهم ،
قالت تينا : «مستر ميجر ، أريد أن أتحدث اليك» ! ومدت
بدها فتناولت يده ، وقادته الى غرفة نومها ! وصاح الكابتن
بيرفيس الذي كان صاحيا في هذه المرة : «لا تهجراني . اننى
لا أستطيع أن أتحدث الى هذا الشيء الجميل . الى أين أنتما
ذاهبان ؟» ثم أضاف : « يالك من ابن حرام محظوظ » !..
ثم جلس وقد وطن النفس على ليلة يائسة ، حديثه فيها بالاشارة .
وجلسـت تينا على سريـرها ، بينما جلس الميجر على كرسي
مام طاولة خشبية .

وقالت تينا : أريد أن أسألك سؤالا يا مستر ميجر ؟
وقال الميجر : نعم ؟
ولم يكن ليعرف ماهو السؤال ، ولكنه شعر بأن ذلك سيسعده
ايا كان السؤال !

فقالت : ما هى المدة التى تظن أن الحرب ستستغرقها .
على أرض ايطاليا .. أعنى ؟
ولم يشعر الميجر بأنه سعيد كما توقع ، ولكنه قال : هذا
سؤال خطير ! دعينا من حديث الحرب . أن ذلك ما أفعله طول
اليوم . الحرب ، الحرب ، الحرب !

- ولكن عندى سببا خاصا يجعلنى أود أن أعرف . كم
من الوقت تعتقد أنها ستستمر ؟

وسأل الميجر بصوت مرير : وكيف تريدني أن أعرف ؟
لو عرفت ذلك نوجب أن أعرف الكثير جدا من ترتيبات حملتنا ،

وان عرفت ذلك لعرفت أسراراً حربية ! ولا أستطيع أن أفضي
إليك بالأسرار ان كنت أعرفها !

— ولكنك تستطيع أن تحذر يا مستر ميجر ؟

— حسناً . تخمينى .. بعد شهرين !

— وما هى الفترة اللازمة بعد هذين الشهرين لاختلاء سبيل
أسرانا الإيطاليين ؟

وفهم الميجر جوبولو ما ترمى إليه بسرعة ، ولم يسره ذلك
أقل سرور : ألك محب أسر ؟

— المؤلم فى الموضوع اننى لا أدرى ان كان أسر أو قتل أو
ماذا ؟ لذلك أردت أن أتحدث إليك يامستر ميجر . لقد كنت
وجيزرجيو على وشك الزواج ...

— وماذا تريدنى أن أفعل ؟

— هل تستطيع أن تعرف من أجلى ان كان أسيراً يامستر
ميجر ؟

— ماذا تنتظرين منى أن أفعل . أن أطوف بجميع معسكرات
أسرانا ، وأسأل جميع الأسرى ان كانوا قريبين الى قلب تينا
التي تسكن أدانو ؟

— لا بد أن عندكم كشفا . أليس كذلك ؟

— هذا لا يدخل فى اختصاصى . اننى ضابط مدنى لمدينة
أدانو .

— أرجوك أن تساعدنى يا مستر ميجر . ان جهل المصير
أسوأ من معرفة أنه قد مات !!

— يحضر الي فى مكتبى مئات من الناس كل يوم يسألوننى
هذا السؤال ، وأقول لهم ان هذه ليست مأموريتى . أنرحى
الحرب لاتزال دائرة ، الاتفهمين ذلك ؟ ان أماننا معركة يجب
أن نخوضها . اننا لا نستطيع أن نقف وسط المعركة ، ونبدأ
خدمة أسئلة وأجوبة عن المحبين المخدولين .

— أوه ! لا تفعل يا مستر ميجر ! لقد كنت ظريفاً معى
لدرجة اننى ظننت ...

— الهذا رجبت بى ؟ الهذا أرسلت أباك يدعوننى لمنزلكم ؟
لكى أبحث لك عن عشيقك ؟

ووقف الميجر جوبولو : اننى آسف لانك تخطئين فهم طريقتى
فى العمل . اذا كان لديك عمل معى فلا تدعينى لمنزلك وتقدمى
لى حلوى ! احضرى الى مكتبى ، وأنا أعاملك كما أعامل الآخرين
على قدم المساواة !

ثم استدار ودخل الى الصالون ، فى الوقت الذى كان الكابتن
بيرفيس يرسم قلبا بسبائتيه وابهامه ، مشيرا أولا الى نفسه
ثم الى فرنشييسكا !

وقال الميجر : اننى ذاهب الى منزلى يا كابتن .

— لماذا ! يا للمصيبة ! لقد بدأت السهرة تحلو !

— لا . اننى قرفت من هذا ! اننى ذاهب لدارى ..

— حسنا . اذن سامحنى اذا لم احضر . لم أكن أظن اننى
أستطيع التحدث بأصابعى ، ولكننى نجحت نجاحا لا بأس به .
أراك غدا يا ميجر .

وانصرف الميجر . وحاول الكابتن بيرفيس أن يتمم ما كان قد
بدأ يقوله ، ولكن سرعان ما دخلت تينا والدموع تملأ عينيها ،
وقالت لفرنشييسكا بالايطالية عما حدث ، وجاءت روزا وسألت عن
الميجر ، وعاد توماسينو بعد أن وضع الاطفال فى السرير ، وتوقف
الكابتن بيرفيس عن التحدث باصابعه لانه حديث يستطيع الاهل
أن يفهموه كما تفهمه الفتيات ! ولذلك قام هو الآخر وغادر
المنزل !

وبعد ذلك غضب الميجر جوبولو من نفسه لتصرفه وغضبه
السريع من تينا ! وقال لنفسه انه ما كان له أن يتوقع غير ذلك !
وذكر نفسه أنه تحدث فى المساء السابق عن زوجته ، ومع ذلك
لم تستشط تينا غضبا كما فعل هو . ولكنه لم يستطع أن يحمل
نفسه على الاعتذار لها ، ومضت أيام وليال دون أن يراها .

ولم يكن له من سبيل ليعرف أن تينا كانت تحس بالوحدة
احساسه بها ، ولم يقدر أن الوحدة عند النساء تتخذ بعض
الاحيان نفس الطريق الذى تتخذه مع الرجال .

الفصل الخامس عشر

كان الاومباشى « شاك شولتز » من البوليس الحربى قد اعتاد أن يكثر الحديث عن كراهيته للنبيذ الاحمر ، ومع ذلك فقد كان لذلك النبيذ تأثير خاص فيه . وكذلك كان صديقه الحميمان « بيل وبولاك » من المعجبين بذلك النبيذ ، وكثيرا ما كان ثلاثتهم يشربون من هذا النبيذ معا .

وقد اعتادوا أن يشتروه من كارملينا زوجة فاتا الكسول بسعر دولار واحد للزجاجة . وفى ذات مساء اشتروا ثلاث زجاجات بثلاثة دولارات ، وذهبوا لمنزلهم يشربونها .

ويندر أن يكثر بوليس حربى من الشراب حتى النبيذ ، ولكن الاومباشى شاك شولتز كان نادرا بين رجال البوليس الحربى . وكان صديقه بيل وبولاك فى قسم المهندسين المشتغلين فى ضواحي أدانو . وكانا يقيمان فى نفس المنزل مع بعض رجال البوليس الحربى الآخرين .

ولم يكن شاك وبيل وبولاك يشربون النبيذ ليستمتعوا بمذاقه ، ولا كانوا يشربونه ليقارنوا بينه وبين أنبذة أخرى شربوها ، ولا كانوا يشربونها ليتمموا بها طعامهم ، بل كانوا يشربون ليسكروا ، لذلك لم يكن غريبا أنهم فى الليلة التى اشتروا ثلاث زجاجات بثلاثة دولارات بدأوا من أول الليل يتبادلون نكاتا قبيحة ، ويغنون بعض الاغانى ، ويتجادلون ثم يتململون ويقررون الخروج للنزهة . ولا كان غريبا أن تنقلب نزعتهم الى صخب ، ولا غريبا أنهم عندما اكتشفوا أن سيرهم فى الشوارع لم يأخذهم الى أى مكان الا أن يدوروا ويدوروا ، قرروا العودة الى مسكنهم . لم يكن ذلك غريبا ولكنه كان السبب فى المتاعب التى هبطت عليهم .

لو أنهم بقوا فى مسكنهم ولم يخرجوا للنزهة ، لكانوا فى أحسن حال . كذلك كانوا يكونون لو أنهم بعد نزهتهم لم يعودوا الى

مسكرهم سريعا ، بل استمروا بطوفون حتى طمس السكر على
بصرهم وأضاع حماسهم ، ولكن تصرفهم أوجدهم فى المتاعب .
واليكم ما حدث فى طريقهم الى مسكنهم . قال شاك شولتز :
حرب جهنمية .

وقال بولاك : ماذا حدث يا شاك ؟ هل تحس بالتعب من جديد؟
وقال شاك : لا . اننى فى أحسن حال ، ولكنها حرب جهنمية .
وقال بولاك : أثبت ذلك .

وقال بيل للمرة التاسعة فى تلك الليلة بالايطالية : واحد
اثنين ثلاثة أربعة خمسة .

وقال بولاك : اخرس يا بيل . أثبت أنها حرب جهنمية يا شاك
وقال شاك : الميجر .

وقال بولاك : أى ميجر ؟

وقال شاك : أنت تعرف . الجدع الذى فى سراى المدينة !

وقال بولاك : نعم أعرف من تعنى ؟

وقال شاك : جوبولو . هذا هو الشخص . حرب جهنمية .
وقال بولاك : ما شأنه ؟ ما دخله فى موضوع الحرب ؟

وقال بيل بالايطالية : خمسة خمسة خمسة خمسة خمسة .

وقال شاك : انه لا يسكر أبدا ، أبدا لا يسكر ، ولكنه رجل
طيب .

وقال بولاك : انه رجل عظيم !

وقال شاك : انه أحسن رجل فى الغزو .

وقال بولاك : انه أحسن من ذلك بكثير ، انه كامل !

وقال شاك : لا انه ليس كاملا . انه لا يشرب الخمر ، ولكنه
رجل طيب . انه طيب كجهنم . ان هؤلاء الايطاليين يحسبون
عيسى المسيح ! انه أفضل شئ حدث لهذه المدينة .

وقال بولاك : وما الذى يثبت من ذلك ؟ ان الذى يثبت أنها
حرب جهنمية لا تغير الموضوع .

وقال بيل بالايطالية : واحد اثنين ثلاثة واحد اثنين ثلاثة .

وصاح شاك : أوقف هذا العد السخيف يا بيل . سأثبت أنها
حرب جهنمية ، والسبب فى ذلك كله هو الميجر .

وقال بولاك : لعنة الله ! وكيف يستطيع أن يثبت أى شيء إذا كان لا يسكر ؟ •

وقال شاك : سأريكم كيف سيثبت كل شيء • انه أفضل شيء حدث لهذه المدينة ، ولكنه مع ذلك سيأخذ شلوتا • فأى نوع من الحرب هذه ؟ •

وقال بولاك : ومن الذى سيعطيه الشلوت ؟ أرنى ابن الكلب الذى سيعطيه شلوتا •

وقال شاك : انه الجنرال مارفن • هو الذى سيرفسه ! •

وقال بولاك : يا للعة • انه يرفس كل انسان ولا أرى شيئا خاصا فى هذا الموضوع •

وقال شاك : أجل ولكن أنظر يا بولاك • ان عندك رجلا هو أفضل ما حدث لهذه المدينة • أعنى انه يفهم هؤلاء الناس • وهذا الجنرال العجوز التافه مارفن سيسخظه الى أمباشى مثل • أى نوع من الحرب هذه ؟

وقال بيل بالايطالية : خمسة أربعة ثلاثة اثنين واحد • بالمقلوب خمسة أربعة ثلاثة اثنين واحد •

وارتاب بولاك ، وقال : كيف عرفت ؟ هل العجوز التافه يقول لك من ينوى أن يسخظهم ومن لا ينوى ؟ •

وقال شاك : لقد رأيت الورقة •

وقال بولاك : الورقة التى ستسخره ؟ •

وقال شاك : لا ، الورقة التى ستسبب فى سخره • لقد حاولت

وترا بانى أن نخفيها ولكن الكابتن عثر عليها • ولكن لا شك أنها ستسبب فى سخر الميجر عندما يطلع عليها العجوز •

وقال بولاك : يا للمصيبة ! هل تتصور حربا كهذه •

وقال شاك : حرب جهنمية •

وقال بولاك : لعنة الله يا شاك • لقد أثبت ذلك يا شاك •

حرب جهنمية ! •

وقال بيل : أنا أفضل خمسة • خمسة خمسة خمسة •

وقال شاك : حرب فاسدة معقنة كريهة ظالمة رقيقة ! •

وقال بولاك : حرب جهنمية ! تأخذ وتهدم خير رجل عندك •

وقال شك : أنا أحب الميجر انه ابن كلب أمين • لا أريد أن
يسخط بهذه الكيفية •

وقال بولاك : أنا لم يسبق لى أن رأيت هذا الميجر ، ولكن اذا
كنت تقول أنه أحسن ميجر ابن كلب تعرفه ، فأنا أصدقك وأعتب
أنها حرب بنت كلب التى تسخط مثل هذا الميجر ! •

وقال شك : هل تعرف يا بولاك أننا يجب أن نعمل شيئا من
أجل هذا الميجر يجب أن نعمل شيئا له •

وقال بولاك : لقد قلت لى ما فيه الكفاية يا شك ••• يجب
قطعا أن نعمل له شيئا •

وقال شك : ماذا نستطيع أن نعمل يا بولاك ؟ شىء حسن •
انه يستحق ذلك • لعنه الله • شىء حسن •

وقال بولاك : ماذا نستطيع أن نعمل يا شك ؟ انك أمباشى
لا أكثر ، وبيل وأنا لسنا الا أنفارا ! ماذا يا للجنة نستطيع
أن نعمل ؟ •

وقال شك : فلنفكر ••

وقال بولاك : أجل يا أخ •• فكر أنت •

وقال شك : نعم •• ولكن ليس عندي أية فكرة ملعونة •

وقال بيل : واحد اثنين ثلاثة • يجب أن نقدم للجدع هدية
وداع اذا كان بالطيبة التى تتحدثون عنها •

وقال شك : أول شىء معقول قلته طول الليل يا بيل • يجب
أن نعطي هدية هائلة ! •

وقال بولاك : ماذا نقدمه له يا شك ؟ •

وقال شك : هذه مسألة صعبة جدا • هدية وداع ! يا للداهية !
لا بد أن تكون هدية جميلة لتقدم له •

وقال بولاك : ان الفكرة أصلا فكرة بيل • ماذا نقدم له يا بيل ؟

وقال بيل بعظمة بالايطالية : واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة •

وقال شك : لا فائدة منه ومن أعداده • لابد أن نعمل شيئا
يا بولاك ، لا بد •

وقال بولاك : لنعد الى المنزل ونأخذ هذه الزجاجات فقد نفكر
فى شىء هناك •

وقال شاك : هذا صحيح لنذهب الى منزل ذى الاربعة العيون العجوز ، فقد نفكر فى شىء هناك . نشرب ونفكر .

لقد كان المنزل الذى استولى عليه لسكنى شاك وبولاك وبيل وغيرهم فى المدينة الكبيرة مملوكا لشخص يدعى كواتروتشى (أربعة عيون) ، وهو تاجر سكنت عائلته اذانو من أجيال ، وكان غنيا جيلا بعد جيل . وكان منزلهم ، اذا استثنينا منزل كاكوباردو العجوز ، أجمل منزل فى المدينة . ولقد اختر لايواء الجنود منذ أول يوم من أيام الغزو . انتقل اليه فى أول الامر مستشفى ميدان ثم المهندسون والبوليس الحربى . وكان السيد كواتروتشى قد ترك أثاث المنزل كما هو مكتفيا بتغطيته ببعض القماش . ترك بعض تحفه الزجاجية فى دواليب أبوابها من زجاج مقفلة . وترك الكثير من كتبه على أرفف ، كما ترك الجزء الأكبر من الصور معلقة على الجدران ، فلم يكن قد وجد الوقت الكافى لترتيب محتويات المنزل ، ولكن الميجر جوبولو أكدله أن جميع المتروكات سيعتنى بها ..

ودخل السكارى الثلاثة المنزل ، وصعدوا فى صخب فى درجات السلم الى حيث ينامون . وتناول كل واحد زجاجة من لفة نومه ، وجلسوا لحظة يشربون ويفكرون ..

وقال شاك : « خذ جرعة وفكر فكرة »

وقال بولاك : « خذ لك لعنة واشرب جرعة »

وقال شاك : « يالطيف حاجة صعبة جدا أن نفكر فى شىء يليق بالميجر الملعون »

وقال بولاك : « أستطيع أن أفكر فى أشياء كثيرة ، ولكن لاشىء ملعوننا منها يصلح . أعطونى ميجر فاسد وأنا أوجد لكم هدية فى أقصر وقت »

وقال شاك : « انها حرب جهنمية حين لا تستطيع أن تفكر فى هدية وداع لاتقة برجل طيب »

وقال بولاك : « اسمعوا . لقد فكرت فى شىء مريح ، هل أنتم متأكدون أن هذا الميجر ذاهب ؟ »

وقال شاك : « ألم أر تلك الورقة ؟ » .

وقال بولاك : « صحيح . هل نعطيهِ زجاجة من نبيذ السيد ، فانا ؟ »

وقال شاك : « عليك اللعنة يا بولاك . انك تعلم أن هذا لا ينفع .
انك تعرف أن هذا النبيذ يسبب لك اسهالا كلما شربته ، وانك
لا تريد أن تودع الميجر ويخرج من هذه المدينة ليتردد على
دورة المياه كل عشر دقائق . أم تريد ذلك ؟ »

وقال بولاك : « هذا صحيح . هل نعطيه بعض البزموت . اذا
كان عنده اسهال فهذا احسن شيء لمنعه »

وقال شاك : « أنا أظن يا بولاك أنك سكران . أنك تعرف أنه لن
يصاب بأسهال الا اذا قدمنا له هذا النبيذ . ماذا جرى لك ؟ »
وقال بيل : « واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة . لماذا
لا تستلقوا شيئا من ذى الاربعة الأعين العجوز لتقدمها للميجر ؟
أنكم تجدون هدية جميلة للوداع في هذا المنزل اذا قمتم من
مقعديكما البدينين وبخثتما »

وقال شاك : « يا بيل لماذا لا توجد عندك فكرة . ان عندك
احسن الافكار حين تكون عندك أفكار »
وقال بولاك : « فكرة حسنة ، لنقترض شيئا »

وقال شاك : « يا بيل أنك لا تعرف قيمة أفكارك حين تكون
عندك أفكار . انظر . أن هذا الميجر ايطالى ، يتكلم الايطالية
كأيطالى ملعون . ولا شك أنه سيفقد هدية ايطالية من عند
ذى الاربعة العيون . لست أدري يا بيل يا بنى لماذا لست مليونيرا
بكل الافكار التى عندك ؟ »

وقال بيل بالايطالية : « واحد وثلاثة أربعة ، اثنين وثلاثة خمسة
.. ياسلام أستطيع أن أجمع أيضا »

وقال شاك : « لنذهب ونجد شيئا قبل أن ننصرف . »
ووقف ثلاثتهم ، وكان السكر قد بلغ بهم مبلغه . وترنحواحتى
خرجوا من غرفتهم ، ثم من ممر طويل حتى وصلوا الى غرفة
الاستقبال .

وقال بولاك : « أنظر الى هذه الغرفة . انها كالمدخل الكبير
للمحطة . بها تحف ايطالية كثيرة »

وقال شاك : « لننظر »

وقال بولاك : « لماذا لا نعطيه كرسيًا ؟ »

وقال شاك : « فكرة حسنة . ارفعوا هذا الكفن اللعين من فوق
الكرسى . لنعطيه كرسيًا »

وتزحلق شاك وبولاك فى الغرفة حتى وصلا الى كرسى ، وانشيا عليه لينتزعا الغطاء الذى فوقه . ولكن أيديهم المتعثرة لم تعرف كيف تحل الغطاء !

وقال شاك مقترحا : « ارفعه لننظر اليه من أسفل »

وهكذا رفعا الكرسى فوق رأسيهما . وتزحلق بولاك . وترك شاك الكرسى ، ووقع الكرسى على الارض ، وكسرى احدى أرجله . وتناول بيل الرجل المكسورة .

وقال شاك : « شئ متعب ، كرسى زفت ، لعنة الله على الكرسى ! » ووقع نظر بولاك على تمثال نصفى من الفخار فوق قاعدة من المرمر فى أحد الاركان ، فقال : « من هذا ؟ »

وقال بيل كما لو كان يعرف : « جاريبالدى »

وقال بولاك : « لنقدم له تمثال جاريبالدى » ... وذهب الى الركن ورفع التمثال من على القاعدة وترنح فى طريقه للآخرين وفقد توازنه ، ثم أفلت التمثال الذى تكسر الى مئات القطع الصغيرة .

ونظر بولاك الى صورة امرأة عارية بدينة فوق المدفئة ، وقد بدت جميلة فى عينيه التملتين وقال : « لنعطه امرأة . ان كل ميجر يحتاج الى امرأة ! »

وعمل ثلاثتهم على انزال الصورة . وأخذوا يوازنون أنفسهم على الكراسى ، وتعاونوا ، ورفع ثلاثتهم الصورة من أسفلها ، واستطاعوا أن يخرجوها من مشبكها ، ولكن لم يستطيعوا حفظ توازنها ، فوقعت الصورة واصطدمت بأحد الكراسى ، فتمزقت المرأة البدينة وشطرت نصفين !

وقال بولاك : « الى الجحيم ! صالة المحطة ، لنذهب لغرفة أخرى .. »

وذهبوا لغرفة الطعام . وكان بأحد الاركان فترينة من الزجاج بها قطع زجاجية فينيقية على أرفف . وقال شاك : « لنقدم له شيئا يشرب فيه »

وحاول فتح الدولا ب ، ولكنه كان مغلقا . فقال : « يا بيل افتح هذا الشئ المغلق الملعون . لا تقف هكذا بهذه العصا الملعونة فى يدك .. افتح »

وقال بولاك : « عند الضرورة اكسر الزجاج واسحب الذراع »

وتقدم بيل خطوة ووضع رجل الكرسى ، ثم قال بالاطيالية :
« واحد اثنين ثلاثة » وفي الثالثة قذف بها . وانهال الزجاج على
الارض . وتقدم الثلاثة يهتزون ليختاروا هدية . فأوقعوا أول
الامر طاسة ، ثم أوقعوا أوزة من زجاج ، ثم قلة كبيرة من الزجاج ،
ثم أوقعوا الدولاب وكسروا كل محتوياته .

وذهب الثلاثة من غرفة لغرفة بهذه الطريقة ، تاركين خلفهم
الدمار ، وقد ازداد استياؤهم كلما تبينوا أن أملهم خائب في
العثور على شيء لائق أو متين يصلح لتقديمه للميجر .

وأخيرا قال شك : « حرب جهنمية هذه التي لا تستطيع أن
تعثر في منزل ذى الاربعة العيون على هدية » !

وقال بولاك : « الى جهنم تلك الحرب الفاسدة الجائرة ! »

وقال بيل : « لنذهب الى أسرتنا » .

وهكذا ذهبوا ليناموا ، وسمع بولاك شك يبكي في سريره
فقال له : « مابالك يا شك هل أنت متعب ؟ »

ونهنه شك باكيا : « حرب جهنمية ! »

وقال بولاك : « نعم حرب جهنمية يا شك . نم »

الفصل السادس عشر

عندما وصل الميجر جوبولو الى مكتبه في الغد ، كان بانتظاره زائران : أحدهما كواتروتشي ، صاحب المنزل المستولى عليه الذي يقطنه شاك وبيل وبولاك. ولكن كان على كواتروتشي أن ينتظر لان الآخر كان « لورد رنسن » أحد الرؤوس الكبيرة في حكومة الحلفاء العسكرية . ذلك أن الحكومة العسكرية للحلفاء كانت شركة بين الانجليز والامريكان ، وكما كان الحال في القيادة العسكرية كان الضباط الانجليز والامريكان مشتركين ، وكان لورد رنسن قريبا من الرئاسة .

كان اللورد رنسن رجلا في حوالى الخمسين ، له شعر أشقر متموج ، وعيون ذات بريق قل أن تنظر صراحة في وجه محدثه، وكان يتعاطى التشوق . وفيما عدا نظرتة الاستعمارية الى الايطاليين ، كان معتبرا رجلا طيبا في حكومة الحلفاء العسكرية، وكان النشاط واحدا من صفاته الكثيرة . وفي هذا الصباح بالذات كانت الساعة الثامنة وخمس دقائق فقط ، ومع ذلك فأن اللورد رنسن كان قد بدأ رحلته في السادسة والنصف ، وتناول افطار الصباح في غيط قمح، وبقي ينتظر ممثل حكومته منذ خمس عشرة دقيقة . لقد كان يقوم بدورة تفتيشية ليكتشف أحسن الامثلة لاعمال حكومة الحلفاء العسكرية في المدن المحتلة .

وأدخله الميجر جوبولو الى مكتبه . وقال اللورد رانسن « هنا مقر الساحر » . لقد كان اللورد رنسن يحاول أن يتكلم باللغة العامية التي يتكلمها رؤوسه ، ولكنه كان دائما يستعمل اللغة العامية الامريكية في حديثه مع الجنود البريطانيين، والعكس بالعكس ، مما جعل الكثيرين لا يفهمون الا قليلا مما يقول .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي وجد الميجر جوبولو نفسه يتحدث على انفراد مع لورد حقيقى صريح. ودهش اذ وجده

يلبس البنطلون القصير والياقة المفتوحة ولا يلبس قبعة . وكان الاحترام الذي أبداه اللورد لجوبولو ، وهو يجلس أمامه على المكتب يوجه اليه الاسئلة ، جعل جوبولو - الذي كان في وقت من الاوقات كاتباً في ادارة الصحة ببلدية نيويورك - يحس بأنه أصبح شخصاً مهماً .

وكيما يتبدى الحديث ، قال اللورد مشيراً الى ناحية كواتر وتشى : « ان صديقك الايطالى متهيج ! » وقال كاتب الصحة السابق : « ماذا قلت يا اللورد ؟ لم أفهم ماغنيت » .

وقال اللورد : « لا بأس . قل لى عن عملك هنا يا جوبولو » وقال الكاتب الصحى السابق : « الواقع ياسيدى اللورد ان العمل سائراً سيرا حسناً ! »

وابتسم اللورد وقال : « سائراً سيرا حسناً » وقيد ذلك بالنوته التى فى يده لاستعمال مقبل ، ثم قال : « ثم ماهى أفضل الاشياء التى عملها هنا ؟ »

أولاً كان هناك موضوع الاعانة . لقد اعتاد الايطاليون أن يدفعوا لكل أسرة لها ابن فى الجيش ثمانى ليرات يومياً لرب الأسرة وثلاث ليرات لكل فرد يعوله . ولأن هؤلاء الناس كانوا يستندون فعلاً على هذه الاعانة ليعيشوا فقد بدأ الميجر جوبولو يدفعها لهم على الاسس القديمة . وهو يسميها الآن المساعدة العامة ، لانه وجد أن هذه التسمية أكثر ديمقراطية ، وكان يدفعها من الغرامات وايراد البضائع التى كان يبيعها ، وكون لجنة من العمدة ومدير البوليس وأحد الاهالى تترز ماذا كانت الأسرة محتاجة ومستحقة للمساعدة العامة . وقد دفعت المدينة فى اليوم الاول أربعاً وسبعين ألف ليرة . شرح الميجر جوبولو ذلك للورد .

وقال اللورد : « عظيم . وماذا بعد ذلك ؟ »

ولأظهار أن المدينة تمون نفسها، كان هناك الحرير المسلمين . فقد وصلت احدى بواخر الحرية الى ميناء ادانو وأفرغت حمولة من ذخيرة الحرب ومعداتاها ، كالات اصلاح الطرق ومساواة الكبارى والحيم والذخيرة . وفى أسفل أحد العنابر وجد العمال مت بالات من المسلمين الابيض ، وقال ربان السفينة انه مضطر

لتفريغ تلك البالات . ولكن ناظر الميناء لم يقبل تسليمها لعدم وجود أوراق تبين مصدرها ولمن تسلّم .

وكان الموسلين يحمل علامة وزارة المالية الأمريكية ، فهي لابد من الاعارة والتسليف ، وانها بلاشك قد فقدت . وسمع الميجر جوبولو بموضوعها . ولما كان يرى الحرق التي تكسوها الى مدينته ، قال انه يستطيع أن يستفيد بها . فدعا مدير التموين المدني وتكلم معه في موضوع الموسلين وصرح المدير ببيعه بسعر مناسب . وعرض الميجر جوبولو بالتين للبيع ، ووضع الاربعة الاخرى في الاحتياطي . وكانت حاجة المدينة للكساء شديدة حتي أن البالتين نفدتا في ساعتين .

وقال اللورد : « مجهود طيب . وما غيره ؟ »

كانت هناك مسألة اللاجئين . في يوم الغزو كان بالمدينة سبعة آلاف أو سبعة آلاف شخص ، أما الآخرون فقد فروا الى التلال وفي خلال بضعة أيام وصل عدد السكان الى اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين ألفا . وازدحمت المدينة ، وكان من أسباب ذلك كثرة اللاجئين من فيشيمارى . وقد جاء هؤلاء الناس الى ادانو لان الحلفاء كانوا يدمرون فيشيمارى بشدة قبل الغزو . والآن وقد انتقل القتال الى مابعد فيشيمارى ، فهم

يريدون العودة الى بيوتهم ، ولكن وسائل النقل غير متوفرة . وفي ذات يوم رأى الميجر سياراة أوتوبيس ألمانية تسير في الشوارع يقودها جندي أمريكي . وقال الميجر جوبولو لنفسه : أستطيع أن أستعمل هذا الاوتوبيس . وسأل فاكشف انه خاص بالمهندسين ، استدعى ضابط الموترات وقال له : « أحب أن

استعمل الاوتوبيس الخاص بكم يوما في الاسبوع » . وقال الضابط انه لا يعارض اذا حصل الميجر على تصريح رسمي . وتكلم الميجر جوبولو مع قائد قاعدة ادانو الذي وافق . وبعد بضعة أيام بدأت جماعة تملأ الاوتوبيس ، تهتف وتضحك ، وهي في طريقها لمنازلها . وبعد قليل سمع الكولونيل سارتوريوس رئيس حكومة الحلفاء العسكرية فيشيمارى بموضوع الاوتوبيس وغضب ، وأمر الميجر جوبولو بأن لا يعود لعمل ذلك . وقال الميجر جوبولو : « اننى فى بعض الاخيان اعتقد أن الكولونيل سارتوريوس مسطول !! »

وقال اللورد رانسن : « هل تريد أن تقول انه يتعاطى مخدرات ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « لا يالورد كل مأردت قوله انه غبى » !

وقال اللورد : مسطول « هاها ؟ وضع الكلمة فى مفكرته ، ثم قال :
« حسن جدا وماذا غير ذلك ؟ »

وقال الميجر جوبولو :

« ان أهالى ادانو ياسييدى اللورد سروامن معاملة الامريكان ، حتى لقد عرضوا من تلقاء أنفسهم من غير أن يقترح أحد عليهم أن يعتنوا بالمقبرة الامريكية الصغيرة الموجودة خارج المدينة • ولذلك أقاموا سياجا حولها وطلوه باللون الابيض ، وأخذ روسو النحات العجوز ينحت شواهد للقبور ، وفى كل يوم أحد يأخذ الاهالى الازهار ويضعونها على مقابر الجنود الذين ماتوا وهم يحتلون المدينة • »

وقال اللورد « ان هذا لمؤثر جدا • وماغيره ؟ »

وكان الطعام متوفرا • فقد عثر الميجر فى الايام الاولى على خمس عربات محملة قمحا على شريط سكة حديد منعزل بمحطة السكك الحديدية ، فطحنه الى دقيق ، واستطاع أن يوفر جزءا للبلاد المجاورة للتلال التى كانت فى مجاعة • وحكم على خباز بغرامة كبيرة ، ثلاثة آلاف ليرة ، لانه خبز خبزا مشبعا بالماء ورفض أن يبيعه على الحساب ، ورفض أن يقبل ليرات الغزو الامريكية ، ولأن يديه كانتا قذرتين • ومن وقتها والخبز جيد جدا عند جميع الخبازين • واتخذ خطوات ليخرج الصيادون لصيد السمك • وهيا للناس أن يحصلوا على المعكرونة التى لم يكونوا قد ذاقوها منذ ثمانية أشهر • لقد كان حال الطعام جيدا •

واذ انتهى الميجر من شرح جهوده فى سبيل تدبير الطعام ، قال اللورد رانسن : « هذا حسن » • وفى كل مرة كان اللورد يتناول النشوق كانت عيناه الميجر جوبولو تكادان تخرجان من مآقيهما وينسى ماهو بسبيله •

وعاد اللورد يقول :

« وماذا غير هذا ؟ »

ان نظافة هذه المدينة كانت أشبه بحكاية هيرقل واسطبله • ولكن من حسن الحظ أن للميجر سابق خبرة بالشئون الصحية • فعندما دخل الامريكان المدينة كان المكلف بنظافتها رجل عجوز

واحد . وكل ما كان في مقدوره أن يفعله هو أن يكنس الرصيف أمام السراى وينقل قمامة العمدة ناستا . أما الآن فعند الميجر جوبولو خمسة وأربعون رجلا يعملون ، وعندهم ثمانى عربات كناسة ، ولورى ايطالى حول الى فنطاس ماء ، وهو يرش الشوارع فى كل صباح .

وقال اللورد : الماء . ان هذا لبديع »

ولم يفهم الميجر التعبير العامى الذى استعمله اللورد ، ولكنه فهمه على انه مدح . وقال : « ان هذه المدينة يا لورد أحسن بكثير مما كانت عليه قبل حضورنا . انك لاتستطيع أن تتصور كيف كان هؤلاء الناس مدفونين . لقد اعتادوا الخوف من الرجال العموميين ، كما اعتادوا أن يملأوا الاستثمارات وأن يساقوا الى المحاكم وأن يسألهم رجال البوليس عن أسمائهم ، حتى انهم جميعا يضعون اللقب فى الاول والاسم فى الآخر كما يحدث فى الاوراق الرسمية . تماما كالصينيين .

« وكثيرون من بينهم قد أكدوا لى انهم أحسن حالا الآن عن ذى قبل . فمثلا يمكنهم أن يتجمعوا فى الشوارع ويتحدثوا فى أى موضوع يريدون . ويستطيعون الاستماع للاذاعات . وهم يعرفون انهم يحاكمون منى محاكمة عادلة . انهم يستطيعون الحضور الى سراى المدينة والتحدث الى فى أى وقت يريدون . لقد كان العمدة ناستا محدد مواعيد عمله من الثانية عشرة الى الواحدة كل يوم ، وكان لابد من طلب المقابلة قبل الحصول عليها بأسابيع . ولقد قلت لك عن نظافة الشوارع . ان هناك طرقا كثيرة ياسيدى اللورد ، وسيكون هناك طرق أكثر اذا تركت لى حرية التصرف . وبدأ اللورد يتضايق قليلا . وأخذ يكثر من وضع أصبعيه فى علبه النشوق وينظر من الشباك : « مظهر جميل ، مظهر جميل ، هل هناك شئ غير جميل فى هذه المدينة ؟ »

وقال الميجر : « نعم ياسيدى اللورد شئ واحد ! »

- « بودى لو أن كل مدنا فىها شئ واحد ينقصها يا جوبولو »

- « ان هذا ياسيدى اللورد ليس بالشئ الرديىء وقد يبدو

لك سخيفا ! »

وقال اللورد رانسن وهو يتعاطى النشوق بعظمة : « ان واجبى

ان أعمل أشياء حسنة من السخافات . ما هو هذا الشئ

يا جوبولو ؟ »

- « ياسيدى • ان هذه المدينة محتاجة الى جرس • »
- « جرس ؟ لقد سمعت ياميجر مجموعة أجراس تدق فى
الساعة الثامنة من صباح اليوم حتى لاحسب اننا فى يوم عيد
الميلاد ! »

- « نعم ولكن هذا جرس خاص ياسيدى اللورد »
- « لم أكن أعرف أن هناك أجراسا خاصة الا فى جهنم »
- « ان هذا الجرس كان عمره سبعمائة سنة ، وكان تقريبا أهم
مافى المدينة بحسب حديث هؤلاء الناس • وقد أخذه
موسولينى ... »

وروى الميجر جوبولو كيف حزم الجرس وشحن
بالبخرة لتحويله الى مواسيرمدافع ، وكيف جاء اليه الناس
فى شأنه وكيف حاول أن يتتبعه ، وكيف اكتشف انه صهر أوانه
على الاقل فى منطقة غير محتلة •

وبدأ تفكير اللورد الاستعماري وقال : « لاشك ان هؤلاء الناس
يستطيعون الاكتفاء بما عندهم من أجراس • اننا لانستطيع أن نحكم
عواطفنا كما تعلم ياجوبولو • لانستطيع أن نجعل هؤلاء الناس
سعداء جدا كما تعلم • لانستطيع أن نجعل النظام يتراخى • »

- « اننى لأعتقد ان السعادة والنظام لايتفقان »
وقال اللورد وهو يتعاطى كمية من الشوق للتأثير : « أيها
الشاب ، أظن أن تجربتى فى هذه الناحية تزيد قليلا على تجربتك ،
وقال الميجر جوبولو : « كلما صنعت شيئا لهؤلاء الناس وجدت
انهم يلبون لى طلبين من باب الاعتراف بالجميل » !!

- « حسن ، ماذا تريدنى أن أعمل بخصوص هذا الجرس ؟ »
- كنت أفكر ياسيدى اللورد انك قد تقترح طريقة للحصول
لهم على جرس آخر • ليس أى جرس كما تعرف ، بل جرسا يمكن
أن يحل محل جرسهم الذى فقدوه • »

وقال اللورد : « كلما أردت شيئا غير عادى قدمت طلبا للجيش
الامريكى • ان لديهم أغرب الاشياء كما تعلم • لقد أعطونى سيارة
جيب • وأعطونى أنواع البيبات التى أحبها من خشب اسكوتلاندى
جميل ، سارطول الطريق من اسكتلندا الى الولايات المتحدة ، ثم
عاد أدراجه الى الجزائر بطريق الجيش الامريكى ... »

لقد حدثنى بعضهم عن أمواس الحلاقة الكهربائية ، فأحضروا لى
واحدا منها • ولكنى لاأستطيع استعمالها بسبب هذا التيار

الايطالى اللعين، انه تيار غلط كما تعلم ليس كتيارنا • اننى أقترح
أن تجرب الجيش الامريكى يا جوبولو »

- لم أجد نفس الحظ مع الجيش ياسيدى اللورد • هل لك صديق
أو شيء ؟ ممن تطلب هذه الاشياء الكمالية التى يحضرونها لك ؟

- اكتب للجنرال ولسون • و • ب • ولسون ، مخازن القوات
بالجزائر • لقد قال لى الجنرال ولسون أنه سيحاول أن يحضر لى
أى شيء أطلبه • أذكر له اسمى يا جوبولو وهو سيجد لك جرسا •
اننى موقن من ذلك •

وكتب الميجر جوبولو اسم الجنرال ولسون وعنوانه وقال:
شكرا لك ياسيدى اللورد ! يبدو كما لو كان النجاح نصيبنا • اننى
حقا أريد جرسا لهذه المدينة •

وأغلق اللورد رانسن علبة النشوق ووقف يقول : يبدو لى
يا جوبولو انك تقوم هنا بعمل ساحر • حافظ عليه • واذا
صادفتك أية صعوبة دق لى تليفونا • • • وانصرف اللورد وهو على
وشك أن يعطس عطسة جميلة كان محتفظا بها فى نخاشيشه
لمدة عشر دقائق •

ونظر الميجر جوبولو من الشباك وكان سعيدا سعادة مضاعفة
لما حققه من عمل ولما سمعه من مديح • ولكنه انتزع من سعادته
بفيضان من الالفاظ الايطالية ، كان مصدرها كواتروتشى :

- انتم الامريكان تحسبون انكم متمدينون • انكم تظنون انكم
تخدموننا بالنزول فى شواطئنا • انكم لستم أفضل من الالمان •
ان الالمان لم يعملوا فى هذه المدينة شيئا مثل الذى عمله
رجالكم • لقد قدمت لكم بيتى ، ولم أمانع فى تقديمه لكم ، وكنت
أحسب الامريكان متمدينين • وقد قلت انهم سيعتنون بمنزلى كما
لو كان ملكهم • انك كاذب !!

ولقد صقق الميجر جوبولو لهذه الالهانة ، خصوصا بعد
ما سمعه من مديح • فقال بحدة: ماذا تريد • ضع حدا لهذه الثرثرة
وقل لى ماذا تريد ؟

- اننى لا أريد شيئا • ان ما فقدته لا يمكن ان يعوض ، فكيف
تريدنى ان أطلب شيئا ؟

- اذا كنت لا تريد شيئا فلماذا تضع وقتى ؟
وتحدث كواتروتشى بسخرية : أنا أسف اذا كان وقتك ثمينا
الى هذا الحد يا فخامة الرئيس •

ثم قال بغضب : لقد فقدت أشياء لها قيمتها فى نظرى أيضا .
لقد ذهبت الى منزلى هذا الصباح لأخذ بعض الأشياء التى تركتها
خلفى . فما الذى وجدته ؟ لقد وجدت ان متوحشيك قد كسروا
تمثالى الفخار . لقد صنعه كاميليانى الفلورنتينى فى القرن السادس
عشر . أى ثمن تستطيع ان تحدده لهذا ؟ لقد مزقوا صورة
فينوس من رسم جيورجىونى . ما قيمة هذا الرسم ؟ لقد حطموا
الزجاج الذى شربت فيه أمى نخب زواجها فى فينيسيا . كم من
الليرات كانت تساوى فى نظرى هذه الكؤوس ؟

وبدأ كواتروتشى يبكى ويتحدث حديثا غير مفهوم !

واستشاط الميجر جوبولو غضبا ، وطلب الكابتن بيرفيس
على التلغون ، وقال له : بيرفيس ، ما الذى جرى لرجالك ؟ هل علمت
أنهم تصرفوا كمجموعة من المتوحشين فى المنزل المخصص لسكنهم ؟
لقد كان هذا الشخص من الطيبة لحد أنه تركهم يسكنون بيته
ويستعملون بعض حاجاته ، فلماذا لعنة الله عليهم اسماء واستعمالها ؟
أريد منك أن تبحث عن الذين أتلغوا أشياء مسكنهم ، وتجمعهم فى
مكتبك فى مدى خمس عشرة دقيقة ، ثم وضع سماعة التلغون دون أن
يتترك للكابتن الحيران فرصة يتنفس فيها .

وانتقل الميجر جوبولو الى الناحية الأخرى من مكتبه ، وربت
على كتف كواتروتشى الذى كان مستمرا فى البكاء ، وقال : تعال
يا كواتروتشى ، لنذهب الى منزلك ، ونرى ما الذى فعلوه على وجه
التحقيق .

ومشى الرجلان فى الشارع الى المنزل الجميل . وقاد كواتروتشى
الميجر خلال غرف الدور الثانى وراه الأشياء المكسرة .

واكتأب الميجر جوبولو أشد الاكتئاب لما رأى ، وقال فى حنان
لكواتروتشى الذى فاق غضبه كل الحدود : لا يوجد أى عذر يبرر
هذه الفعلة .

وأخذ الميجر جوبولو كواتروتشى الى قيادة البوليس الحربى ،
وكان الكابتن بيرفيس قد جمع عنده شاك وبيل وبولاك .
وبمجرد أن دخل الميجر وقف الثلاثة وقفة انتباه .

وقال الميجر جوبولو : خذوا راحتكم ولكن اصغوا الى
ووقف الثلاثة صفا .

وقال الكابتن : كان يجب ارسالكم الى الولايات المتحدة . أى

مثل تظنون انكم تضربونه لسكان هذه البلاد ؟ كيف تظنون اننا
نستطيع اقتاعهم اننا أناس طيبون ! اذا كنتم تتصرفون كما لو كنا
جميعا نسكن الغابات ونلبس جلود الحيوانات ؟
وقال بولاك : ولكننا لم نقصد شرا ياميجر .

وقال الميجر : ان بواعثكم لا تحدث أقل تغير . ان النتيجة
هى التى يعول عليها . . .

وقال بولاك : اننا فعلنا ذلك من أجلك ياميجر !

— ما الذى تعنيه ؟ عملتم هذا من أجلى ؟ كيف يمكن أن تتصوروا
أننى أريد منكم أن تعملوا عملا كهذا ؟

وقال بولاك : لقد كنا نبحث عن هدية نقدمها لك يا سيدى .
وكان بولاك يظن فى نفسه انه اذا كان الميجر يستحق كل
الاغراق فى المدح الذى غمره به شاك شولتز فى الليلة
الماضية ، فهو مستطع ولا شك أن يتخلص من المأزق الذى وقعوا
فيه .

وقال الميجر ، ولماذا بحق الاله تريدون أن تقدموا لى هدية . اننى
لم يسبق لى ان رأيتمكم ؟

وقال بولاك : اننا مجرد انفار مجندين . ولكننا رأيناك قبل
ذلك

وقال الميجر جوبولو : لا ازال اريد ان اعرف لماذا فكرتم فى
البحث عن هدية لى وبأية مناسبة ؟

وقال بولاك : انها كانت ستكون هدية وداع

وقال الميجر : ومن هو الذى سيودع ؟

وقال بولاك : ان الامباشى شولتز قال . . .

وقال شاك شولتز : دعنى أتولى هذا الموضوع يا بولاك

والتفت الميجر جوبولو الى الامباشى شولتز ، وقال له :
قل لى ما هو الموضوع ؟

وتبين شولتز انه لا يوجد اى مخرج فقال : لم يكن هناك اى
مبرر لما عملنا ياسيدى الميجر . لقد كنا فى اشد حالات السكر .
وأظن ان بولاك لا يزال سكرانا !

ورفع بولاك قبضته مهددا وقال : ماذا يا . . .

وقال الميجر جوبولو : وما موضوع الهدية ؟

وقال شك : لقد مرت علينا فكرة اوحى لنا بها السكر انك احسن ضابط رأيناه ، وفكرنا في ان نقدم لك هدية • وخطر في بالنا أننا قد نجد لك هدية في المنزل • وكنا نعلم انك ايطالي تقريبا ، وحسبنا ان شيئا ايطاليا من المنزل قد يروقك • ذلك هو كل ما في الامر !

وقال الميجر جوبولو بصوت فقد الكثير من حدته : اننى لست ايطاليا ، يا اولاد ، اننى امريكى وفى بعض الاحيان لأحس بأننى فخور بذلك بالقدر الذى كنت أرجوه !

ثم التفت الميجر الى كواتروتشى وقال له بالاطالية : لا اكاد ادرى ما اقوله لك • اننى أعرف ان اى اعتذار واى تعويض مالى لن يرد لك ما فقدته • اريد ان اقول لك ان هؤلاء الرجال الذين ارتكبوا الجريمة آسفون الآن لما فعلوا بعد أن تبينوا كم كانوا قساة • اريد ان اقول لك يا كواتروتشى اننى أحس باننى قد فقدت جزءا من الزهو الذى كنت احس به بالامس • سوف يعاقب هؤلاء الرجال بعدل وصرامة لما فعلوا • واريد منك ان تقدم طلبا للتعويض عما أتلّف ، ولن ألومك اذا ضاعفت الثمن • ذلك كل ما استطيع قوله لك يا كواتروتشى !

وقال كواتروتشى : لا ادرى شيئا عن أغلب الامريكان ، ولكننى اعلم يامستر ميجر اننى استطيع دائما ان أنال الحق منك •

وقال الميجر : نهارك سعيد يا كواتروتشى • ومن الآن سيعتنى ببيتك • استطيع أن أعدك بذلك •

وانصرف كواتروتشى والتفت الميجر الى الرجال الثلاثة وقال لهم : لا ادرى ان كنتم قد أدركتم مدى اساءتكم لهذا الايطالى ؟ انه كما لو كنتم قطعتم ذراعه ، انه كان يحب هذه الاشياء التى كسرتموها • ولقد قلت له انكم ستعاقبون بشدة بمثل الشدة التى أسأتم بها اليه •

وارتعد الرجال الثلاثة :

وقال الميجر : سأجعل عقابكم أن تتحمل ضمائرکم آلام هذا الرجل ، ومن الآن فصاعدا عليكم أن تصونوا بيته نظيفا كما لو كان بيت أمکم • انصرفوا !

وقال شك : نعم يا سيدى ، وشكرا !

وقال بولاك : شكرا يا سيدى !

وقال بيل : شكرا يا سيدى صنعتنى بالبيت !

وقال بولاك : نعم يامى يدى سوف نعتنى به ولا شك !

وبمجرد أن خرجوا قال شاك : هذا أحسن رجل ابن كلب رأيته
فى هذا الجيش !

وقال بيل : ان الشئ الذى أثر فى هو ماقاله بخصوص أمى !
لقد كانت أمى فخورة دائما بكؤوسها • لقد كانت زجاجة
مشطوفا • اننى أحس كما لو كنت كسرتها ليلة أمس !

الفصل السابع عشر

لقد تحمل كاكوباردو برودة اثنين وثمانين شتاء ، ولذلك فإن المعاملة السيئة التي عامله بها الجنرال مارفن لم تضعف من رغبته في معاونة الامريكان .

واستمر كل يومين أو ثلاثة يبعث بمذكرات للميجر جوبولو كان الكثير منها اقتراحات سخيفة ، والكثير الآخر عن أمور يكون الميجر قد سبق أن حققها . ولكنه في ذات يوم أرسل مذكرة استوقفت نظر الميجر جوبولو !

« لضابط الشئون المدنية ،

« أريد أن أخطر ، لاتخاذ الاجراءات اللازمة . منذ أشهر كثيرة لايتسلم أهالي ادانو حصتهم من زيت الزيتون ، ولكن الضباط المدنيين والعسكريين ينالون كفايتهم لعائلاتهم ولاصدقائهم . وقد أبلغت أن صغار الاهالي مضطرون لان يدفعوا في السوق السوداء أى سعر قد يصل الى ٨٠ ليرة للتر (حوالى ٨٠٠ جرام) والسعر الذى حددته الحكومة الفاشستية للتموين هو خمس عشرة ليرة ونصف ليرة للكيلو (١٠٠٠) جرام .»

« انك لاتستطيع أن تسمح باستمرار هذا الاستبداد بالفقراء » بكل احترام : « ماتيو كاكوباردو »

والشئ الذى اهتم له الميجر جوبولو فى هذه المذكرة هو أن كاكوباردو العجوز يلوم الفساد الفاشستى على وجود السوق السوداء . لقد كان الميجر جوبولو يعلم بوجود السوق السوداء . وكان قد اعتزم اجراء تحقيق فى موضوعها ، وقد فعل ، وكانت النتائج التى وصل اليها مزعجة .

لم تكن السوق السوداء وليدة خطأ الفساد الفاشستى . وحتى لم تكن خطأ التجار الذين رفعوا الاسعار فوق كل حد محتمل . انها غلطة رجال الغزو ، ومن السهل اثبات ذلك .

يوجد سببان لادخال الامريكان السوق السوداء فى ادانو والتضخم الذى سايرها حتما :السبب الاول الكرم الامريكى . فقد بدا للايطاليين أن الامريكان انما حضروا لبلادهم مسلحين على الاخص بالسجاير والحلوى . فقد كان الكبار يطلبون سجائر ، والاطفال يصيحون فى الشوارع طالبين الحلوى . وكان الامريكان يقدمون ما يطلب منهم . كما كانوا يقدمون علب الاطعمة المحفوظة ، مافتحوه منها ولم يتمواأكله ، ومالم يفتحوه . ولما كانوا يشترون شيئا كانوا يقدمون الثمن بعواطفهم . والسبب الثانى أنهم كانوا اذا اشتروا شيئا ، ولم يجدوا زميلا يتحدث الايطالية ليسأل عن الثمن ، يدفعون مايتصورون انهم كانوا يدفعونه فى الولايات المتحدة .

وهاهى أمثلة أربعة عشر عليها الميجر ، تبين بوضوح كيف بدأت السوق السوداء والتضخم المالى .

لقد تابع سوق الحمر السوداء الى منزل كارملينا زوجة فاتا الكسول . ان أول شخص اشترى نبيذا من كارملينا فى الليلة الاولى للغزو كان الامباشى شاك شولتز . وكانت رواية كارملينا للميجر أن الامباشى أعطاهادولارا وانصرف . وكانت رواية شولتز أن السيدة ساومت وصرخت وهددت باستدعاء البوليس . وعلى كل حال فقد دفع شولتز الريال فى حين أن الثمن المعتاد لمثل هذا النبيذ قبل الغزو كان عشرين ليرة أى عشرين سنتيا .

ودخل أربعة عساكر ذات صباح عند حلاق ، وأشاروا بأصابعهم فوق رؤوسهم مظهرين الرغبة فى قص شعورهم . ولم يكن أحدهم يستطيع التحدث بالايطالية . وهكذا حددوا مادفعوه على أساس آخر مادفعوه لقص الشعر فى الولايات المتحدة . أخرج كل واحد منهم نصف دولار وضعه فى يد الحلاق وقال له : « احتفظ بالباقي يا جو » على حين أن السعر المعتاد لقص الشعر كان ثلاث ليرات أو ثلاثة سنتيات ولحلاقة الذقن سنتين . وهاهو الحلاق يكسب فى عمل صباح واحد مائتى ليرة . ولذلك منح نفسه أجازة ، ورفض أن يقص شعر أحد لمدة ثلاثة أسابيع حتى انتهت نقوده .

وكانت السوق السوداء عند المومسات أخطر . كان الطلب بالطبع كثيرا مع وجود جيش جديد . وكان العرض قليلا لفرار الفتيات الخائفات الى التلول . لقد كانت أجورهم قبل الغزو - صدق أو لا تصدق - خمس ليرات أى خمسة سنتيات أمريكية . وكان الجنود الامريكان اذ يتقدمون بعروضهم وهم لا يعرفون الايطالية فى أيامهم

الاولى، يستعملون الاشارة ، وهى لغة الحديث الدولية ، فيرفعون أصبعين يريدون بذلك أن يعرضوا دولارين . وكان هناك سوء تفاهم فى بادئ الامر ، اذ كانت الفتيات تظن أنهم يعرضون ليرتين أو سنتين ، وكن يرفضن . ولكنهن فهمن أن العرض مائتا ليرة ، وهكذا نما العمل ، وأثمر السوق السوداء .

وكانت السوق السوداء فى الطعام تهدد حياة المدينة . فكان الفلاحون بدلا من احضار غنهم وبطيخهم وخضارهم الطازج الى سوق المدينة ، يذهبون الى جوار المعسكرات حتى يعثروا على جندي متأخر عن زملائه ، ويغرونه فى حرارة النهار بفاكهتهم التى تروى الظمأ بأى سعر قد يتراوح بين عشرة وعشرين مرة للسعر الفعلى . وساءت الحالة لدرجة أن أهالى المدينة كانوا يشترون القليل النادر من الفاكهة التى تصل الى المدينة ليبيعوها فى الارياف للامريكان المتهورين .

وقد عمل الميجر جوبولو ثلاثة أشياء ليضع حدا للسوق السوداء، أو على الاقل ليخفف من حدتها : وضع المدينة خارج الحدود للجند الامريكان، لايدخلونها الا لعمل . وأمر البوليس بمنع خروج أى طعام من المدينة ، وغرم كل شخص يضبط يبيع بأكثر من السعر أو يخفف من الوزن ثلاثة آلاف ليرة ، أى اقتصاد العمر لفلاح ايطالى فقير .

الفصل الثامن عشر

لم يساعد ارسال الجاويش تراباني للورقة القرمزية الخاصة بالغاء أمر منع العربات الى غير الشخص المختص كثيرا ، اذ أنه ماكاد الشخص غير المختص يفض الظرف ويقرأ الورقة ، حتى أرسلها لصاحب الاختصاص .

وكان صاحب الاختصاص هو القائمقام و . و . نوريس الضابط الاول للفرقة التاسعة والاربعين . لقد وضع الشخص الذي أرسلت له الورقة على مكتبه . ولكن القائمقام نوريس الذي كان مثقلا بالعمل الكتابي لم يقرأ محتويات الورقة لنهايتها . كان كل ماقرأه هو الجزء الاول الخاص بأمر الجنرال مارفن بمنع العربات من دخول ادانو .

وعند ذلك كتب بالرصاص في الركن الاعلى الى اليسار : « الصورة المعتادة لملفات الفرقة . وترسل صورة اضافية للكولونيل ميدلتون يكتب عليها لاحاطة الجنرال مارفن علما » . ثم رمى الورقة في سبت الخطابات الصادرة .

وبعد ساعتين جاء جاويش فني وأفرغ محتويات سبت القائمقام نوريس الخاص بالخطابات الصادرة ، وكتب في الوقت المناسب ثلاث صور لتدفن في ملفات الفرقة ٤٩ حيث لن تقع عليها العين بعد ذلك : صورة وضعت في ملف البوليس الحربي ، وأخرى في ملف الموظفين ، والثالثة في ملفات القسم السرى تحت عنوان : البلاد المحتلة - اجراءات تأديبية . ثم عاد الجاويش الفني وكتب صورة نظيفة للورقة لارسالها للكولونيل ميدلتون والجنرال . كان يريد أن ينهي عمله ، ولم يكن يشاء أن يؤخر شيئا . وكان معتنيا بالكتابة لدرجة أنه لم يلتفت لما تقوله الورقة .

ثم وضع الجاويش الفني الصور الاربع والاصل القرمزي في سبت الاوراق الواردة على مكتب القائمقام نوريس .

وكان للقائم مقام نوريس مساعد يدعى « اليفتنانت بترز »
محب لمعرفة كل شيء ، وكثيرا ما ضايق القائم مقام بقراءة ما يقرؤه
من فوق كتفه . كان يريد دائما أن يعرف ماهي أوامر المعركة
فى اللحظة التى تحرر فيها حتى قبل وصولها لقواد الفرق .
وكانت ميزة اليفتنانت بترز وفضوله أنه كان فى العادة يقرأ
بريد القائم مقام نوريس بدقة تفوق دقة القائم مقام وجاويشه
الفنى .

وفى الصباح الذى وضع فيه الجاويش الفنى الورقة القرمزية
والصور الاربع فى سبت القائم مقام ، استيقظ اليفتنانت بترز مبكرا
ورائقا ، ولبس وحلق ذقنه ، وقبل أن يتناول طعام الافطار
ذهب الى مكتب القائم مقام نوريس وقرأ الخطابات الواردة .

وعندما وصل الى الورقة القرمزية والصور الاربع أخذ الاوراق
من الملف وقرأ حتى انتهى ، ثم أعاد الملف الى سبت الاوراق ،
وأخذ الورقة القرمزية والصور الاربع ووضعها فى محفظة على
مكتبه .

وفى آخر النهار بعد أن ذهب القائم مقام لحضور اجتماع أخرج
اليفتنانت الورقة والصور الاربع ونادى الجاويش الفنى الى مكتبه .
وسأله : « هل رأيت هذه ؟ »

وخشى الجاويش الفنى أن يكون قد أخطأ فى الكتابة ، وقال
ببساطة : « نعم ياسيدى » .

وقال اليفتنانت : « حسن . ان هذا الميجر كان محقا » .

وقال الجاويش الفنى الذى لم تكن لديه أدنى فكرة عن محتويات
الورقة القرمزية : « كان على حق »

وقال اليفتنانت : « لاشك أنه كان محقا . من السهل رؤية
ذلك . ولكن اذا وقع نظر الجنرال مارفن على هذه الصورة فان
مصير الميجر لايسر » .

وقال الجاويش الفنى ليحفظ خط الرجعة : « نعم ياسيدى »
وقال اليفتنانت : « ضع هذه الصور فى الملفات ، وأنا سأهتم
بالنسخة الخاصة بالجنرال » .

وقال الجاويش : « نعم ياسيدى » ، وأخذ الصور .

وقال اليفتنانت : « هذا المارفن عاقبنى لذنب لم أرتكبه .
ولذلك لم أحبه قط . اننى لأعرف هذا الميجر ، ولكننى أعتبر
من العار أن يعاقب لمثل هذا ! »

- نعم ياسيدى - قالها الجاويش الفنى ثم تجهم وجهه وقال :
لن تسبب لى متاعب ياسيدى كما حدث حين فقد خطاب القائمقام
نوريس » •

وقال الليفتنانت : « لا • لا تقلق » •

ولكن الجاويش الفنى ظل قلقالعدة أيام ، حتى تشجع وسأل
الليفتنانت عما فعله بالصورة التى كتبت للجنرال مارفن :
انك لم ترمها • هل رميتها ؟ فقد يسألنى القائمقام نوريس
عنها ؟ »

وقال الليفتنانت بترز : ليتنى رميتها • لم أجد فى نفسى تلك
الشجاعة ووضعتها فى الحقيبة الذاخرة الى الجزائر • انك تعلم
كم فقدنا من أوراق بهذا الطريق ، واعتقدت أنه ربما ••

وقال الجاويش الفنى وقد زال عنه القلق وهو يبتسم : ربما
فقدت بطريق المصادفة عمدا ؟

الفصل التاسع عشر

بمجرد أن خرج العمدة ناستا من اعتذاره اليومي أمام الجاويش بووث ، اخترق الطريق الى الطوار العريض أمام السراى ، الذى كان يتجمع عليه فى كل يوم عدد كبير من الناس ، بعضهم لمجرد قتل الوقت ، وبعضهم الآخر للافضاء بشكاواهم التى لاتنقطع ، وبعض للاتصال بصغار المحامين الذين اتخذوا من الطوار مكاتب لهم .

واتجه العمدة ناستا الى أحدهذه الجموع ، وكانوا نحو عشرة أشخاص ، ووجد أنهم يتناقشون فى موضوع الحرب . وانتظر فرصته للتحدث ثم قال : لقدوصلتني أخبار من الداخل بعد ظهر أمس .

وتشجع ميركوريو سالفاتورى المنادى وقال : لانريد أن نسمع اخبارا من الشخص الذى لم يعدعمدة !

وتذكر ناستا العمدة الوقت الذى كان يستطيع فيه أن يضع المنادى فى السجن لسنة كاملةلقوله مثل هذا الكلام ، ولكنه قال : ان هذا الحبر وصل من ابن صديقك افرونتى قائد العربة الصاخب . لقد هرب الغلام من الجيش فى أول أيام الغزو ، وهو الآن هنا . أظنك تعرفه ، وهو غلام أمين ومحل ثقة .

وبدأ سم العمدة ينفذ . وقال فاتا الكسول الذى يظهر صباح كل يوم فوق هذا الرصيف : « اذا كان الامر كذلك فما الذى قاله مما يستحق الاهتمام ؟ » .

- قال ان أصدقاءنا الالمان قدبدأوا هجوما مضادا . .

وقال الاب بونشوفيكىو : ليس فى هذا أى جديد . لقد هجموا هجوما مضادا قبل ذلك . لقد هجموا هجوما مضادا قرب فيشيمارى ، ولم يعد عليهم بأية فائدة ، وردوا على أعقابهم ، وسيردون على أعقابهم مرة أخرى !

وقال العمدة ناستا : ليس في هذه المرة ، فانهم في هذه المرة سيستعملون خمس فرق جديدة ، وهذه جنود قوية ، فلن يردوا على أعقابهم هذه المرة ، بل قد صمموا على القاء الامريكان في البحر !

وقال فاتا الكسول الذي لا يفهم الاخبار : متى سيبدأ هذا الهجوم ؟ أظن أنني سأصعد الى التلال ..

وبدت مخايل العظمة على العمدة ناستا كما كان في أيامه السابقة : وقال لا يليق بي أن أذكر لك ذلك ، ولكن الهجوم سيبدأ في اليوم الثالث والعشرين في الساعة الرابعة صباحا . وتستطيع أن تتوقع القذف بالامريكان في البحر ما بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين من الشهر .

وبدأ الذين يسهل التأثير فيهم يصدقونه . وقالت لورا سوفيا ، التي لم تتزوج ، والتي كانت تقف فوق الرصيف على أمل أن تقتنص زوجا : في الثالث والعشرين . انه يوم الاربعاء المقبل !

ولكن ميركوريو سالفاتورى الذي أحسن الامريكان معاملته رفض أن يصدق أنهم ذاهبون ، وقال : أنا لأصدق . ان الامريكان سيردون الهجوم ! .. حتى المنادى بدأ يصدق أن هناك هجوما سيحدث ، وكل مالم يكن يصدقه هو أن الالمان سينتصرون .

وقال العمدة ناستا : لن يوقف الامريكان الهجوم . قد يكون الامريكان أصدقاء ، ولكنهم ليسوا محاربين !

وقالت مارجريتا المريعة ، زوجة كراكسى ، وهى تنظر اليه نظرة تهديد : يا كذاب !

ولكن العمدة ناستا قال : ليس هذا رأيى ، بل هو رأى ابن افرونتى ، قائد العربة الصاحب . انكم تعرفون الغلام ، وتعرفون أنه صادق . انه يقول ان الامريكان جبناء في المعركة . وهو يقول ان جنودنا أنفسهم يستطيعون هزم الامريكان .

واضطر مركوريو سالفاتورى المنادى أن يقول : أنا لأصدق ذلك !

وقال العمدة ناستا : انه صحيح . ان هذا الغلام قد حارب في تونس ، ويقول انه في موضع يعرف بالقطار لم يستمر الامريكان في هجومهم ، وانهم تصرفوا كما يتصرف الخائفون ، وهزموا . ان البريطانيين قد يستطيعون الحرب ، أما الامريكان فلا .

وقالت مارجريتا المريعة : هذا كذب حقير ! ولكن لم يكن فى صوتها أى غضب ، فقد بدأت تفقد ثقتها •

لقد كان هذا الرجل ناستا قادرا على الاقناع • لقد أقنع الناس حتى وصل الى مركزه ، وأقنع الناس حتى صاروا يرهبونه •• والآن سهل عليه أن يقنعهم ليسئوا الظن بالامريكان •

وقال العمدة ناستا : لقد ذكرلى ابن افرونتى أن الامريكان تصرفوا فى داخل البلاد تصرفا سيئا ! لقد كانوا كرماء لنا على طول الشاطئ لانهم كانوا فى حاجة الى نقطة ارتكاز ، ولكنهم فى الداخل تغيروا كل التغير • لقد اغتصب الجنود السود سبع فتيات ايطاليات ، وحدث نهب كثير !

وقال فاتا الكسول : لقد سمعت أن الامريكان نهبوا بيت كواتروتشى هنا فى ادانو وأحدثوا خسائر كبيرة !

وقال العمدة ناستا : هذا صحيح ، لقد تحدثت الى كواتروتشى أمس !

وقالت مارجريتا المريعة : ما الذى حدث ؟ - ان هذا موضوع قريب ، وهى تعتبر كل ما يحدث فى ادانو يخصها من قريب أو بعيد ، فهو مادة صالحة للقليل والقال !

وقال العمدة ناستا : لقد أتلّف المتوحشون الامريكان ما قيمته أربعمائة وسبعون ألف ليرة من الاثاث من منزل كواتروتشى • أثاث موروث وصور وتماثيل وزجاج • وقالوا ان الفن الايطالى منحط ، وقد فعلوا ذلك كله ليحتموا الآراء الامريكية فى الفن على ايطاليا • لقد قال لى كواتروتشى أن ذلك ما قاله له الميجر الامريكى !

وقال مركوريو سالفاتورى المنادى : أما هذا فلا أصدقه • ان المستر ميجر صديقنا ! ••• وقد تضايق المنادى ، لانه قال ذلك بصوت مرتفع • وكان حديثه بصوت جهورى يصل الى السراى •

وقال العمدة : خفض صوتك فقد يسمعك ويعاقبك !

وقال مركوريو : لماذا يعاقبنى ؟ اننى أدافع عنه •

وهمس العمدة ناستا : انك لاتستطيع أن تفهم تصرفاته •• وهو أيضا فاسق ، فهو يحاول أن يسبى بنات توماسينو

الصيداد • اننى علمت ذلك من مصدر ثقة ، وسترى قريباً أن بنات توماسينو ستنتفخ بطونهن!

وبدأت هذه الاخبار تسلي مارجرىتا المريعة ، وقالت : اننى أعرف بنات توماسينو ، ولاأظنهن فى حاجة لتنتفخ بطونهن الى مساعدة المستر ميجر ! وضحكت بشدة !

وقال العمدة ناستا : سوف ترون ! ثم قال كما لو كان الانتفاح قد بدأ وأن ذلك أحرجه : لا بد لى من الانصراف ! وانحنى لمن حوله محييا : نهاركم سعيد ، لاتنسوا اليوم الثالث والعشرين !

وفى كل يوم بعد خروجه من الاعتذار أمام الجاويش بورث كان العمدة ناستا يتجه الى الرصيف أمام السراى لجماعة أخرى ويحدثهم بحديث مماثل •

وسمح الجاويش بورث بحدوث ذلك لبضعة أيام، لان الجاويش بورث كان ممن يعمل بهدوء • وقد انتظر حتى تثبت من وقائعه • وقد حمل مرشديه على أن يدفعوا العمدة ناستا الى المغالاة فى أخباره واتهاماته • وتأكد أن ابن أفرونتى قائد العربية الصاحب لم يفر من الجيش • وراجع مخابرات الفصيلة التاسعة ليتأكد من أن الالمان لا ينتظر أن يقوموا بهجوم مضاد فى اليوم الثالث والعشرين وذهب الى حد سؤال الكابتن بيرفيس عن نوايا الميجر جوبولو بالنسبة لبنات توماسينو ، وقال الكابتن : لعنة الله ! لاأظن أن الميجر يعرف الى أى حد يحاولن الايقاع به بطريقته فى التحدث بالايطالية !

ولما أصبح الجاويش بورث مستعدا ، ذهب الى الميجر جوبولو وقال : يجب علينا ياميجر أن نعتقل ناستا ! وقال الميجر : ما الذى فعله ؟ •

— انه يبيث الاشاعات ضدنا • ويسوءنى أن أعترف بذلك ، ولكنه فعل ذلك بحذق وتنظيم •
— أى أنواع الاشاعات ؟

— من جميع الانواع : فقد حمل عددا من الناس على الاعتقاد بأن الالمان سيقومون بهجوم عام مضاد فى الاسبوع المقبل • وكذلك حمل بعضهم على الاعتقاد أنك لم تتخرج فى معاملة بعض الفتيات الشابات فى هذه المدينة !

واحمر وجه الميجر خجلا وقال : هذا غير صحيح ! وقال بورث : أعرف ذلك فقد حققت الموضوع • ولكنهم يقولون

لى أن الميجر يستطيع أن يحقق رغائبه متى أراد !

وقال الميجر : دع هذا المزاح !

وقال بورث : ذلك ما يقولونه لى • انهم يقولون أن هاتين الفتاتين بالذات لا ينضجان برائحة السمك ، ولكن الرجل العجوز يعرف السمكة الكبيرة حين يراها !

وقال الميجر بصوت فيه غضب : كفى ، (وغير موضوع الحديث بسرعة) ، متى تعتزم القبض على ناستا ؟

- فى الصباح عندما يأتى لتقديم احترامه •

وقال الميجر : فليكن • لنحتفظ به فى معتقل أسرى الحرب بضعة أيام ، ولانرسله الى أفريقيا الا بعد استجوابه اننى أحس ببعض السرور لابعاده !

وفى اليوم الثانى دهش العمدة ناستا اذ وجد بجوار الجاويش بورث فى مكتبه رجلين آخرين كتب على ذراعيهما حرفان يدلان على أنهما بوليس حربى ، وقال يصوت ظريف ما استطاع : صباح الخير يامستر جاويش !

وسأل بورث : وأية جريمة يريد العمدة ناستا أن يعتذر عنها هذا الصباح ؟

وقال العمدة : أليس الدور على المستر جاويش أن يختار جريمة ؟

- هو كذلك • هو كذلك • لننظر • أظن أن العمدة ناستا سيعتذر فى هذا الصباح عن جريمة اساءة استعمال الحرية الممنوحة له • سيعتذر عن جريمة الطعن فى الأمريكان •

واصفر وجه العمدة ناستا ، ووقف بورث يقول :

سيعتذر عن جريمة خلق اشاعات كاذبة ، وعن أنه ذكر لسكران ادانو سهلى الانخداع أن الالمان يعدون هجوما مضادا فى الاسبوع المقبل •

وأدار العمدة ناستا رأسه ونظر الى الباب • وأشار بورث الى رجلى البوليس الحربى ليتدخلاففعلا !

- سيعتذر أيضا عن قذفه فى حق الميجر جو بولو وأتهامه له بتهم كاذبة ، وسيندم أيضا لانه كذب فى حق ابن افرونتى قائد العربات !

وانقلب لون العمدة ناستا أبيض كالورق وصاح : كذب • هذا كذب !

وقال بورث : ان العمدة ناستامتهيج هذا الصباح • مع أنه كان قد اعتاد الهدوء في تقديم اعتذاره • فلماذا هو متهيج هذا الصباح ؟ لقد كان العمدة ناستا متهيجاً لانه عرف أنه قد وقع في الفخ • وصاح : هذه أكاذيب • ان خصومي كذبوا على ...

وقال بورث : هل هذا كذب؟ هل كذب أنك قلت أمس صباحاً أمام خمسة عشر شخصاً على الرصيف أمام السراى أن الامريكان جبناء لدرجة أن الامر تطلب دفعهم بالقوة من مراكزهم الى الفلايك حين وصلوا لهننا ؟ ... هل كذب أنك قلت ؟ ... وردد الجاويش بورث كلمة ، كلمة ، عشر حمل قالها ناستا كما رواها له مرشده • وكانت ذاكرة الجاويش بورث قوية ، وسره أن يخرج هذا الرجل ، وكان مريعا وهو يذكر العمدة بما قاله •

وبعد أن ذكر الجملة العاشرة لم يعد العمدة يذكر شيئاً عن الاكاذيب ، ولجأ الى تهديدات فارغة كانت صدى لا أيام سلطانه • وصاح : سأمر بقتلك • سأمر بسجنك !

وقال بورث : لا ! انك تقول العكس تماما يا عمدة ناستا • اننى أنا الذى سأحبسك •

وصاح العمدة ناستا : أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك • اننى سأبلغ عنك السلطات وسوف تندم عندما يضربونك ستندم ! وقال بورث : أظنك تعتقد حقيقة أن لصوص هذا العالم سيكسبون الحرب • ويحسن بك أن تعيد التفكير فى هذا الموضوع وسنعطيك فرصة لتفكر فى الأمر يا عمدة ناستا • انك مقبوض عليك ...

ثم قال بورث لرجلى البوليس الحربى بالانجليزية : خذاه من هنا ، انه يكثر من الضجة ...

وأمسك رجلا البوليس ناستا من ذراعيه ، وقال بورث : سوف تنقصنى زيارتك اليومية يا ناستا • أرجو أن تحضر لمقابلتى عندما يفرج عنك • أعنى اذا أفرج عنك •

وقال العمدة ناستا بعناد : سوف تندم !

وسحب البوليسان الحربيان ناستا الى معتقل أسرى الحرب • وهو عبارة عن المتنزه المحاط بسور فى مواجهة كنيسة

البنيديتي ، وجميع بواباته عدا واحدة عليها أسلاك شائكة . وقد امتدت الاسلاك الشائكة على جدرانه . ولما أدخل العمدة ناستا كان بالمعتقل نحو مائتي ايطالي وعشرين المانيا تقريبا ، وكان أغلب الايطاليين من رجال دفاع الشواطىء وعددهم منهم من أدانوا أنفسهم . وبمجرد أن نظروا العمدة ناستا قالوا لزملائهم من المدن الاخرى : هذا هو الخنزير الفاشستي الذي حدثناكم عنه .

ومنذ ذلك الوقت كان الايطاليون ينادون العمدة ناستا في داخل المعتقل بقولهم : الخنزير الفاشستي !

ولقد كانت بداية العمدة ناستا في المعتقل بداية سيئة . وكان للامريكان جاويش في الاربعين من عمره يتكلم الايطالية ، معيناً رئيساً لحرس المعتقل . ولما نظر العمدة ناستا الجاويش سائراً في المعتقل لأول مرة اندفع نحوه وقال : هذه غلطة ! ما كان يجب أن أسجن . انها غلطة .

وقال الجاويش بايطالية بطيئة (وارد بروكلين) : هل هذا صحيح ؟ وأنت أيضاً ضحية خطأ ؟ ان عندنا اخطاء كثيرة من هذا القبيل . ان الاخطاء هنا يجب أن تتولى تنظيف محلات الادب . وأنت أحدث غلطة هنا ، ولذلك سيكون من حقك أن تتولى تنظيف محلات الادب هذا الاسبوع .

ولم تكن الحياة في المعتقل هينة للعمدة ناستا . لم يكن عند الرجال أغطية ، وكان الجو بارداً ، لذلك كانوا ينامون ملتصقين في صفوف يدفعون بعضهم بعضاً بأجسامهم ، ولكن أحدا منهم لم يكن ليقبل أن ينام بجوار الخنزير الفاشستي ، فقد كانوا يقولون ان له رائحة خاصة ، والواقع أنه كانت له رائحة خاصة لعدة ساعات في الصباح ، مصدرها أنه كان ضحية خطأ .

وأخيراً وجد العمدة ناستا رجالاً يتحدث اليه . . . كان ألمانيا يتكلم الايطالية .

وذكر له العمدة ناستا أنه لا يزال عمدة أدانوا ، وان الامريكان اعتقلوه خيانة وغدرا ، وأنه كان يعمل كل ما في وسعه لمساعدة الالمان على الكسب ، وانه بالاختصار رجل مهم يجب مساعدته . وذكر الالمانى الذى يتحدث الايطالية لزملائه كل شىء حول العمدة ناستا ، فقرروا مساعدته على الهرب .

وانتقل العمدة ناستا بعد يومين ، وعاش بين الالمان ، وعملوا ترتيباً لهربه ، ولم يكن ذلك الترتيب صعباً ، فقد قرروا أن يرفعوا

العمدة فوق السور ، وسألوه ان كانت لديه الشجاعة ليجلس على
الأسلاك الشائكة لبضع دقائق . وقال انه يحتمل أى شئ فى سبيل
الهرب . وسألوه ان كانت لديه الشجاعة ليقفز من ارتفاع اثني
عشر قدما للجانب الآخر ، فقال نعم .

وعلى ذلك ، وفى منتصف ليلة مظلمة انتشر سحابتها ، أقام الألمان
هرما من أجسامهم ، وتسلقه العمدة ناستا الى أعلى الجدار ، وجلس
على الاسلاك الشائكة فوق السور ، هادئا كالقط ، حتى تأكد أن
الديديبان فى الخارج قد مر الى الجانب الآخر ، ثم أدار وجهه للجدار
وترك نفسه يسقط . وجرحت ركبته قليلا ، لانها اصطدمت
بالحائط عندما وصل الى الارض ، ولكنه استطاع أن يقف ويجرى
فى سكون

وتحدث الجاويش رئيس الحراس الى الجاويش يورث تليفونيا
فى الساعة الثامنة والنصف من صباح الغد ، وأبلغه أن ناستا
قد هرب .

واستعار الجاويش بورث الاومباشى شاك شولتز ، وسيارة
جيب من البوليس الحربى ، ثم بدأ المطاردة . ولقد كان للجاويش
بورث فى ذلك الوقت عدد كبير من المرشدين والمرشدين على
المرشدين ، وكلهم متطوعون ، فلم يكن تتبع ناستا بالامر الصعب .

فسرعان ما علم أن العمدة ناستا اختبأ لبضع ساعات فى منزل
فى شارع فافينى ، ثم ترك المدينة بطريق روما . وتوقف بمنزل
مزارع بقرب منزل زامبانو ليبدل ملابسه بملابس فلاح . وكان
ذلك من أيسر الامور للتحقق منه ، لان الفلاح شوهد يلبس لباس
العمدة ناستا ذا اللون الازرق الفاقع المترب ، بسبب الليالى
الطويلة التى نامها على الارض .

ولقد شوهد بعد ذلك العمدة ناستا فى مواقع كثيرة على طول
طريق فيشيمارى ، أركبه أحد الفلاحين عربته ، فقد كان العمدة
ناستا قد شبع من التلال ، وهو يحاول أن يصل الى فيشيمارى
حيث يستطيع الاصدقاء اخفاه .

وقبض عليه الجاويش بورث قبل فيشيمارى بثلاثة أميال حوالى
الساعة العاشرة والنصف .

لقد كانت سيارات الجيب تمر على ناستا طول النهار ، ولذلك
لم يشعر بأى خوف عندما سارت سيارة الجاويش بورث الجيب
بجواره ، وحتى عندما وقفت وأشار الى ركابها وصاح : « يوم

سعيد • يوم سعيد « بلهجة حسبها لهجة فلاح خشن !!
وقلد الجاويش بورث اللهجة وقال : نهارك سعيد • نهارك سعيد
يا فلاح !

وصاح العمدة ناستا الذى لم يكن قد عرف الجاويش بعد : يوم
سعيد !

وقال بورث : نهارك سعيد • انك أول فلاح رأيته فى حياتي
يلبس نظارة ! •

وعرف العمدة ناستا بورث ، وانهارت أعصابه التى كانت قد
صعفت بتأثير القبض وأيام الاعتقال والهرب • فاستدار وجرى نحو
المزارع يصرخ صراخا جنونيا كما يفعل الجندى الذى تنهار أعصابه
من تأثير طلقات القنابل •

ونزل الجاويش بورث من السيارة الجيب وذهب الى المزارع •
ولم يسرع لان العمدة ناستا كان يجرى فى دوائر يريد أن يهرب
من نفسه أكثر من أى شىء آخر • ولما أمسكه الجاويش بورث كان
قد أنهك قواه ، وبدأ يعرج وامتلات عيناه بدموع الفزع •

وبينما بورث يسير به أو يحمله الى السيارة ، بدأ العمدة ناستا
يثرثر ويفصح عن خوفه : ان كنت ستطلق على النار فأئذرنى
قبل ذلك • لا تضربنى من الخلف • قل لى ان كنت ستقتلنى • أريد
أن أعرف • • أريد أن أعرف ! •

وصفعه الجاويش بورث بشدة على وجهه ، وسكت العمدة لحظة ،
ولكنه عندما جلس فى السيارة وبدأت تتحرك ، بدأ العمدة ناستا
يتحدث من جديد : لا تطلق على النار من الخلف • اننى مستعد أن
أفعل أى شىء لأضرب من الأمام ، بحيث أستطيع رؤية البندقية •
سأقول لكم كل ما أعرف • أستطيع أن أفضى لكم بأسماء • لا تضربنى
من الخلف ! •

وقال بورث : كيف أستطيع أن أضربك من الخلف وأنت جالس
فى المقعد الخلفى وأنا فى الأمامى ؟ •

ولكن العمدة ناستا لم يكن يتحدث بعقل ، وكان يقول : سأفضى
لكم بأسرار • ان داربا وكيل العمدة رجل خائن • لا يستحق
أن يوثق به • راقبوه • ولكن أرجوكم ألا تضربونى من الخلف •
قولوا لى أولا ان كنتم ستقتلوننى ؟ • قولوا لى • قولوا لى •
يجب أن أعرف • ان بللانكا الموثق ليس من صفنا ، وله نفوذ

على الاهالى • راقبوه • أنظر اننى أستطيع أن أذكر لكم أسماء •
لا تضربونى من الحلف ! •

وأيقن بورث أن العمدة ناستانما كان يستخرج تهما وشبهات
من العهد الماضى ، وأنه يقصد أن هؤلاء الرجال يجب ألا يكونوا
موضع ثقة الفاشيين • لقد كان حديثه جنونا لان الخوف سيطر
عليه • ولذلك فقدكم بورث فم العمدة ناستا ، وربط يديه خلف
ظهره وترك عينيه الدامعتين يفضحان خوفه ، فعيناه على الاقل
صامتتان •

وعندما مرت السيارة الجيب على مصانع كبريت كاكوباردوفى
طريقها الى المدينة ، ألقى بورث نظرة على ساعته • كانت قبل
الثانية عشرة بقليل ، وكان الميجر جوبولو جالسا يتناول غداءه أو فى
طريقه الى المطعم ، ولذلك قال للسائق ان يذهب الى مطعم
بسكاتورى •

ولان الوقت كان ظهرا ، فقد حضر جمع غفير لاندية مابعد
العمل على طول الطريق بالقرب من مطعم بسكاتورى ، ليستمعوا
الى الاذاعة وينتظروا الغداء • فلما نظروا سيارة بورث وفى
مقعدىها الحلقى رجل مكتف تجمعوا واندادوا أصدقاءهم •

ولما رأوا أن حمولة بورث هو العمدة ناستا ، وانه بعد تلك
السنوات الطويلة مربوط بالسيارة والكمامة فى فمه أخذوا
يهتفون ويهزأون بالرجل !!

وزادت هذه الاصوات من رعب العمدة ناستا ، واستمر يتحرك
ويحاول أن ينظر خلفه • ودخل بورث الى المطعم وعثر على الميجر
جوبولو وأحضره للخارج •

ورفع الميجر جوبولو يده يطلب من الجمهور الصمت • وقال لبورث :
أريد أن أتحدث الى ناستا • هل يستطيع أن يسمعنى مع وجود
هذا الشئ على وجهه ؟

وقال بورث : أجل ان لديك فرصة نادرة تستطيع أن تتحدث
فيها الى ناستا ولا يستطيع هو أن يرد !

وقال الميجر جوبولو : انك يا ناستا فضيحة لاهلك • ان فيهم
طيبة لا توجد فيك بأقل مقدار • وماضر العالم الا أقوام ممثلون
أثرة مثلك ؟

ولقد كان من صفات الميجر جوبولو الكبيرة فى عمله أنه
يستطيع أن ينطق بجمل فخمة باخلاص وحماس تؤثر دائما فى

سامعيه الايطاليين، فتحرك أقواله مشاعرهم • واندفع جميع السامعين
فيما عدا ناستا بتأثير أقواله وهتفوا: اقتلوه • اقتلوه • اقتلوه!
وهنا وفي هذه المرة كان اخلاص وحماس الميجر جوبولو قد ارتدا
اليه ، لان صيحات الجموع أخافت العمدة ناستا حتى أغمى عليه !
وكان الميجر جوبولو أول من تبين السخافة في محاولة اخراص رجل
فاقد الشعور •

ولم يبق الا جملة واحدة تقال لبورث : سنرسله الى أفريقيا !
وسارت سيارة بورث الجيب به وبحمولته العرجاء ، على
أصوات هتافات أدانو الفرحة •

الفصل العشرون

لم يكن هناك مقياس لحالة ادانو النفسية أكثر من نشاط المصور لوجاكونو . ولو أن انسانا كان قد رسم رسما بيانيا لحالة المدينة النفسية ، ثم وضع بجواره رسما بيانيا للطلبات التي كلف بها المصور لوجاكونو ، لوجد الرسمين يتطابقان تماما . فكلما كانت المدينة متفائلة عمل لوجاكونو ، وحين تكون المدينة متشائمة يتوقف لوجاكونو عن العمل .

وكان لوجاكونو يستطيع أن يصور أى شئ : كان يتولى دهان المنازل ورسم القديسين ، وهو الذى كان يرسم اللوحات على جدران الكنائس ، وهو الذى رسم الاشخاص البدينين المقدسين على عربة بازيلى ذات العجلتين .

لقد كان لوجاكونو ذو الذقن البيضاء يتألم وهو يرسم . كان يتألم أولا من صعوبة خلق الرسوم ، وكان يتألم ثانيا من انتقاد أهل ادانو لرسومه ، لقد كان عمله جميلا ، وكان كل من فى المدينة يحبه ، ولكنهم لسبب أو لآخر كانوا ينتقدونه فى البداية .

ولم يكدهمضى وقت غير طويل على وجود الميجر جوبولو فى ادانو حتى بدأ لوجاكونو يعمل وكانت محاولاته الاولى بدائية لان المدينة كانت فى حالة انهيار ، وكانت قد تعطلت يده اليمنى طويلا . ولكن سرعان ما تحمس لسعادة المدينة ، وأنتج صورا لم يكن قد سبق له أن أنتج مثلها فى حياته التى لم تكن بالقصيرة .

وفى الصباح ذاته الذى تجمع فيه عدد من الجمهور حول سيارة بورث أمام مطعم بسكاتورى ، اجتمعت جموع أقل على رصيف بوننتى فى الميناء ترقب عمل لوجاكونو . لقد كان يرسم أسماء جديدة ، وصورا صغيرة على مقدمة مراكب الصيد ، وكانت الجموع عبارة عن الصيادين وعائلاتهم .

وكانت مراكب الصيد جاهزة للخروج فيما عدا عمل لوجاكونو ، فقد سدت شقوقها ، وأصبحت متماسكة كزجاجات النبيذ . وقد

رفعت الاعلام ، ودهن القاع ببوية من الرصاص • وكانت الجبال
رشيقة ، لان الميجر جوبولو أفنغ البحرية فقدمت للصيادين مجموعة
من الجنزير وحبال القنب غير المبتلة •
وكان الصيادون لا يطيقون انتظارا يريدون من لوجاكونو أن
ينم عمله •

وقال الصياد انيللو : ان لوجاكونو موهوب ولكنه بطيء • ؟
وكان لوجاكونو يرسم على مركب انيللو •
وقال صاحب اللحية البيضاء : هل تفضل لو كنت سريعا
وملخبطا ؟

وقال أحدمعاوني انيللو الثلاثة «ميراندينو» : قبل أن نجابوب على
هذا السؤال يجب أن يثبت أنك لست ملخبطا !
وتوقف لوجاكونو عن العمل ونظر الى الصياد الواقف ، وأشار
الى عمله وقال غاضبا : هل رأيت في حياتك سمكة موسى أقل لحطة
من هذه ؟

وقال انيللو : ان سمكة موسى لا بأس بها ولكنها ستموت من
الوحدة اذا لم تسرع وتحيطها بمسامرين ، ان سمك البحر يحب
المسامرة ، وأنت تعرف ذلك يا لوجاكونو • هل رأيت في حياتك
سمكة بحر تلعب بمفردها ؟

وقال لوجاكونو بتملل : سيكون له رفقاء • ان المستر ميجر
سيركب على ظهره • واذا سكتتم أمكنني أن أستمر في العمل •
وقال ميراندينو : اذن ، اشتغل أيها العجوز ولا تكن بطيئا هكذا •
وعلا الرجل العجوز لعمله •

وكان توماسينو جالسا في مؤخرة مركبه المربوط بجوار مركب
أنيللو واضعا رأسه بين يديه ، وقال بتألم : لا أعرف فائدة هذه
الرسوم • انها سخيفة • لقد سميت مركبي تينا منذ أن ولدت
ابنتي ، وسيظل اسمه تينا • وأوراق الشجر والفواكه المتدلية
من الاسم تعجبني مع أنها ليست جديدة • انكم تفعلون بكل هذه
الرسوم كما لو كان المسيح قد حضر ثانية •

وصاح انيللو في توماسينو : ماذا جرى لك أيها الحانق • هل
عندك غازات في مصارينك في هذا الصباح • امرح اننا خارجون
للصيد •

وقال توماسينو عابسا : فى القرن المقبل عندما تنتهى هذه
الرسوم .

ورفع لوجاكونو رأسه فوق مركب أنيللو وصاح : اسكت
يا توماسينو ! انك تعرف أن السبب الوحيد الذى يجعلك تتحمل أنك
تحب ما عملته منذ عشرين عاما وأنك لا ترغب فى جديد .

وقال توماسينو : ان كان لابد أن أنتظر يوما آخر للمصور
البطء فأننى سأعطى اسم تينا والاوراق والفاكهة بقليل من بوية
الرصاص عندى ، وأذهب للصيدين فردى فى مركب لايحمل اسما .

وبدا لوجاكونو يصور المسترميجر وازداد الجمع الصغير اقترابا
ليرى التفاصيل . وقد حل المصور صعوبة بتكبير قبعة الميجر
وامالتها حتى جعلها تغطى الجزء الاكبر من وجه الميجر . ولكن القبعة
على الاقل كانت أمريكية قطعاً .

وقال أنيللو : ان ساقه قصيرة . ان ساق المسترميجر أطول .
وقال ميراندينو : كنت على وشك أن أقول أن الساق طويلة .
وقال لوجاكونو : وبمعنى آخر ان الساق مضبوطة .
وقال اسكونزو وهو مساعد آخر لأنيللو : ليس له حذبة على
ظهره كهذه .

وقال لوجاكونو : انه مائل الى الامام بسبب سرعة سمكة البحر .
وقالت زوجة أنيللو : ان لون بشرته أبيض أكثر من الحقيقة ،
فلونه أقرب الى اللون الايطالى .

وقال لوجاكونو : انك غبية . انك لا تفهمين الرمز المقصود من
اللون الابيض !

والانتقاد من هذا القبيل دائما . وهذا يبين الغرض من الانتقاد .
فلم يكن الدافع له أن الناس لا يحبون ما كان لوجاكونو يعمل ،
بل لأنهم كانوا يريدون أن يعرفوا ما الذى يدور فى تفكيره ،
بحيث عندما يعرض أنيللو مركبه يمكنه أن يقول : تستطيعون أن
تعرفوا السرعة التى يجرى بها سمك البحر من ميل المسترميجر
الى الامام ، وترون بياض بشرة الميجر ، ذلك للرمزية المشار اليها
فى بشرة المسترميجر .

وأخيرا أتم لوجاكونو عمله وقرر الجميع أنه متقن ، وان قال أحدهم
أنه من الصعب على سمكة موسى أن تقفز الى هذا الارتفاع مع وجود
رجل على ظهرها . وقال آخر : اما كان يحسن أن يكون اسم المركب

المسمى الآن «الامريكانى» منخفضا عن موضعه . ونسب لوجاكونو
الارتفاع الأول لروح الحماس والارتفاع الثانى للمكانة التى اكتسبها
اسم الامريكانى بفضل المستر ميجر . وانصرف كل واحد راضيا .
وفى صباح الغد خرجت المراكب وذهب الميجر جوبولو الى
الميناء يحضر خروجها ، وكان الناس فى المدينة متحمسين فى انتظار
أكل السمك .

وكان الصيد فى ذلك اليوم طيبا . وعندما عادت جميع المراكب
ووزن السمك ، قدر أنيللو أن مجموع الصيد بلغ ثلاثة آلاف ومائتى
رطل . وأهم من ذلك أن السمك كان كله من أنواع ممتازة . وكان
المعتاد أن يقسم السمك الى أربع درجات : النوع الاكبر يباع بخمس
ليرات والذى يليه بأربع والذى يليه بثلاث والصغير جدا بليرة
واحدة . وكان أكثر من نصف صيد ذلك اليوم من الذى يقدر
بخمس ليرات .

وكان صيد اليوم الثانى أفضل اذ قارب ثلاثة آلاف وخمسمائة رطل .
وفى اليوم الثالث كان الوزن يزيد على ثلاثة آلاف رطل .
وقامت خناقات عند سوق السمك وعند مطعم بسكاتورى
الذى تخصص فى الايام السالفة لعمل السمك للصيادين (وذلك
ألد وأصعب طهو للسمك) ، فقد كانت الجموع أكثر من قبل وعاد
كثير من الناس مستائين ، لا بسبب قلة السمك بل لمجرد عدم
وجود الوقت لا طعامهم جميعا .

وكانت سعادة الصيادين لا تقدر . فان مجرد عودتهم للخروج
للصيد كافية لاسعادهم . أما أن ينجح الصيد بهذه الكيفية وأن
تكون مراكبهم فى حالة جيدة وايرادهم مرتفعا ، فكل ذلك زادهم
سعادة .

وفى مساء يومهم الثالث ذهب بعضهم الى توماسينو وقال انيللو :
ألا تظن يا توماسينو أنه يجب عليك أن تذهب الى الميجر وتشكره
لانه مكننا من الخروج للصيد .

لقد كان توماسينو سعيدا بقدر ما يمكن من السعادة ، ولكن
ليس معنى ذلك أن يبتسم أو يبدو مرحا ، فقال : لقد ذهبت الى
السراى مرة لمقابلته لان زوجتى روزا أجبرتني على ذلك ، ولكننى
لن أذهب هناك مرة أخرى ، اننى أكره ذلك المكان .

وقال الفتى الصغير المسمى اسكونزو : اذن ألا ترى أن نبعث
بأنيللو ؟ اننا نعتقد أن علينا أن نشكر المستر ميجر . لقد تحدثنا
عن ذلك ونحن فى الخارج نصطاد اليوم .

ولم يسر توماسينو من اقتراح ارسال أنيللو بدلا منه وقال :
هل أنيللو رئيس الصيادين ؟

وقال اسكونزو : لا . ولكنك لا تريد أن تذهب .

وقال توماسينو : ان أحسن مركب صيد في هذا الميناء يدعى
تينا - ومع أنه كان يتحدث بحنق فقد كان في فكرته بعض المرح :
واذن فالشخص الذى سعى المركب على اسمه هو الذى يجب أن
يذهب ليشكر المستر ميجر .

واعتقد باقى الصيادين أن هذه فكرة بديعة ، ولكن أنيللو قال :
اننا نحب جميعا أن نحضر عندما تعطى تعليماتك لابنتك عما تقوله
للمستر ميجر .

... لقد كان يخشى أن يطلب منها توماسينو العجوز الحائق أن
تقول شيئا غير سار للميجر .

وعلى ذلك ذهب جميع الصيادين الى منزل توماسينو ووجدوا
تينا . وقال توماسينو : يا تينا . نريد منك خدمة . ان
صيادى أدانو يريدون منك أن تذهبي لمقابلة المستر ميجر من أجلهم .
وأدهشت تينا الجميع باحمرار وجهها ورفضها الذهاب .

وسألها أنيللو : ولكن لماذا ؟ ظننا أن من المستحسن أن تحمل
فتاة جميلة رسالتنا الى المستر ميجر بدلا من صياد تفوح منه
رائحة السمك .

ولم تعجب هذه الملاحظة توماسينو وقال غاضبا : ان توماسينو
لا تفوح منه رائحة السمك مثل صياد آخر أعرفه .
وقال أنيللو : اننى لم أفكر في صياد بذاته يا ذا المصارين
الغازية . لا تنس أنه كان مقترحا أن أذهب أنا ، فأنا أيضا تفوح
منى رائحة السمك .

وقال توماسينو بوجه مجعد : هذا صحيح .

وقالت تينا : أنا لا أريد أن أذهب .
وانتفت توماسينو لها وقال : يا فتاتي ... لنفس السبب
الذى جعل أمك تلزمنى أن أذهب لمقابلة المستر ميجر ضد ارادتي ،
أمرك الآن أن تذهبي لمقابلته .

وحنت تينا رأسها وقالت : اذا كنت تأمرنى ...

وقال أنيللو بعد ذلك أن الطريقة التى قالت بها تينا ذلك تدل
على أنها كانت راغبة فى الذهاب من تلقاء نفسها ...

وقال توماسينو : أريد منك أن تقولى له أننا مسرورون لاستطاعتنا الخروج للصيد •

وأضاف انيللو : واننا شاكرون له تمكيننا من ذلك •
وقال ميراندينو : واننا معترفون بجميله لحبال المراكب الجديدة
وقال اسكونزو : وان كانت له يد فى ارسال كل هذه الكميات
من السمك لشباكنا ، فنحن له شاكرون •

وقال توماسينو : قولى له هذه الاشياء ولكن لاتبالغى يا بنيتى •
وقالت فى حماس لا يتطلبه الموضوع : لا تقلق فلن يحصل •
ودهب تينا لمقابلة المسترميجر فى الساعة الثامنة من صباح الغد
ولما قادها زيتو لمكتب الميجر قالت متحدية : لقد قلت ان كان
عندى عمل يخصك فيجب على الحضور الى مكتبك ، وها قد
حضرت •

وأخرج الميجر جوبولو زيتو من الغرفة قبل أن يقول : أنا
آسف لقولى ذلك • لقد شقيت بسببه منذ ذلك الوقت •
وقالت تينا : أحقا ؟ ••• قالت ذلك بصوت حنون ، ثم
أضافت بغضب : كان يجب أن تشقى لأنك كنت قاسيا جدا •
وقال الميجر : أعرف ذلك ، وأنا آسف حقاً وقد حاولت أن
أعرف ما كنت تريد أن تعرفيه •

وأصبحت تينا ممثلة عظفا ، وقالت : هل تعنى جيورجى ؟
هل وجدت شيئا عنه ؟ هل هو أسير ؟

— لا أعلم بعد ولكن قد يمكننى أن أحدثك عن جميع الأسرى بعد
بضعة أيام •

— يمكنك ؟ كلمة جد يامستر ميجر ؟

— كلمة جد يا تينا ! •

— اننى أشكرك يامستر ميجر ، أشكرك وأقبل يدك •

ولم يكده يجد الميجر جوبولو الوقت ليفكر فى انه لامانع عنده
من أن يقبل هويد تينا ، ولكن تينا كانت قد خرجت •

لقد جرت طول الطريق لمنزلها ، ولما سألها أبوها ان كانت قد
قالت كل ما كلفها به الصيادون قالت : نعم ، لقد قلت له — ثم
ألقت بذراعيها حول رقبة ابائها وقبلته من وجنتيه ، ثم وضع هو
ذراعيه حولها وضغط عليها قليلا ثم قال فى عبوس : يا فتاتى
الصغيرة اننى أظنك مجنونة !

الفصل الواحد والعشرون

كانت مصيبة ارانتى جايثا نوانه ماكان يستطيع أن يركز فكره فى أى شىء ، أو بعبارة أخرى :متى كانت فى فكره مسألة فانها تستولى عليه حتى لا يستطيع أن يفكر فى سواها . وهولا يفرق بين ما يجب أن يفكر فيه وما لا يجب ، فما فى فكره هو الذى يسيطر عليه .

فبعد أن أمر الجنرال مارفن باطلاق الرصاص على بغله ، اشترى غيره . ولم يكن هذا البغل ظريفا كسابقه ، بل كان عنيدا . ولكنه كان بغلا ، وقد منح ارانتى عملا وسرورا .

وكان ارانتى يقود هذا البغل بعد ظهر أحد الايام مختبرا المدينة ، وكان الوقت متأخرا فى الساعة التى يخرج فيها الاولاد فى المدينة من شارع امبرتو الاول ويصيحون طالبين كراملة . وكان النقل الحربى الأمريكى كثيفا بصفة خاصة فى مثل تلك الساعة كل مساء .

وقد بدا لارانتى بعد ذلك وهو يفكر فى الموضوع - وكان امامه فى السجن متسع كبير للتفكير - ان اشياء كثيرة حدثت بسرعة . والواقع أن اشياء قليلة مرت بخاطره بسرعة مما جعله يتوهم أن نشاطا كبيرا حدث .

ففى اول الأمر نظر ارانتى أمامه فى شارع امبرتو الاول ، ورأى الكوبرى على النهر الاحمر ، وجفل كما تجفل الخيل حين يقع نظرها على موضع سبق أن أوذيت فيه . ولقد كان ارانتى يجفل كلما رأى ذلك الكوبرى ، لانه يفكره بالاستيقاظ العنيف الذى حدث له وباطلاق النار على بغله .

ثم رأى صفا من عربات أرضية مائية تخرق الكوبرى . وقد سحرت هذه العربات المزدوجة ارانتى . لقد امضى منذ عهد قريب يوما كاملا على الشاطئ فوق رابية على مسافة خمسة

أميال غرب ادانو ، يرقب هذه العربات البدينة تتهادى على الرمال وتترك نفسها بهدوء تهبط الى الماء ثم تدفع نفسها الى بواخر النقل الراسية امام الميناء . ثم تعود تتمختر وتتسلق خارجة من الماء كاي حيوان مزدوج (مائي أرضي) ، وهي تتحرك ببطء على البر اكثر منها على الماء - وكان ارانتى يحب هذه العربات ويسميتها بالحرب العائمة . وقال لنفسه عندما نظر العربات المزدوجة تخترق الكوبرى : هاهى الحرب العائمة تقبل .

وبعد العربات تركز تفكيره لفترة قصيرة فى جسم جرجانو رئيس البوليس الذى كان يدير حركة المرور فى منتصف شارع امبرتو الأول . وقال ارانتى لنفسه : حتى ولو ان جرجانو يستطيع أن يتكلم أسرع من أى انسان آخر بثلاث مرات مرة بقمه ومرة بيده اليسرى ومرة بيده اليمنى فاننى لأحبه !

ولم يطل تركيز فكر ارانتى على موضوع جرجانو الذى لا يتذوقه لأن أذن ارانتى نقلت الى عقله أصوات عدد من الاطفال يصيحون : كراميللا . كراميللا ! وكان ارانتى يحب الاطفال حبا يزيد على حبه للحرب العائمة .

ودفع عقل ارانتى بطيء الحركة عينيه نحو مصدر الصوت ورأى الاطفال على الرصيف وركز تفكيره على منظرهم المحبب . ولاحظ أن هناك نحو خمسين طفلا يجرون فوق الرصيف وتحتة ، وأن نحو ستة أو سبعة زعماء أكبر وأطول من المتوسط كانوا دائما فى المقدمة ، بينما يسير الآخرون راضين خلفهم ، وأنهم جميعا من الحفيد الغنى لكابوباردو العجوز فى بزته الزرقاء الزاهية الى العديد من أولاد الشحاتين فى أسماهم الرمادية ، يضحكون ضحكة ذات رنين ، ويهتفون طالبين الكراميللا كما لو كانوا ينتظرون أنه لن تمضى دقائق الا والكراميللا تذوب على السنتهم .

والذى يلاحظه عقل ارانتى أن بغله الجديد ، اما اتباعا لنزعة عارضة ، أو لأنه سحر كصاحبه بالأطفال ، اتجه الى زاوية مستقيمة على الشارع ووقف عن المسير .

وكانت الحرب العائمة آتية . وكان جرجانو ذو اليدين موجهها كل عنايته لحركة المرور فى الشارع . ووقف بغل ارانتى الجديد قاطعا الطريق ، وارانتي ينظر الى الاطفال لا يفكر الا فيهم ولم يلاحظ اى خطأ يرتكب .

وفكر عقل ارانتى المركز فى أمر واحد ! ما أجل أن يكون الانسان

طفلاً ! • انظر الى الطفل البدين ابن كراكسى البدين • وانظر الى
الطفل النحيف ابن اربا الغبى • وانظر كيف يمسك ابن اربا فى
أسماله يد الطفل الصغير مالك الكبريت فى بزته الزرقاء: لقد كان
افرونتى العجوز الصاحب يصرخ فى وجهى منذ أيام عن الديمقراطية
وقال ان فهمى بطيىء • وقال اننى لن أدرك • وددت لو أنه هنا
الآن ! هاهم ديمقراطيو العالم الحقيقيون • ان الطفولة هى
الديمقراطية الصحيحة •

وقد أحس ارانتى بزهو عظيم لتناوله مثل هذه الافكار • •
وفجأة ارتبك عقله ارتباك كبيراً ، ورأت عيناه البطينتان
وميض بزة رسمية ، وألقت البزة الرسمية نفسها أمام رأس
بغله ، وسحبت رأس البغل الى جانب ، وتقهقر البغل وصرخ !
وفعل هذا الصراخ فعله فى عقل ارانتى • لقد رأى خيال بغله
الآخر مقتولاً بجوار الطريق • ولن يحدث ذلك الحدث الفظيع
مرة ثانية وارانتي على قيد الحياة يستطيع منع حدوثه •

وقفز من فوق عربته، ورأى خيال بذلة رسمية تندفع نحو رأس
بغلة ثانية • وهجم على البذلة الرسمية • وحيث توقع وجود
رأس فوق البذلة الرسمية ضرب بقبضة يده • ولقد صدمت يده
شيئاً وسمع صرخة غاضبة •

وسرعان ماتبين ان الصريخ صادر من جرجانو ذى اليدين •
وكان الصراخ يقول : يامغفل ! ياكومة سباح ! أغرب عن الطريق •
ألا ترى العربات آتية ؟ ألا تعرف أن ايقاف حركة المرور جريمة
تخريب ؟ ألا تعرف انه يجوز اعدامك بتهمة تعطيل المرور ؟

ولعب عقل ارانتى الضيق عليه فصلاً سخيفاً ! لقد توقف فى
وسط غضبه ليفكر : أنظر الى ذى اليدين يحاول أن يتكلم ويمسك
بغلى فى نفس الوقت • انه يحتاج يديه ليقبض على بغلى ويحتاج
يديه ليتكلم بهما • وهو لا يستطيع أن يعمل أيهما •

وعندما عدل جرجانو عن محاولة الكلام وركز تفكيره فى البغل،
عاد فكر ارانتى الى العمل، فألقى بنفسه مرة ثانية على جرجانو
وضرب ضربة ثانية بقبضة يده تركت تحت عين ذى اليدين اليسرى
علامة ظلت لعدة أيام •

وصرخ ذو اليدين مرة ثانية من الألم والغضب • ولكنه لم
يحاول أن يجادل فى تلك اللحظة، بل أمسك بعنان البغل بقرب
الشكيمة ، وجاول جر البغل الى ناحيته • ولكن البغل كان قد

قرر ألا يتحرك حتى تنتهي هذه الضجة • ولم يستطع ذواليدنين أن يحركه فرفس البغل في جانبه •

وقرر ارانتى أن يرد التحية بمثلها ، فرفس ذا اليدنين فى جانبه •

وصرخ جرجانو وضرب البغل فى رأسه • وضرب ارانتى جرجانو فى رأسه •

وأخذ جرجانو يصرخ صراخا متواصلا • وأمسك البغل من أذنيه محاولا جره بهذه الطريقة •

وأمسك ارانتى بأذنى ذى اليدنين وان كان هذا ليس ميسورا كأذنى البغل ، وأخذ يجرحهما !

وكان جرجانو سيفقد المعركة حتما لانه كان يحارب وحشين ، لولا أن جرى فى تلك اللحظة بعض جنود أمريكيين من احدى تلك العربات •

وسحب أحد العساكر جرجانو ذا اليدنين ، بينما وجه ثلاثة من الجنود اهتمامهم الى البغل ونجحوا فى جره الى أحد جانبيه الطريق • واحتاجت ازاخة ارانتى من الطريق لاربعة جنود •

وبعد أن تم ذلك عاد الجنود الى عربتهم • فكل ما كانوا يريدونه هو أن يمروا •

أما وقد تجمع عدد كبير من الجموع فلم يبق أمام جرجانو الا أن يدافع عن سلطانه • وهمس فى أذن أحد الموجودين ليذهب الى السراى ويستدعى قوة من ستة عساكر بوليس على الاقل • ثم أخذ يجادل ارانتى لحين وصول النجدة •

وصاح : يا مخرب ؟ وضرب يده بقبضة اليد الاخرى •

وصاح ارانتى « يا قاتل • ان جميع رجال السلطة قتلة »

وقال جرجانو مارا بيده أمام عنقه : أنت القاتل ؟ أتدرى كم عدد الجنود الامريكان الابرياء الذين كان يمكن أن تتسبب فى قتلهم بسبب تعطيل المرور ؟

وصاح ارانتى ذوالعقل البطي : قاتل ، قاتل البغال !

وسأل جرجانو وقد مد يديه وراحتيهما لاعلى فى حركة استفهام : بغل من الذى قتل ؟ هل ترى بغلا مقتولا هنا ؟

وكان يستطيع ارانتى أن يرى ان بغله حى • ولكنه ذهب اليه

وفحصه من طرف أنفه الى نهاية ذيله • لقد كان مصمما أنه اذا
عثر على جرح واحد أن يحدث جرحا مثله تماما بذى اليدين •
وتابع جرجانو ارانتى فى فحصه ليضمن انه لايفر • هل
البغل الميت يتنفس ؟ وهل البغل الميت يقف على أقدامه ؟
أرنى بغلا ميتا يعطس بأنفه بهذه الطريقة ؟

وجاء عساكر البوليس الستة وقال جرجانو : أيها العربجي
الغبي • انك مقبوض عليك • وأمسك بمعصمه الايسر بيده
اليمنى • وأحاط العساكر الستة بارانتى • ودهش جرجانو لانه
لم يقاوم مطلقا • وكل ماطلبه أن يسمح له بالتحدث الى بغله •
وتقدم وربت على خد البغل وقال : كن صبورا يامستر ميجر • ان
الرجل الذى تحمل اسمه رجل عادل كما يقولون لى • سوف
ترى صاحبك قبل أن يمضى وقت طويل •

الفصل الثانى والعشرون

بين الخطابات الكثيرة التى يصبها كاكوباردو العجوز على الميجر جوبولو ، وصل خطاب ثان لفت اهتمام الميجر . وكان الخطاب يقول :

« على مسافة كيلو أو اثنين من شاطئ البحر بجوار ادانو فى مياه غير غزيرة توجد الباخرة انزيو وصوارىها ظاهرة فوق الماء وصاحبها الفعلى هو جاليازوشيانو زوج ابنة موسولينى الذى أتم التحالف مع هتلر ، وهو وزير خارجية سخيف .

وقد أخذت الباخرة حمولة نفط وزيت للتشحيم لتريستا من أدانو ، ثم أكملت حمولتها بعشرة آلاف طن كسبريت خام من فيشينامارى ، وفى عودتها الى مياه أدانو فى طريقها الى تريستا بالقرب من هذا الميناء ، وأثناء انتظارها اشارة من السيمافور، أصيبت فى المؤخرة من طوربيد ومن غواصة يبدو أنها كانت تراقب شحنتها من أدانو ومن فيشينامارى .

وقد تكونت سحابة بيضاء (انيدريد الكبريت) دفعة واحدة . وحاول القبطان - وهو بحار ماهر - سائرا بسرعة وفى سير متعرج أن يصل الى المياه غير الغزيرة بجوار رصيف ليفانتى ، وإذا بطوربيد آخر يصيبها عند عمود الرفاص فيغرقها . وهذه الحمولة ذات أهمية كبيرة لحياة مدينة ادانو المدنية والمدن المجاورة .

وقد علمت أنه يوجد فى هذا الميناء حوض عائم ، يقال انه رفع أمس من قعر البحر مر كبا صغيرا أغرقته أخيرا طائرات بريطانية .

ومع استبعاد كل الاعتبارات السياسية الاخرى أريد أن أضع تحت نظر سعادة الاميرال للقوات البحرية فى هذه المياه مناسبة

اخراج المركب أنزويو في الحوض الجاف وتفرغ حمولتها على الشاطئ، اذهي مطلوبة بشدة حياة السكان المدنيين العادية ، وفي هذه الحالة أود بيع الكبريت لمصلحة أدانو وقضية العالم الحر . بكل احترام : م . كاكوباردو»

وقد استرعت جملة « لمصلحة أدانو » نظر الميجر جوبولو . فقد كانت تعترضه صعوبات مالية في منح المساعدات الاجتماعية من أموال الغرامات والأموال المحصلة من مشروعات أخرى . ولو أن البحرية وافقت على اخراج الانزويولا استطاع أن يبيع حمولتها ويستعمل إيرادها في المساعدات العامة . انها محاولة تستحق أن تعمل .

ولم تسنح للميجر جوبولو فرصة التحدث للفتنانت ليفنجستون من البحرية منذ اليوم الذي حمله بتهديده الادبي على السماح للصيادين بالخروج للصيد ، فلما طالبه هذه المرة تذكر حديثه السابق وقرر أن من المستحسن اتباع طريقة أخرى .

ورد الصوت الخارج من « كنت وويل » : ليفنجستون ميناء أدانو . وقال الميجر جوبولو : هالوكابتن . هنا جوبولو . قل لي لقد طلبتك لأبلغك أن عددا كبيرا من الناس قالوا أن المدينة كلها تعترف لك بالجميل .

ولكن الصوت الخارج من « كنت وويل » خامره الشك ، وسأل : وما السبب ؟

وقال الميجر « لأنهم استطاعوا أن يأكلوا سمكا . أنك تندهش للفرق الكبير الذي أحدثه ذلك هنا . لقد حضر الى كثيرون هنا يطلبون مني أن أشكر رجل البحرية . وأظنك المقصود . حتى هذا الصباح سألني بلانكا العجوز الذي عينته عمدة هنا عما اذا كان يجب أن يبعث لك بتلغراف شكر شخصي .

وأبدى الفتنانت ليفنجستون اهتماما خاصا : هل هذا صحيح ؟ وقال الميجر جوبولو : هذا ما حصل ، وقد قلت له أنني سأشكرك نيابة عنه . وأريد أن أشكرك نيابة عن نفسي أيضا . يا ولدي . ان الفرق عظيم حين تجد سمكا طازجا بعد كل الاكل المحفوظ مدى أسابيع لا ندرى عددها .

وبدأ صوت الفتنانت ليفنجستون يتودد : لك حق . ان هذا الاكل المحفوظ فظيع .

وقال الميجر جوبولو : ان لدى سمكا فى الغداء يوميا ، وكلمنا مضغت لقمة فى فمى قلت كلمة شكر صغيرة للبحرية التى سمحت بخروج الصيادين .

وهكذا وضع اللفتنانان ليفنجستون فى جيبه ، وقال الليفتنانت : الحقيقة أنه كان عندنا هنا فى البحرية سمك أمس مساء وكان سمكا ممتازا . هل بلغت أننى أسست ناديا صغيرا هنا ؟ لقد أخذنا بيتا صغيرا ، مجرد مكان لنزول الضباط الذين يحضرون الى هذا البحر من جهنم وقد خفض خريج كنت وييل صوته حتى أصبح كأنه يفضى بأسراروهو يقول : لقد عثرت على كمية من الوسكى الاسكتلندى . بضعة صناديق . تعال لنشرب سويا ! وقال الميجر جوبولو : سأحضر ولا شك . أظننى أود أن أشرب كأسا من وقت لآخر .

وقال اللفتنانان : وهو كذلك . ان هذا المكان رطب جدا . ولم يكن الميجر جوبولو يحب أن يشار الى مدينته بهذه الطريقة ، ولكنه كان يقوم بعمل فى هذه اللحظة ، ولذلك قال : انها حياة مملة ، أليس كذلك ؟

وقال اللفتنانان : مملة ؟ وأى املال . انهم اذا أرادوا يوما أن يعطوا العالم القديم حقنة ، فهذا هو المكان الذى يجب ادخال المبسم فيه .

ولم يفهم الميجر جوبولو النكتة ، ولذلك لم يضحك كما كان اللفتنانان يود منه أن يفعل . ولكنه قال : ولكنكم فى الاسطول تعرفون كيف تعيشون !

وقال اللفتنانان بتواضع : اننا نتصور أنه لا ضرر من العيشة المريحة .

وقال الميجر : تحيتى لك . لقد حدثتك لأشكرك على موضوع الصيد . لقد جعلت نفسك محبوبا من هؤلاء الايطاليين .

وقال اللفتنانان : لا شىء يستحق الشكر اننى مسرور لأننى ساعدتهم !

— على كل حال شكرا . ألف شكر . . . قل لى قبل أن أضع السماعة . لقد خطر لى خاطر . لقد سمعت من بضعة أيام عن طريقة تستطيع أن تستعمل فيها ابتكاراتك وتكسب أصدقاء جددا وتعمل عملا نافعا فوق البيعة .

وأقدم اللفتنانة كما تقدم السمكة الجائعة على طعم معروض
عرضا متقنا : وكيف ذلك ؟

- هل رأيت الصواري الخارجة من الماء بجوار الرصيف على يمين
الميناء ؟ لقد سمعت أنها تتصل بمركب آلى صغير محمل بالكبريت
ومواد أخرى تحتاجها هذه المدينة أشد الحاجة . وفكرت فى أنه إذا
كان حوضك الجاف غير مشغول فى يوم من الايام ، فقد يرفع
المركب وتحصل المدينة على حمولتها ، وقد تترك أنت عملك
وتصبح عمدتها ، لانك ستصبح أشهر رجل فيها !

وقال اللفتنانة : هذه فكرة بديعة ، ولا بد لى من الحصول على
اذن ، ولكن لا أظن أننى سأجد صعوبة . شكرا كثيرا لهذه
الفكرة !

وقال الميجر : لقد طلبتك لاشكرك ، وسأسجل عليك هذه
الدعوة لكأس وسكى فى أحد هذه الايام .

وقال اللفتنانة : بلا شك فى أى وقت تشاء .

وعندما ترك سماعة التلفون فكر اللفتنانة فى نفسه : ياله من
فتى طيب ! انك لا تستطيع أن تحكم على انسان الا بعد أن تعرفه .

الفصل الثالث والعشرون

اتكأ البريجادير جنرال وليامب • ويلسون من مخازن المهمات فى الجزائر على مكتبه ، وصاح فى مساعده خلال الغرفة بلهجة جنونية واضحة : اسمع هذا، لعنة الله يا هام •! ان الانسان ليظن فى بعض الاحيان أن هؤلاء الانجليز يعتقدون أننا أصبحنا ملكا لهم! • ونظر الكولونيل الذى ناداه البريجادير باسم هام وسأل : ما الذى فعله الاستغلاليون هذه المرة ؟

وقال الجنرال : لقد وصلنى الآن هذا الخطاب • أغرب شىء رأيته فى حياتى • انه من ميجر امريكى فوق البيعة ، وهويثبت كيف أن هؤلاء الطماعين أولاد الزنا يستطيعون أن يضحكوا علينا ان لم نحتط لهم !

وقال الكولونيل المسمى هام : طبعاً • انهم يعرفون من أين تؤكل الكتف !

اسمع الآن ما يقول : اننى أكتب لك بناء على اقتراح الميجر جنرال صاحب السعادة اللورد رنسن - ابن الحرام هذا ! لقد قابلته مرة فى «اللتى» وقلت له كما يفعل كل انسان مؤدب وهويودع آخر : اذا كان هناك أى شىء أستطيع أن أعمله من أجلك فأرجوك أن تخبرنى ، فاذا به يعود الى ويقول : نعم هناك أشياء ، فان عندكم أنتم الامريكان كل شىء! ولعنة الله عليه ! لم يكد يمضى اسبوعان حتى وصلنى منه خطاب يذكرنى بما قلت له ، ويسألنى ان كنت أستطيع أن آتية بسيارة جيب • ولقد ظهر لى أن حكومة الحلفاء العسكرية تجعل منه رجلا مهما ، فسعيت حتى كدت أخلع عنقى وحصلت له على سيارة جيب • وما كاد يحصل عليها حتى كتب يشكرنى ويسألنى ان كان عند الامريكان أى أنواع من بيبات التدخين ، وانه لا يدرى ما يفعل بغير بيبة ، وان كنت أستطيع أن

أحصل له على واحدة ؟ وعلى ذلك أرسلت له بيبة • ثم كان على أن
أحصل له على آلة حلاقة كهربائية ! تصور ! ثم كتب يقول لى أن اللبان
موضع استغراب بين رجال مكتبه ، وطلب منى صندوقا كبيرا ؟
وبلغت به المرأة أن طلب منى صندوق ويسكى ، وقال انهم
يصرفون له الروم والجن ، ولكن كل الوسكى الاسكتلندى يصدر
الى الولايات المتحدة ، ويسألنى ان كان يضايقنى جدا أن آتية بصندوق
ويسكى ؟ ولذلك صممت على ألا آتية به أى شىء بعد ذلك ، ولو
أعادونى الى الولايات المتحدة •

— وما الذى يطلبه الآن ؟ •

— انه لا يطلب شيئا • ان هذا الميجر من رجالنا هو الذى يطلب ،
وهذا ما يجعلنى أكاد أجن • ان رنسن العجوز يتصور أننى صاحب
دكان تتولى توريد كل ما يطلب منه ، ويدور يشير على الناس بأن
يطلبوا منى كل ما يصعب عليهم الحصول عليه •

— حسنا ، ما الذى يطلبه هذا الفتى ؟ •

— يا لله يا هام ! انه يطلب جرسا •

— ولماذا الجرس ؟ •

— انه يقول: اننى أعتبره مهما جدا لرفع مستوى أخلاق وحسن
سلوك هذه المدينة أن أحصل على جرس يحل محل الجرس الذى
أخذ منهم ، كما هو مبين بعاليه ! ••••• اننى لا أفهم ! انه يتحدث
عن جرس عمره سبعمائة سنة • ولكن ليس هذا هو المهم يا هام •
ان الذى يكاد يجننى أن هذا الانجليزى ابن الحرام يظن أنه
تملكنا •

وقال الكولونيل المسمى هام الذى كان خبيرا فى قول « نعم »
لرؤسائه و « لا » لمرؤوسيه : نعم اننى أرى ما تقصد !

— انهم يفعلون ذلك دائما يا هام • ولعلك تلاحظ أن الانجليزى
لا يتأخر عن أن يأكل فى الميس الأمريكى كلما سنحت له فرصة •
— أنظر الى الاعارة والتأجير ! لعنة الله ! اننا فى الواقع نعطيهم
كل شىء ، ولا تظن أنهم سيدفعون لنا أى شىء • انهم لن يشكرونا
حتى مجرد شكر يا هام •

وقال الكولونيل المسمى هام: اننى أشك أنهم يفعلون •

— اننى أعلم أنهم لن يفعلوا • وانظر الى الطريقة التى يديرون

بها الحرب • انهم يضعون ضباطهم في جميع النقط الاستراتيجية،
يا هام !! اننا نكسب هذه الحرب الملعونة من أجل الامبراطورية
البريطانية •

وقال الكولونيل المسمى هام : هذا صحيح فيما أعتقد •

- لا يا سيدي ، لعنة الله على اذا أنا فتشت وبحثت عن جرس
لهذا الانجليزى الملعون ! أين يظن أنني سأجد جرسا عمره سبعمائة
سنة ؟ لا يا هام لن أفعل • أكتب خطا بهذا الميجر من فضلك يا هام •
- نعم يا سيدي • ماذا أقول له ؟ •

- قل له صراحة ، لعنه الله ، قل له ان الجيش الامريكى ليس
عنده بمخازنه أجراس عمرها سبعمائة سنة • قل له أنه يجب
أن يدرك أن الحرب دائرة ، وأن يراقب هؤلاء الانجليز الملعونين ،
والا أخذوا الحرب من بين أيدينا •

- نعم يا سيدي •

الفصل الرابع والعشرون

لقد كان الميجر جوبولو يفتبط بالأوقات التي يتولى فيها القضاء ،
لأنه من ناحية كان يسر لرؤية الأثر الحسن للعدالة الحقيقية في
أهالي أدانو ، ومن ناحية أخرى لأن جرجانو رئيس البوليس كان
يصور كل جريمة كما لو كانت ضده شخصيا . وكانت محاكمات
الميجر جوبولو مؤثرة ، لأنه كان ينجح - بطريق الحداغ والضغط
الأدبي والافناع - في أن يجعل الحقيقة تبدو جميلة وضرورية .
وكان يقول : الحقيقة .. أريد الحقيقة الآن لا الاسبوع المقبل .
ويجد المتهم نفسه يقرر الحقيقة ويستبعد الكذبة التي أتعب نفسه
في اعدادها .

وكانت المحاكمات تبدأ في نحو الساعة الثالثة من بعد ظهر أيام
الاثنين .

وأحضر جرجانو أول متهم بعد ظهر يوم اثنين ، وقال وهو يقدمه
للمحاكمة : سنبدأ بالقضايا البسيطة ...

وسأل الميجر جوبولو : وهل عندك قضايا خطيرة ؟

ورفع جرجانو سبابته وقال بغضب : واحدة .

وقال الميجر : اذن ربما كانت الغرامات التي سنحصلها هذا
الاسبوع كبيرة .

وظن أنه يمزح ، ولكنه تعلم البخل من أجل أدانو ، وفي كل
يوم اثنين بعد الظهر كان يجتهد أن يعرف مدى ما حصله من
الغرامات .

وقال جرجانو بحماس : أرجو ذلك ، ثم صاح : القضية
الأولى .

وأثبت الميجر الاسم والعمر ومحل الميلاد وجنس المتهم ، وجعل
جيوزيبي يحلفه بالاطيالية بما يقابل قول الحق كل الحق ولا شيء

غير الحق • وقرأ جرجانو التهمة، فقد ضايق الرجل الناس وهو
سكران •

واستجوب الميجر الرجل :

انه فقير ، فمن أين جاء بالنقود ليسكر ؟ من زوجته •

ومن أين أتت هي بالنقود ؟ من الاعانة العامة •

ألا يعرف الرجل أن من المهين جدا أن يسكر الانسان بأموال
محصلة من الاحسان ؟

انه يعرف ، ولكن اللذة غلبت الاحساس بالحجل •

هل يتراجع الرجل على أنه مذنب أو غير مذنب ؟

مذنب ؟ حسنا !

ويقول الميجر : اننى أرى أنك أفقر من أن تدفع غرامة ، وسأخبرك
بين أن تنزل عن الاعانة العامة لمدة شهرين ، أو تدخل السجن
لشهر واحد ؟

ويختار الرجل دون تردد أن يفقد الاعانة العامة •

ويقول الميجر : ان كان الاختيار بهذه السهولة ، فأنت اذن

لا تحتاج الى الاعانة مطلقا ! ويأمر جوجانو بشطب اسمه من القائمة •

وينادى جرجانو : القضية الثانية ...

وكانت قضية امرأة متهمة ببيع لبن ماعز بأزيد من الثمن وبالعش
فى الكمية •

وأنكرت المرأة كل شيء •

وقال لها الميجر أنه يريد الحقيقة، وأنه خير لها وأفيد أن تصدقه •

وقالت : فليكن • • لقد بعت وزنا أقل قليلا •

وقال الميجر أنه سيدعو المرأة التى باعت لها اللبن ، ويسألها ،

واذا كانت المتهمـة قد كذبت فسيجعل الغرامة ثلاثة أضعاف •

وقالت : فليكن ، لقد باعت اللبن بسعر أكبر قليلا • • ثمانى

ليرات بدل ست !

ولقد بدت هذه المرأة فقيرة كالمتهم فى القضية الاولى ، ولكن

غلطتها كانت أخطر • وغرمها الميجر ثلاثة آلاف ليرة تدفع فى

خلال أسبوع •

وكانت القضية الثالثة قضية سرقة • اتهم فيها فلاح بسرقة
سجاير من كشك للجيش بجوار عزبته •

وطلب منه الميجر جوبولو أن يذكر روايته للحادث •
فقال أن بعض الجنود أعطوه خرطوشة سجاير وضعها تحت
جاكته واتجه الى منزله •

وطلب الميجر جوبولو الكشك تليفونيا ، وعلم من الجيش أن
الرجل سرق خرطوشتين وبعض المأكولات •

وبدأ الميجر يلقي خطبته عن الصدق ؟ وبعدد من الاسئلة
الماهرة حمل الرجل على أن يعترف بكل ما فعل •

وحكم الميجر جوبولو على الرجل بغرامة مائة ليرة وأعطاه درسا •
ولما انتهت قضية السرقة ، وقف جرجانو وقال : والآن ،
القضية الهامة ! ••

وكانت القضية التي اعتبرها جرجانو هامة هي قضية ارانتى
وعربته ذات البغل •

• وحلف ارانتى اليمين •

• وسأل الميجر عن التهمة •

وأزاح جرجانو ارانتى الى جانب القاعة ، ووقف هو أمام
الميجر •

وبدأ يقول : يا حضرة الميجر المحترم • انها قضية تدخل فى
شئون الحربية الامريكية • اننى اعتبرها من أخطر ما تصرفنا فيه !
وقال الميجر : اترك لى الحكم على هذا الموضوع وقل لى : ماهى
التهمة ؟

عند ذلك روى جرجانو ، أوبالاصح مثل ، كيف أن عربة
ارانتى جايتانو سدت الطريق فى شارع امبرتو الاول • وقفز
جرجانو ذو اليدين وصار يحلف ويهز قبضتيه فى وجه ارانتى ،
وجعل زيتو يمثل البغل ، وهاجم زيتو بوحشية ، وأخذ يوالى
ضربات تمثيلية أثر ضربات • ولم يطلب من أحد أن يقوم بدور
ارانتى ، ولكنه ترك تملصه وترنحه ينبىء عنه •

ومثل تمثيلا فظيحا للمجهول الذى كان يمكن أن يحدث من
نتائج توقيف ارانتى لقافلة السيارات المزدوجة • وبدأ عليه

نفسه أنه كاد يموت عدة مرات كلما تصور موت الفتیان الأمريكان
الناج من عناد العربی وغباوته !

واستمر جرجانو یشرح کیف تحدی ارانتی السلطة وحاول أن
یسخر منها أمام الناس . وانتحى جانباً وقام بتمثیل دور الناس
وهم یضحكون من السلطة بسبب تصرف العربی !

ورغب فی أن یدخل فی روع المیجر أن جريمة هذا العربی
كانت خطيرة خطيرة مضاعفة ، لوقوعها بمحضر من نحو خمسين
طفلاً . أى فكرة عن القانون والسلطة ینمو بها هؤلاء الاطفال ١٠٠٠ !
وبینما هو یعرض هذه الفكرة أخذ جرجانو یندفع لأعلى وأسفل
صائحا یطلب کرامیلة .

واستمر بعد ذلك یهاجم زیتو ویمثل ضحکات الجماهير ، مشیرا
الی السقف وهو یقسم بالله أنه لم یسبق له أن أهین بمثل هذه
الاهانة فی حیاته .

وأصبح واضحاً للمیجر جوبولو من هذا العرض أن جدیة
هذه الجريمة مرتبطة تمام الارتباط فی نظر جرجانو بالحرع
الذی وجد نفسه فیهِ . وسأل العربی لیروی روايته . وترك
ارانتی یحكى حکایة طويلة كحکایة جرجانو ، وان کان - من جانبه
قد کون رأیه فی الموضوع . ولقد كانت حکایة ارانتی البطیئة المؤلمة
شیئاً جمیلاً یتحقق الاصغاء الیه وان کان نجعا . انها حکایة فلاح
ایطالی عاش حیاته فریسة للخوف ١٠٠٠ !

- اننى فقیر یا مستر میجر . املك عربیة . والعربیة هی کل ما
أملك .

ثم أدار نظره حول الغرفة وفکسر . ثم قال : لقد ماتت
زوجتى بحمی الملاریا . وكانت زوجتى امرأة جادة ، لم تضحك
خلال ثمانی عشرة سنة ، ومع ذلك كانت تطهو الأرناب بمهارة
وماتت بحمی الملاریا .

وسکت أرانتی فترة . فقد کان یحتاج للتفکیر لیتذكر .

- اننى لا أحب المكان الذی أعیش فیهِ . اننى أحتاج لازالة
زبل العنزة کل مساء قبل أن أنام ! ان السکن مع أربع عنزات یجعل
الغرفة مزدحمة جداً . . انها لیست مزدحمة بالقدر الذی كانت
علیه قبل الغزو ، فقد قتلت اثناً بل خمس عنزات أخرى . لقد
حزنت علی موتهم ، ولكننى نظرت الى الأمر من ناحیة أن كمية الزبل
التي یجب ازلتها کل لیلة ستنقص .

وصمت العربى لفترة طويلة وهمهم جرجانو : تكلم فى
الموضوع أيها الغبى ...

وقال الميجر جوبولو : قل حكايتك بالطريقة التى تريدها .
وقال ارانتى : اننى لا أزل لا أدرك لماذا قتلوا بغلى ؟ كنت
نائما على عربتى . ربما لأننى أفرطت فى الشراب ! ولكن هذه
غلطة يشترك فيها كل العربية ، ولم أسمع أن بغالا أخرى قتلت ؟
هذا مع عدم ذكر ضرورة اصلاح العجلة اليمنى لعربتى ! اننى لا
أدرك السبب يا مستر ميجر .

وأدرك الميجر جوبولو لأول مرة أن هذا الرجل ضحية ثورة
غضب الجنرال مارفن ! ولم يكن هناك ما يستطيع أن يقوله
للعربى ليفسر له ، ولكن ارانتى لم يبد عليه أنه ينتظر من الميجر
تفسيرا . واستمر يقول :

- هناك أشياء كثيرة لا أفهمها يا مستر ميجر . عندما كنت
صغيرا كنت جميلا ، أو على الأقل ذلك ما كانت تقوله زوجتى التى
كانت تستطيع أن تضحك اذ ذاك . فلماذا أنا قبيح الآن يا مستر
ميجر ؟ هذا أمر لا أستطيع أن أفهمه . ما الذى حدث لوجهى ؟
وتوقف ثم فكر . لقد كان منظر ولدى جميلا فى بذلته
الرسمية . أعنى أن منظره كان جميلا قبل أن يقتل . أما بعد أن
قتل فكان منظره بشعا ! لم تكن له سيقان ! وكانت له نصف رأس !
ذلك ما قاله لى قائده . هل كان من الضرورى أن يقول لى ذلك
قائده ؟

وصرخ جرجانو : اننا نحاكم عربىا أوقف حركة مرور
عسكرية ، فهل من الضرورى أن نستمع لمثل هذا الكلام يا مستر
ميجر ؟

وقال الميجر جوبولو : نعم يا جرجانو ، أظن أنه يجب أن نسمع .
وفى رأى أن ما يقوله العربى متصل بقضيته .
وقال جرجانو رافعا يديه لاعلى مستسلما : أنت القاضى .
وقال الميجر : استمر يا عربى .

وقال ارانتى : اننى لا أحب هذا الرجل . انه يبدو لى انه يحرك
يديه أكثر من اللازم . لقد خلق الله لنا لسانا لتكلم به . لى
سنوات وأنا لا أحب هذا الرجل ! لم أحبه من اليوم الذى بصق فيه
فى وجه زوجتى . لقد كان ذلك بعد أن توقفت عن الضحك بزمان
طويل !

ثم التفت العربجي الى الميجر مبعدا نظره عن جرجانو الغاضب، وبعد فترة انتظار قال: لقد أكلت بطيخة من يومين • لقد كانت أول فاكهة طازجة ذقتها من وقت الغزو • لقد سرقتها • فكل الاشياء الطيبة تباع للامريكان بأسعار مرتفعة، ولا يترك للعربجي شيء الا لبن الماعز • ولكل شيء طيب جانبه السوء • فلا بد لتحصل على لبن الماعز أن تتحمل زبله •

ووقف قليلا ثم قال : ومع الأمريكان لابد - فيما أظن - أن نتقبل الجوع ! ثم توقف طويلا وقال : ومع ذلك فالجوع أفضل من أشياء أخرى • لكم كنت أود أن أسمع زوجتي تضحك من جديد •

وبعد صمت آخر قال : يبدولي ، أننى سمعت ضحكات أكثر من بعد نزول الأمريكان الى البر، وهذا صحيح خصوصا بين الاطفال ! لقد حاولت أن أفهم ما الذى جعلنى أقف وأستمع للاطفال فى ذلك اليوم عندما لم ألاحظ الحرب العائمة •

- لم تلاحظ ماذا ؟

- اننى أسميها الحرب العائمة • العربيات الأمريكانى التى تعوم !

- نعم • العربيات المزدوجة • استمر •

- هناك ضحك أكثر بين الاطفال • وهناك شيء آخر عند الاطفال لم ألاحظه من قبل • فقد كان طفل اربا النحيف فى ذلك الجمع ممسكا بيد كاكوباردو الصغير • لا أدري ان كنت تقدر معنى ذلك يامستر ميجر • ان اربا عربجي مثلى ، وكل ما فيه أنه أكثر غباءا منى يامستر ميجر • وكل الناس يعرفون اسم كاكوباردو •

وقال الميجر • نعم أعرف انهم أغنياء !

- اننى يامستر ميجر أكاد أكون غبيا كأربا، ولكننى لاحظت شيئا • ان ما يعمله الاطفال يظهر عليهم بوضوح ، ومن السهل رؤيته • أما ما يفعله الآخرون فانه يختفى فى دخيلة أنفسهم • فالذى تراه حادثا بين الاطفال فى أى وقت انما يحدث بين الكبار أيضا ، ولكنك لا تستطيع أن تلاحظه لأنه مختف فى الداخل • أعنى الضحك والامساك باليد ، ومع ذلك ...

وتوقف اراننى جايتانو ، وبدا هذه المرة أن توقفه سيطول • وتجهم وجهه ••

- ومع ذلك ماذا ياعربجي ؟

- ومع ذلك فانتى لازلت لأفهم لماذا قتلوا بغلى ؟ هذا الابقاء على
فى السـجـن فهمته • اننى لم ألاحظ الحرب العائمة ، وآسف
لانى وقفت فى طريقها • ولكن بالنسبة للبغل الذى أطلقوا عليه
النار لا أجد تفسيراً •

وفى هذه اللحظة كره الميجر جوبولو الجنرال مارفن كراهة
حادة ، وقال : نعم يا عربجى • هناك تفسير • انه ليس تفسيراً
جميلاً فيما أعلم ! انك تدرس النفس الانسانية كما أرى • ولا بد
أنك لاحظت أن المخلوقات الانسانية كثيراً ماتت خطأ • لقد كان قتل
بغلك غلطة فظيعة ارتكبها انسان ، وآسف جداً لانه اتفق ان كان
أمريكياً •

وحك ارانتى ظهره وقال : ان كانت غلطة • • • كانت غلطة • •
وتساقطت الدموع من عينيه •

وأنهى الميجر جوبولو هذا الارتباك بقوله لجرغانو : سنضطر
لرفض هذه الدعوى يا جرجانو ، وآسف اذا كانت قد ضايقتك ،
ولكن بعد الذى قاله هذا الرجل ، هل تجد من العدل عقابه ؟
واعترض جرجانو : ان الجنود الامريكان كانوا معرضين للموت
بسبب التأخير !

وقال الميجر : اننى أشك فى ذلك يا جرجانو • كل جريمته أنه
اهتم كثيراً بضحكات الاطفال •

واسترد ارانتى نفسه من تأثره المؤقت وقال : لقد ازداد
الضحك • وأحسب زوجتى كانت تضحك لوصفى لهذا الرجل ! • •
ونظر لجرغانو وهو يتكلم عن عربته ! انه من المؤسف حقاً أنها
ماتت من الملاريا • الآن وأنتم هنا ، أظنها كانت تضحك برغم
الغلطة الخاصة بالبغل ! نعم أظن ذلك يامستر ميجر !

الفصل الخامس والعشرون

كان الميجر جوبولو يقول : حسن ، هذا ما حدث . بينما الآخرون فى غرفة استقبال توماسينو يضحكون ويتكلمون بصوت عال ، وتينا والميجر لا يعيرونهم أى التفات :

عندما حضرت مجموعة الأسرى فى الأسبوع الماضى، كان معهم نوع جديد من الأوراق . كل ما كان فيها : « لاخلأ سبيله عند أقرب معتقل لمنزل حامله » وعليها توقيع شخص من الجيش التاسع . وقد قررنا ان نتحقق ونتأكد لأنه لم يصل الى علمنا شئ بخصوص اطلاق جميع الأسرى الايطاليين .

لذلك كتبت كلمة الى ذلك الرجل من الجيش التاسع ، ووصلنى رده هذا الصباح . وهو يقول ان سياسة جديدة قررت أن الأفضل لنفسية الناس هنا أن نترك الأسرى الايطاليين أحرارا . وهو يقول ان الخطر من إعادة الحرية لبعض الضباط المتعصبين الذين قد يستمرون على العمل مع الالمان ، يقابله ويخفف منه المكسب الذى تكسبه أغلب المدن الايطالية .

وقالت تينا فى حماس : ومتى ستطلقون سراحهم ؟

وقال الميجر : لابد من فرزهم وارسال كل منهم الى أقرب معتقل لموطنه . لدينا عدد كبير من فيشيينامارى يجب ارسالهم لهنالك . وسيستغرق ذلك أسبوعا فى تقديرى .

وقالت تينا : هل ذهبت الى المعتقل حديثا ؟

وقال الميجر : نعم كنت هناك اليوم .

— هل يوجد به كثيرون من أدانو ؟

— نعم . عدد لا بأس به كما فهمت .

— قل لى يا مستر ميجر : هل تحدثت الى أحدهم ؟

— نعم تحدثت .

— ألم تصادف ...؟

— انه ليس هناك يا تينا . لقد بحثت عن اسمه في الكشف .
كذلك سألت بعض رجال أذانو . وقالوا أنه لم يصل الى علمهم
أى شيء . لقد ذهبت الى المعتقل خصيصا لأبحث .

وقالت تينا : أنك لطيف جدا يا مستر ميجر .

وقال هو : لقد كنت فظا قبل ذلك !..

لقد ود أن يقول لها لماذا كان فظا ، وأن هناك أشياء خاصة
لا يحب الرجل الوحيد أن يستمع اليها، وأنه لم يستلطف الإحساس
بأنها انما استعملته للحصول على شيء تريده . ولكنه لم يقل .
لم يقل لانها لم تدع له الوقت اذ قالت :

— هل تظن أن جورجيو — جورجيوانا — فى أحد المعتقلات
الآخرى ؟

وقال الميجر : لا سبيل لمعرفة ذلك !.. وتحول صوته
فجأة الى البرود .

— ومتى أعرف ؟

— فى أحد أيام الاسبوع المقبل . لقد قلت لك كل ما أستطيع
قوله . وما كان يجب أن أقول لك كل ما قلت .

وقالت تينا بابتسامة تعاند الميجر : حاسب . انك بدأت
تصبح فظا مرة ثانية !

وابتسم الميجر هو الآخر وقال : أستطيع أن أقول لك لماذا،
ولكننى لن أقول ...

الفصل السادس والعشرون

تمكنت رغبة الميجر جوبولو فى أن يكسب لنفسه شهرة فى أدانو من كل ذات نفسه . لم تكن مجرد رغبته فى أن يعمل عملا نافعا، وأنه أحس بأن شهرته دليل نجاحه ، ولا لانه رغب فى أن تحسن المدينة استقبال الامريكان ، وأن كان ذلك ماأراد . . ولكن الواقع أنه هو نفسه أراد أن يكون محبوبا .

لم يدع هذه الرغبة تبدو فى الربت على الكتف والتعلق وغيرهما من الوسائل للحصول على الشهرة ، فهو لم يكن فى طبيعته رجلا سياسيا .

ولكنه - فى كل عمل أتاه ، وكل قرار اتخذه - كان يبتد نفسه متأثرا بما قد يؤدى اليه من تغير فى شهرته بالمدينة . وبنفس الطريقة كان الميجر جوبولو يبحث فى كل ما عمله المدينة أو موظفو المدينة الرسميون عما يشير اليه من حب المدينة له ، ويراقب باهتمام الاشارات التى قد تدل على أنه لم يعد محبوبا .

لذلك السبب ألم به ضيق ذات صباح حين سمع الحاجب زيتو يحضر اليه ويقول أن جميع موظفى المدينة الرسميين يطلبون الاجتماع به فى إحدى ساعات هذا الصباح . وتساءل عما اذا كانوا يريدون اظهار عدم رضاهم عن عمل يكون قد قام به . وقال : الآن فورا يلايتو أن أمكن أن يحضروا .

وهكذا فى خلال دقائق بدأوا يتوافدون . وكالمعتاد كان بلانكا العمدة أول من حضر، وخيل الميجر أن عينى الرجل العجوز التى كانت حزينة لطول خلافه مع رجال السوء قد بدت أكثر حزنا . وحضر داربا وكيل العمدة بعده يسير بسرعة ، وهو منخفض كالعرسة ، وقد بدا الحزن - فيما قدر الميجر - على عينيهِ الصغرتين . وفحص الميجر كل وجه كلما اقترب منه .

فقد بدا وجه تاجليا فا مارشال المالية ممثلا رخاء ، ولكنه قلق .
وظن الميجر أن وجه بافتليونى سكرتير البلدية يبدو دهنيا ولكن
ليس بالدرجة المعتادة . وظن الميجر أن وجه السيدة كارملينا
سبيناتو الضابطة الصحية المتطوعة ، الكثرى الشكل ،
تضخم وتشحم ، ففقد كل تعبير ، وان روتوندو ملاحظ البوليس
ذو وجه أبيض كالحائط ، وأن وجه ساييتا المكلف نظافة المدينة
والذى هو أنظف رجل فيها ، بدا كما لو كان قد لمع بالحجر
الخفاف حتى لمع ، ولكنه فى نظافته بدا وعليه مسحة من الحزن !
وسبب وجه جرجانو ذى اليدين للميجر قلقا خاصا ، لانه عرف
انه ربما جرح احساس رئيس البوليس فى محاكمة ارانتى .
والواقع أن وجه جرجانو بدامتجهما .

وتولى بلانكا العجوز الكلام عن الجميع . قال : لدينا ما نريد
أن نطلبه منك يا مستر ميجر .

وقال الميجر : سأجتهد فى أن أحقق مطالبكم .

وقال الرجل العجوز : قد لانتعجك ..

وقال الميجر : هل فعلت شيئا تريدون تصحيحه ؟

وأشار جرجانو ذو اليدين بسبابتيه الى الميجر وقال له :
انه شيء لم تفعله .

وضحك الآخرون للملاحظة . وازداد الميجر جوبولو قلقا عن
ذى قبل . وسأل : شيء نسيت أن أفعله ؟

ووضع تاجليا فا ، مارشال المالية ذو الوجه الممتلئ رخاء ، أصبعه
فى جيب صديرينه وقال : لا . انك لم تنس أن تفعله ، لانك لم
تكن تعلم أن عليك أن تفعله . انه شيء لم تفكر فى عمله . ونحن
غاضبون منك لانك لم تفكر فى عمله .

وضحك الآخرون جميعا للمرة الثانية . وبدأ الميجر جوبولو
يحس بأنهم مرحون ، وأنهم جهموا وجوهم ليهزأوا منه ، ولكنه
لم يظهر شكوكه ، وقال : قولوا لى ما هو هذا الشيء ، وآسف
لأننى أغضبتكم .

وقفزت السنيورا كرملينا سبيناتو الى مكتبه ، ونظرت
بجد الى جانب وجهه ، ثم قفزت الى أمامه ، وكونت اطارا من
بنصريها وسبابتيها ، ونظرت من خلالهما الى وجهه ، وسألت
الآخرين : أيهما تظنون ؟ من الجانب أو من الامام ؟ ولم يكن
قد خطر ببال الميجر جوبولو من قبل أن السنيورا كرملينا

اسبيناتو يمكن أن تمزح، ولكنها بدت كما لو كانت تريد أن تمزح
فى تلك اللحظة ، وهى تقفز من هنا وهناك وعلى وجهها سخرية
جادة .

وقال داريا وكيل العمدة : من الخلف . . وقهقه الجميع مرة
أخرى .

وقال الميجر جوبولو : كفى سخرية بى . يمكنكم أن تسخروا
بى فى غيابى ، أما هنا فهذا مكتبى .
وقال بللانكا العجوز : اننا لانسخر منك . ان هذه مسألة
مهمة لأدأتو .

- اذن قولوا لى ما هى .

وقال بللانكا العجوز : اغفر لى يا مستر ميجر أن أصدر لك
أوامر ، ولكن عليك أن تذهب الى المنزل رقم ٢٣ شارع فافيمى ،
وتصعد الى الدور الثانى، وتسال عن شخص اسمه سباتافورو ،
وهو يقول لك ما يجب أن تعمل .

وقال جرجانو : انه ولا شك سيقول لك ! وضحكوا كلهم .
وقال بللانكا العجوز : ستجد هذا الرجل سباتافورو عنيـدا
بعض الشيء !

وقالت السنيورا كرملينـاسبيناتو : وبعضهم يظنه فظا . .
وضحك الجميع .

وقال بللانكا العجوز : لا تغضب منه . اعمل كما يقول لك !
وقال الميجر : اننى لا أحب كل هذا الغموض ، ولكننى
سأذهب . ما عنوانه ؟

وقال بللانكا العجوز : ٢٣ شارع فافيمى . اصعد الى الدور
الثانى ، وابحث عن سباتافورو، وتغاض عن سلوكه .
وكتب الميجر جوبولو العنوان والاسم ، وسأل : متى يجب أن
أذهب ؟

وقال بللانكا العجوز : فى الوقت الذى يناسبك يا مستر
ميجر .

وخرج موظفو أدانو الرسميون، واحدا وراء الآخر ، من مكتب
الميجر جوبولو ، كأنهم أطفال أشقياء .

ولم يرد الميجر جوبولو أن يبدى تلهفا ، ولذلك انتظر الى ما بعد
الغداء ليذهب الى رقم ٢٣ شارع فافيمى . .

ووجد أن المنزل رقم ٢٣ شارع فافيمي هو منزل من الحجر الرمادي ، من ثلاثة أدوار كغيره من المنازل . وعلى الباب وجد اطارا على شكل صندوق واجهته من الزجاج ، وبداخله نحو خمس صور فوتوغرافية من النوع الانيق الذي أبعد ظهره ، بحيث بدت الرؤوس كما لو كانت تطفو في سحاب صغير خاص بها . وكانت البراويز غير محكمة اذ انسابت قطرات المطر وذرات التراب على الصور . وكانت احدى الصور تبدو كأنها صورة تينا حين كان شعرها أسود .

وحاول الميجر أن يفتح الباب فوجده غير مغلق ، وصعد في درجات السلم للدور الثاني حيث وجد بابا قى حالة اهمال تام تقوصت مفصلاتہ ، والتوت احدى ضلفه واعوجت ! وطرق الباب ولما لم يسمع ردا أعاد الطرق .

ولم يسمع ردا للمرة الثانية، فدخل . اخترق مدخلا ضيقا الى غرفة واسعة ، هي استديو لمصور فوتوغرافي ، وتبدو في حالة خراب تام !

وكان في وسط الغرفة آلة فوتوغرافية خشبية كبيرة يعلوها التراب ، ويجوارها كرسى عال ذو أربع أرجل . وبين الكرسى والكاميرا التي على شكل صندوق نسيج عنكبوت مترب ، تتخلله بقايا ذباب وعثة . وفي نهاية الغرفة التي تواجهها آلة التصوير مقعد من خشب وحديد كمقاعد الحدائق القديمة ، وخلف المقعد تدلت ستارة باهتة ، وصورة غير محفوظة تناسب لميدان القديس بطرس في روما . وعلى الارض كوم من اطارات الافلام الخشبية المتربة ، وفي أحد الاركان مجموعة من الافلام المحمضة .

وآخر شيء وقع عليه نظره في الغرفة ، بدا كما لو كان مكونا من عنكبوت وملابس قديمة . . لقد كان رجلا .

كان نائما على الارض تحت احدى النوافذ . وأسرع الميجر اليه لانه ظنه ميتا . ولكن عندما اقترب الميجر تكلمت الجثة : اذهب من هنا . ان كنت تريد أن تنظروا وجهك فانظر اليه في مرآة ! وقال الميجر : لقد قيل لي أن أحضر الى هنا وأبحث عن شخص اسمه سباتافورو . فهل أنت سباتافورو ؟

وقال الرجل : اسمي سباتافورو .

وقال الميجر : لقد قالوا لي انك ستقول لي ماذا أعمل !

وقال سباتافورو : يا الهى ! نجنى من المغرورين . . اذهب
 واجلس على المقعد !

واتجه الميجر جوبولو الى المقعد وانحنى عليه ، ونفخ التراب عن
 جزء متسع اتساعا كافيا يسمح له بالجلوس . وجلس .

ولم يكن سباتافورو قد قام من استلقائه على الارض بعد . وقال
 انك ككل الآخرين . تستطيع أن تنظر فى وجوه الآلاف من
 مواطنيك ، ولكنك تظن أن وجهك أجمل من بقية الوجوه كلها .
 تريد أن تصور وجهك وتضعه فى اطار وتضع الاطار فوق رف
 وتحقق النظر اليه ؟ انك قبيح المنظر ! وقال الميجر جوبولو : لا أدري
 عما تتحدث . اذا كان هناك ما تريد أن تفعله فافعل . فليس
 أمامى فراغ يوم كامل !

وبدأ الرجل العجوز ينهض ببطء . وطرقت ركبته وهو
 يحركهم . وقال : مغرور ومستعجل ! ما الذى يستعجلك
 أيها الرجل المغرور ؟ ألا تستطيع أن تنتظر حتى تلتقط صورتك ؟
 وتحرك سباتافورو ببطء الى الكرسي المجاور لآلة التصوير ،
 وجلس عليه فى حذر حتى لا يمزق نسيج العنكبوت .

وقال سباتافورو : لقد مضى على وقت طويل فى هذه الصناعة -
 ثمانون عاما ، تسعون عاما ، مائة عام لست أدري - أصنع وجوها
 حتى يستطيع الناس أن يحدقوا الى وجوه أنفسهم !! ما رأيك فى
 هذا كعمل حياة بطولها ؟ هيه !!

وهبط الرجل من على الكرسي ، وذهب ووقف أمام الميجر وقال :
 ياله من وجه . ما أقبح الانسان ؟

لم يكن الميجر جوبولو معجبا بعجايب مفرط بوجهه ، ولكنه كان
 يقص شاربه كل ثلاثة أيام ، ويلتقط شعر أنفه كل أسبوعين ،
 ويقص شعر رأسه بانتظام ، ويغسل وجهه ، وكان يعتنى بوجهه ،
 وكان يعتقد أن وجهه - دون تفاخر - لا بأس به . فلما قال له
 الرجل العجوز انه قبيح ، قال له الميجر : أيها الرجل العجوز ان
 كانت الفكرة أن تأخذ لى صورة فافعل ، ولا تشتمنى ! اننى ميجر
 فى الجيش الأمريكى ، وقد أرسلنى الى هنا بعض أهالى هذه المدينة ،
 وأظن أنهم أرسلونى لـتلتقط صورتي . فأرجوك أن تلتقط
 الصورة ان كنت ستفعل .

وقال العجوز : اذن أنت أمريكى . لم أكن أعرف أن الأمريكان
 بهذا القبح . لقد كنت أظن أنهم أكثر طولا وأبيض ، شرة !

وانتقل الرجل ببطء خلف آلة التصوير • واخذ قطعة قماش كانت في يوم ماسوداء وأصبحت الآن رمادية باهتة من التراب على آلة التصوير ، وانحنى ووضع القماش فوق رأسه والآلة ، ونظر من آلة التصوير •

وجاء صوته الاجش من تحت القماش : انك قبيح حتى في انعكاس الصورة ! اننى فى العادة أحب الوجوه مقلوبة ، ولكننى لا أحب وجهك • انك قبيح معدولا ومقلوبا على السواء ! ومنفتح عند الحدين ! الشفتان غليظتان ! الاشئ يمكن اصلاحه بوضع عاليك أسفلك •

وأخيرا خرج الرجل العجوز من تحت قطعة القماش ، ولف حول نسيج العنكبوت ، وجلس على الكرسي مرة ثانية • ثم تناول منفاخ آلة التصوير وجلس وهو فى يده • وقال :

- انظر كيف أن الرجل الصغير القبيح يحاول أن يتجمل للصورة • انظر اليه يلحس شففيه حتى تبتل وتلمع • أنظر اليه يحاول أن يبدى عينيه لامعتين بفتحهما أوسع من المعتاد فتبدوا كأنهما بليتا لعب ! أنظر اليه يثبت وجهه فى نصف ابتسامة تبدو صناعية متجمدة ؟ • • وضحك الرجل ضحكة متكسرة متربة •

ولم يستطع الميجر جوبولو أن يفصح عن مضايقته خشية أن يضغط الرجل منفاخ آلة التصوير ، فجلس وقد ازداد وجهه احمرارا وابتسامته جمودا •

وقال سباتافورو : من الغريب أن الرجال أكثر اعجابا بأنفسهم من النساء • يقال ان النساء ينظرن وجوههن فى المرأة أغلب الوقت ، يسرحن شعورهن ، ويصبغن وجوههن !! ولكن الرجال هم المغرورون ! أنظر لنفسك : ديك ! طاوس ! انك تظن نفسك جميلا جدا !

وأخيرا ضغط الرجل العجوز المنفاخ •

وأحس الميجر بالخلاص ، ولم يقل شيئا من الاشياء التى فكر فى أن يقولها منذ ثوان ، بل انتظر حتى يضع الرجل العجوز فيلما جديدا ويأخذ صورة أخرى •

ولكن الرجل العجوز قال له : ماذا تنتظر أيها الشاب القبيح ؟ هل تريد أن تضع نصف دسنة من صورك على مدفأتك ؟

وقال الميجر : ان المصورين عادة يأخذون صورتين أو ثلاثا ليتأكدوا من نجاح واحدة !

وقال سباتافورو : ليس هذا المصور .! بعد أن تمضى في هذه الصناعة الكريهة هذه السنوات الكثيرة التى لا تستطيع لها عدا ، فانك لا تحتاج لان تتمرن على كل من يجلس للتصوير . لا . لقد انتهى كل شىء ، وشكرا لله .

ولم يضع الميجر جوبولو أى وقت فى الانصراف . ولما عاد الى السراى قابل بللانكا العمدة وداربا مساعده فى الصالة العليا .

وقال الميجر وهو يحاول أن يبتسم : لقد قابلت صديقكم فى الرقم ٢٣ شارع فافيمى !

وقال بللانكا : هل قال لك انك قبيح المنظر ؟

وأشار داربا يهز رأسه . وقال بللانكا : انه يقول نفس الكلام لكل شخص . انه يقول لاجمل نات المدينة ، كينت توماسينو فرنشيسكا ، انهن قبيحات ومغرورات . انه مجنون !

وحول الميجر حقه من سباتافورو الى بللانكا العجوز لانه ضرب مثلا للجمال بفرنشيسكا بدلا من تينا ، وقال : لماذا أرسلتموني لهذا المجنون ؟ لماذا تريدون صورتي ؟

وقال بللانكا : سوف ترى . انها ستكون أجمل صورة رأيتها ! ونظر بللانكا الى داربا . ونظر داربا الى بللانكا . وضحك الاثنان فى مرح شديد .

الفصل السابع والعشرون

ترك الميجر جوبولو فى لباقة موضوع رفع المركب انزيو بين
يدى اللفتنانت ليفنجستون •

وقام اللفتنانت بعمل منتج حقا • فى الواحد والعشرين من الشهر
كان قد حصل على حق استعمال الحوض ، وفى الرابع والعشرين
كانت الانزيو قد رفعت ، وفى السابع والعشرين كانت آلات
الرفع مستعدة لتفريغ حمولتها •

وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم
السابع والعشرين ، كان رئيس العمال قد انتهى من اعطاء تعليماته
لهم ، وكانوا نحو الاربعين شخصا • كان بعضهم رجلا طيبين ،
وبعضهم لم يكونوا • ذلك أن العمل فى ادانو بدأ يكثر ، وقلت
الايدي العاملة • وكان بعض العمال من خارج المدينة ، وحتى
فاتا الكسول كان يعمل لأول مرة من سنين •

ولما أنهى الرئيس خطابه ، قال لهم انهم سينتظرون نحو ربع
الساعة حتى تمتلئ آلات الرفع بالبخار لتبدأ الرفع •

وكان بين العمال شخص غريب عن ادانو يبدو أنه فوق
المتوسط • كان رجلا وسيما ، ولم تكن تحت عينيه الجيوب التى
يتميز بها رافعوا الاثقال • وكان يتحدث بلهجة المدن الايطالية •
ابتسامته جميلة وطرقه مقنعة •

ولما أتم الرئيس حديثه دخل الغريب فى حديث مع أربعة من
العمال ، كان أحدهم فاتا الكسول •

وقال الرجل الغريب : هل سمعتم الاخبار ؟

وقال أحد الاربعة : أخبارا عن أى موضوع ؟

— بخصوص الهجوم الالماني المضاد • اننى قلق منذ الصباح
بسبب ما سمعته •

وسأل أحد الاربعة : ما الذى سمعته ؟

— يبدو هذه المرة أن الامر جد . لقد بدأ الهجوم فى الثالث والعشرين ، ويبدو أنه وصل الى أعلى مستواه فى صباح اليوم . ان الالمان يحاولون القاء الامريكان فى البحر ...

ولم يكن الكسل ليبلغ من فاتا درجة تعوقه عن الظهور بمظهر العليم ، فقال : لقد سمعت عن ذلك من قبل .

والتفت أحد الاربعة الذين من ادانو ، والذي يعرف أن فاتا لا يمكن أن يعلم شيئاً ، التفت الى فاتا وقال له : أين سمعت هذا يا فاتا الكسول ؟

وقال فاتا : دعنى أفكر . نعم . انه العمدة ناستا قبل ابعاده . لقد قال ان الالمان سيبدأون هجومهم فى الثالث والعشرين ، وانهم صمموا على قذف الامريكان فى البحر ما بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين !!

وقال أحد الرجال من أهالى أدانو : ان العمدة ناستا كاذب ، وقد نفاه الامريكان لافريقيا .

وقال الرجل الغريب : ربما نفاه الامريكان لانهم علموا أن ما قاله صحيح ولم يريدوا أن ينشر الرعب فى المدينة .

وقال فاتا الذى كان أكسل من أن يفكر فى الامر : نعم . ربما كان ذلك هو السبب .

ولكن أحد الآخرين قال : ولكن كيف يعرف الامريكان ترتيبات الالمان ؟

وقال الرجل الغريب : ان لهم جواسيس ولهم وكلاء .

وقال فاتا بتأثر : ذلك ممكن . لقد سمعت عن الهجوم من عدة أيام .

وقال الغريب : لقد قلت ان الهجوم بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين ، ونحن الآن فى السابع والعشرين ، وهذا يؤيد معلوماتى . فالיום اذن هو اليوم الكبير فيما أعتقد .

وقال أحد الرجال من أهالى أدانو : وماذا تظن سيحدث ؟

وقال الغريب : هذا ما يضايقنى ، ولذلك أفضل ألا أتحدث فى هذا الموضوع .

وقال أحد الرجال : ولماذا ؟

وقال آخر : بل قل لنا .

وقال الغريب : لا • ان ذلك لن يكون في مصلحتكم ولا في مصلحة الامريكان • اننى افضل أن أحتفظ بقلقى لى نفسى !

لقد كان هذا الغريب رجلا ماكرا كما تتبينون •

وقال أحد الرجال : اننا الآن قلقون • لقد أقلقنا فاتا وأنت أيضا • اننا نفضل أن نقلق لشيء معين • قل لنا ما الذى سمعته •

وقال الغريب : لا • انه فظيع جدا •

وأصر الرجال : قل لنا • قل لنا •

وقال الرجل الغريب الماكر ، والذى اكتشف أن فاتا الكسول عبيط ممن يسهل ادخال الاشاعات عليهم : حسنا ، سأقول لهذا الرجل - وأشار الى فاتا - لانه سمع بالاخبار قبل ذلك •

وانتهى بفاتا جانبا • ورأى الآخرون الرجل يهمس فى أذن فاتا ، ورأوا وجه فاتا ينقلب أصفر ، ثم رأوا الرجل الغريب يترك فاتا ، ويختفى بين جموع العمال •

وجاء اليهم فاتا مباشرة ، وأفضى اليهم بما سمع ، فقال : ان الالمان سيبدأون هجوما على ميناء أدانو فى الساعة الحادية عشرة • • • بالغازات السامة ! وسيكون الهجوم من طائرة واحدة •

وفى لحظات بدأت الجموع تضطرب قلقا ، وسرت الاشاعة بينهم مسير الرياح : غازات سامة فى الساعة الحادية عشرة • • • غازات فى الحادية عشرة • • • غازات ، احدى عشرة • • • طائرة • • • غازات الحادية عشرة • • • غازات • • • غازات • • • غازات • • • !!

وفى الحادية عشرة الا دقيقتين كان العمال الايطاليون البسطاء قد امتلأوا رعبا • وفى تلك اللحظة صاح الرئيس بهم يدعوهم للاستعداد للعمل بمجرد اعطاء اشارة • وكانت آلات الرفع قد حميت ، وعلى الرجال أن ينقسموا فرقا كالتعليمات •

ووزع الرجال أنفسهم ، وكلما تقابل رجلان لم يكونا قد تحدثا قال أحدهم : هل سمعت ، ؟ ويشير الآخر برأسه بأنه سمع • وجاءت الساعة الحادية عشرة • وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثالثة ، وبينما الرجال فى طريقهم الى المركب أنزىو ليأخذ كل منهم موقفه ، سمع أزيز طائرة •

كانت تلك الطائرة هى طائرة البريد المعتادة ، وهى تمر فى سماء أدانو فى الساعة الحادية عشرة كل صباح ، ويستطيع كل جاسوس

من جواسيس العدو أن يتحقق من ذلك ، كما يستطيع كل عامل
إيطالي أن ينسى ذلك بسهولة . وقد جاءت متأخرة بضع دقائق
في هذا الصباح .

ولما مرت الطائرة من فوق أدانو على ارتفاع نحو ألف قدم فوق
شبكة البالونات ، رفع جميع العمال في المركب أنزيو أنظارهم
إليها . وتقدم الرجل الغريب من فاتا وهمس : هذه هي .

ونقل فاتا الخبر بسرعة ، وبدأت الجموع ترتجف ! وسأل
بعضهم بعضا : ماذا نعمل ؟

وقال آخرون : ان الميناء هي الهدف . اننا في وسط الهدف
تماما .

وقال آخرون : هل الغازات تلقي بقنابل ؟ أم أنها ترش رشاشا ؟

وانتظر الغريب الذي يبدو أن له خبرة في مثل هذه الأمور
حتى اللحظة الاستراتيجية التي أيقن فيها أن الرعب قد تمكن من
العمال ، ثم رفع يديه الى السماء وصرخ : يا الهى اننى أشمه !
ثم استدار وجرى نحو المدينة .

وكان رعب العمال مباشرا . وجروا جميعا ، وجرى فاتا
الكسول لأول مرة منذ سنة ١٩٣٢ عندما رجنه زوجته كارملينا
واستعطفته بحبه لله أن يسرع ليحضر لها الداية .

وصاح بعضهم : الى الماء . انجوا بأنفسكم وقفز نحو ثمانية
رجال في الماء ، وكان من بينهم اثنان لا يعرفان السباحة ، فأنقذا
بمشقة !!

ووجد فاتا الكسول نفسه يجرى بجوار شاب قوى اسمه
« زنجونى » .

وسأل « زنجونى » وهو يرتعد خوفا : ماذا سنفعل ؟

وقال فاتا الكسول : لنخفف من سرعة جرينا . يجب أن
نوفر قوانا ، فقد نحتاج للجري مسافة بعيدة .

ولذلك خففا من سرعة الجرى !

وسأل زنجونى مرة أخرى : ماذا تظن أنه يجب أن نعمل ؟

ورأى فاتا شخصا متقدما قد غطى وجهه بمنديل ،
فقال : ضع منديلك على وجهك ، فهذا يمنع عنك الغازات !

ووضع كل منهما منديلا على وجهه !

وسأل زنجونى من خلال منديله : هل شممتها ؟

وقال فاتا متعاطفا : نعم . لقد شممتها بوضوح .

وسأل زنجونى وهما يجريان : وماذا تشبه رائحتها ؟

— ان رائحتها أشبه بالدخان المتصاعد من معمل تكرير كبريت كاكوباردو !

وصمت زنجونى لسافة ثلاثين قدما تقريبا ، ثم قال : هل أنت متأكد من أنه ليس دخانا من مصنع كاكوباردو ؟

وقال فاتا وهو يلهث : لقد كانت غازات سامة ولاشك !

ولقد كان فاتا يلهث من الجرى ، ولكن زنجونى ، الذى لم يكن قد تعب ولم يبدأ يلهث ، ظن أنه مختنق من الغازات .
وسأل فاتا : هل أنت سليم ؟

وقال فاتا : أحسب أنه يحسن بنا أن نخفف من سرعة الجرى . فالغازات فيما أعلم تضعف مقاومة الانسان . لنوفر قوانا .

وخففوا فعلا من سرعة جريهما .

ومرا على منزل فاتا . وكانت كارملينا قد خرجت من المنزل عندما سمعت أصوات أول فوج من العمال الذين مروا يجرون . وكانت قد صاحت تسأل المتابعين عن سبب جريهم . وردوا عليها من خلال مناديلهم ذاكرين موضوع الغازات . ولكن كارملينا شكت ولم تصدق ما قالوه . الى أن غير رأيها أمر ...

لقد صاحت : يا مريم يا أم اليسوع !! اتخدعنى عيناي ، ام أن هذا الذى يجرى هو زوجى ؟

والواقع أنه كان زوجها يجرى بجوار زنجونى مقدما نحوها ، وقالت لنفسها : لابد أن أمرا فظيحا حمله على أن يجرى . لعل الخبر عن الغازات صحيح ؟

ولما وصل فاتا تحركت نحو الشارع وقفزت الى جواره وبدأت تجرى معه ! ثم سألته فى لهفة :

— ما الحادث الفظيع الذى جعلك تجرى ؟

وقال وهو يلهث بصعوبة : الغازات ! الغازات السامة !
الامان !

وشرح لها زنجونى الذى لم يكن يلهث : لقد هوجمنا ونحن
نعمل فى الميناء . واستطاع بعض الرجال أن يشموها . أن رائحتها
تشبه دخان الكبريت . وأظن أنها ربما كانت بالفعل دخان كبريت !
وقالت كارملينا : من الذى قال أنها غازات ؟

وقال زنجونى : رجل غريب . أعاد ذكر حكاية الهجوم الألمانى !
وقالت كارملينا : يحسن ألا تجرى بهذه السرعة يافاتا ، أنك
سوف تفرقع !

والواقع أن فاتا كان قد بدأ لونه يحمر ، فخفف قليلا من
سرعته مسرورا .

وقالت كارملينا : اننى لأصدق أن غازات أقيت .

ولكن فى هذه اللحظة حدثت أشياء عديدة جعلتها تصدق .
فقد تجمع عدد من الناس حول شخص ملقى فى الشارع يتقيأ .
كان هذا الرجل يدعى «بوتافوكو» وكان يتقيأ لأنه شرب زجاجة
نبذ قبل أن يذهب للعمل . ولكنه عندما استطاع أن يقول
كلمة فى فترة بين قيئين قال : الغازات . لغازات .

وسرعان ما تبخر الجمع ، وبدأوا يجرون فارين ، فقد أربعهم
منظر أول حادث من حوادث التسمم بالغاز .

وكان من بين العمال عامل شاب يدعى « لوفازو » كان منذ
أسابيع قليلة خادما بكنيسة التامى ، وكان أول شيء اتجه
إليه تفكيره أن يذق جرس الكنيسة . فلما فعل وسمع الناس
فى المدينة صوت الجرس يرن من تلقاء نفسه وفى غير الوقت
المعتاد ، انتشر الرعب . وازداد الذين كانوا يعلمون بموضوع
الغازات رعبا على رعب ، بينما جرى الذين لا يعلمون فى الشوارع
يسألون عن الخبر . وسرعان ما امتلأت الشوارع بمئات الناس ،
يجرون ذهابا وإيابا يسألون عن السبب ، وحمل منظرهم كارملينا
على أن تصدق الخبر .

ثم سمع ماركوريو سالفاتورى عن حكاية الغازات ، ورأى
أن من واجبه أن يذيعه . فجرى إلى السراى وصعد فى درجات
السلم إلى الدور الثالث ، ومر من الباب الصغير إلى حيث
برج الساعة ، وأخيرا إلى المنصة حيث كان الجرس القديم معلقا .
ووقف هناك ، وبأعلى صوته صرخ : الغازات ! الغازات السامة !
أقفلوا أنوفكم يا أهالى أدانو الغازات ! الغازات السامة !

ووصل صوت المنادى الى ثلثي المدينة . ولما سمعته كارملينا
اقتنعت بالخبر وبدأت تصرخ ، كما كان عدد كبير من النساء
الأخريات يصرخن : الغازات .. الغازات السامة !
وأخذ فاتا يقول لها وهويلهث : خفضي .. خفضي من
الصراخ !

وظنت كارملينا انه نغمى عليه من الغازات . والواقع أن
الغازات الوحيدة التي كان يشكو منها كانت في معدته ! ولكن
كارملينا بدأت تصرخ : أنقذه أزوجي . انه يموت من الغازات !
أين المساعدات الضحية ؟ . الانقاذ . الانقاذ !

وجرت كارملينا وفاتا وزنجوني الى السراى حيث تجمع
جمهور كبير امتلأ رعبا . وترنح فاتا ثم سقط . وأخذ زنجوني
يروح على وجهه بمنديله ، بينما أخذت كارملينا تبكي زوجها
الذى أصيب من الغازات . وكان بالميدان مناظر أخرى من هذا
القبيل .

وفي هذه اللحظة خرج الميجر جوبولو الى الشرفة بالسراى ،
ورفع يده محاولا أن يحصل على اصغاء الجماهير .. ولكن
الجماهير كانت في حالة عصبية جعلت من الصعب عليه أن يوصل
صوته اليهم .

وأرسل زيتو ليحضر المنادى الذي كان لا يزال يبعث بصراخه
من برج الساعة . ولقد كان صوت المنادى هو الذى أخرج
الميجر ليكتشف ماهو حادث . وأسرع زيتو الى البرج وعاد
ومعه مركوريو والفاتوري .

ولما وصل المنادى الى الشرفة ، صاح به الميجر : قل لهم
ينصتوا .

وصاح المنادى بأعلى صوته : سكوت . اهدأوا . أن المستر
ميجر يريد أن يلقي بيانا عن الغازات !
وسكنت الضجة تدريجيا .

وقال الميجر : لاوجود لغازات سامة ! انها اشاعة مضحكة!
وتقدم العمدة بللانكا العجوز الى جانب الميجر وقال : هل أنت
متأكد يا مستر ميجر ؟ فانها تكون مصيبة لو طمأناهم ثم يتبين انه
قد حدث فعلا هجوم بالغازات السامة !..

ان هذا يظهر تأثير عدوى الخوف ، لان بللانكا العجوز كان
رجلا رصينا ، ومن أكثر رجال المدينة اتزاناً .

وبدأت الجماهير تهتف : من أين علمت ذلك ؟ .. هاهو فاتا
يحضر ! .. لقد شتممتها بنفسى !

وقال الميجر جوبولو لمركوريسالفاتورى : قل لهم يهدأوا
دقيقة ، فانى أريد أن أتحدث بالتليفون ...

وأسكت المنادى الجمهور للمرة الثانية . وذهب الميجر
جوبولو الى مكتبه وطلب اللقنانت ليفنجستون .

وقال الميجر : هاللو ياكابتن كيف حالك ؟

وأجاب اللقنانت بصوت ودى : على أتم مايرام .. متى
ستحضر لهننا لتشرب كأس الويسكى معى ؟

وقال الميجر : قريبا جدا . قل لى : هل يجرى عندك شىء
غير عادى ؟

وقال الصوت المتخرج من « كنت وييل » متضايقا : نعم .
أغرب شىء يمكن أن تتصوره . هل تعرف المركب التى رفعتها ؟
وقال الميجر : بلا شك . لقد كانت فكرة موفقة !

وتردد الصوت المتخرج من « كنت وييل » وقال : نعم .
ولكن فى هذا الصباح ، فى الوقت الذى بدأت أبعث بالعمل
ليفرغوها، تركوها وهربوا جميعا . أتظن أننى لم أدفع لهم الاجر
الكافى أم ماذا ؟ اننى لا أفهم كثيرا فى أمر هؤلاء الايطاليين . ماذا
تظن سبب ماحدث ؟

وبدأت الجموع فى خارج السراى تقلق من جديد وتتململ .
وأسكتها المنادى مرة أخرى .

وسأل الميجر : ألم تحدث أية حوادث أو اصابات ؟

— مجنونان من أولاد الحرام سقطا فى الماء ولم يستطيعا العوم ،
ونحن مشغولون بعمل تنفسى صناعى لهما !

— ألم يحدث ما يدعوك للظن بأن هجوما بالغازات السامة قد
وقع ؟

— قل لى : أمجنون أنت . لماذا تحاول أن تفعل معى .
أتظننى أبله !!

— لا ياكابتن . أبدا . ان سبب فرار عمالك أن مهيجا أخبرهم
أن هجوما بالغازات قد حدث ، فأدخل الرعب فى قلوبهم ..

— أهذا هو الذى حدث ؟ اننى مسرور لأننى لم أكن السبب .

— سأجتهد فى أن أعيد العمال اليك فى ظرف ساعة .

- شكرا . ان هذا ولا شك يريح تفكيرى .
وقال الميجر : ان على أن أشكرك لانهاك هذا الموضوع
بسرعة . ان البحرية تستطيع ولا شك أن تعمل كثيرا متى
أرادت .

وقال اللفتنان : هذا أمر بسيط لا يستحق شكرا . قل لى
مارأيك فى الحضور اليوم بعد الظهر لشرب هذا الكأس معى ؟
- لا مانع عندى . والواقع أن عندى مشكلة أريد أن أحدثك
عنها . أنك الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يعمل
شيئا هنا .

- أننى أكون سعيدا بمساعدتك كلما استطعت . هل أنتظر
فى الخامسة والنصف ؟

وقال الميجر : اجعلها الساعة السادسة ، فأنى أشك أننى
أستطيع الخروج قبل السادسة .

- فليكن . السادسة . شكرالك اذ أنقذتنى .

- شكرا لك يا كابتن . أنت المنقذ .

وهز اللفتنان لىفنجستون رأسه ، وهو يعيد سماعة
التليفون ، وفكر فى نفسه : ان الانسان لا يستطيع أن يحكم على
آخر من أول نظرة ..

وخرج الميجر الى الشرفة مرة ثانية وقال : عندى أخبار قاطعة
بأنه لم يحدث هجوم بالغازات ولا ينتظر حدوثه ، فأنتم فى أمان
تام .

وسمعت صيحات تشكك !

وقال الميجر : انظروا . اننى أستطيع أن أتنفس تنفسا عميقا
من غير أن أتأثر مطلقا ، وفعلا قام باستنشاقين أو ثلاثة غالى فيهما
قدر استطاعته .

وقال أحد الموجودين : من السهل جدا الاستنشاق فوق
الشرفة ... ان الخطر كامن فى الشارع .

وقال الميجر : فليكن . سأنزل الى الشارع معكم وأريكم ...
ونزل الى الشارع واستنشق الهواء بقوة بين الجماهير !!

وكان فاتا فى ذلك الوقت قد اقتنع تحت تأثير زوجته
وأصدقائه أنه تسمم بالغازات ، فصاح : اننى مشلول من وسطى
الى أسفل أطرافى .. !

وأجاب الميجر : لا جديد في هذا يا فاتا الكسول . . .
وضحكت الجموع ، فقد بدأوا ينضمون الى الميجر .
وقال أحد العمال : لقد شممتها بوضوح عند ملتقى شارع بارينو
ودوجانا . . .

وقال الميجر : فليكن . تعال معي . . .
وقاد الجموع الغفيرة في شارع دوجانا الى أن التقى بشارع
بارينو . ووقف هناك عند المنحني ، ثم استنشق الهواء بقوة .
وصاح : ان كل ماشمته هنا هو رائحة سوق السمك التي
تبعد عن هنا بثلاثة أبواب .

وصاح عامل آخر : لقد شممتها عند ملتقى شارع فيتوريو
عمانويل وشارع فافيمي بقرب الكاتدرائية . . .
وذهب الجميع الى ذلك المكان واستنشق الميجر الهواء بقوة مرة
أخرى وصاح : ان ما شمته هنا هو دخان معمل تكرير الكبريت ،
وإذا نظرت رأيت الدخان الاصفر آتيا نحونا .

وقال آخر : لقد شممتها في الممر المسمى « بيكولو » . . .
ولكن الميجر أجاب : لن أضيع كل الصباح أشم في هذه المدينة !
لقد اعتدت هذه الروائح . ربما كان ما شمته هو روث الخيل !
وصاح عامل آخر : ولكن مركز الهجوم كان بالميناء . هناك كانت
الغازات فعلا . . .

وذهب الميجر واستنشق الهواء بقوة في مواضع مختلفة في
الميناء ، وكان آخر مكان استنشق فيه بجوار المركب انزيو ، ثم
قال : والآن ، من منكم الذين يريدون العودة للعمل ؟
وعاد العمال جميعا عدا اثنين . أحدهما الرجل الغريب الذي
اختفى ، والثاني فاتا الكسول . لقد عمل ما يكفي ليوم كامل .

الفصل الثامن والعشرون

كان النفر درجة اولى « افريت ب • بانتو » كاتباً فى المخازن رقم ٩١٧ فى غرفة فى الدور الثانى فى أحد المباني الملحقة بـلوكاندة « سان جورج » بمدينة الجزائر •

وكان يقرأ خطاباً مرسلاً لشخص غيره ، وقد فتح ظرفه • وكان النفر بانتو يتولى ارسال البريد ، كما كان قبل ذلك يتولى نفس العمل فى « جرينتون » و « فيرمونت » قبل الحرب • وحتى وهو فى جرينتون كان مشغولاً بالطريقة التى تسلكها امريكا فى أنحاء العالم •

وقال بانتو : يا الله ! اننى لا أدرى كيف سنكسب هـذه الحرب ؟

وقال الجاويش ولتر فرانك ، وهو كاتب آخر كان مشغولاً بقراءة مجلة كولير المرسلة لغيره : ما الذى يقلقك الآن ؟

وقال النفر بانتو • اصغ لهذا انها تقول : لماذا يا للجنة يجب أن نقدم للضفادع وغيرهم كل ما فى مخازننا ؟ انه يبدو أننا قد لعبنا دور الاب نويل بما فيه الكفاية .. يا عزيزى ...

وقال الجاويش فرانك : يا يسوع ، يا الهى ! ماذا حدث ؟ اننى أكاد أتقيأ وأنا أرى الفرنسيين يقودون سياراتنا فى كل جهة ، بينما أهلنا لا يستطيعون قيادة سيارة الى المخازن للحصول على طعامهم !

- ليس هذا بالموقف الجميل يا ولتر • اليس كذلك ؟ كيف تريدنا أن نكسب أصدقاء فى العالم بهذه الطريقة ؟

- ليذهب الجميع الى جهنم !

- يا لله يا ولتر انها طريقة للحديث تدل على الاثرة !

- اننى أقول ليذهبوا الى جهنم ...

وأعاد النفر برانتو الخطاب الى مظلوفه ، ووضع المظلوف في موضعه من الدولاب ، ثم أخذ أحد كياس البريد من أمامه وقطع السلك الذى يربطها ، ثم أخذ يرتب محتوياته وأغلبها مذكرات ليست موضوعة في ظروف .

ثم قال : يا لله يا ولتر اننا نحن الامريكان نكثر من العمل الكتابى ! انظر الى هذه المجموعة من الجبهة ، حيث المفروض أنهم يحاربون . اننى لأدري كيف سنكسب هذه الحرب !

وقال الجاويش فرانك في ضيق ، اذ كان يحاول أن يقرأ رواية : وما الضرر من بعض أعمال كتابية ؟

— أنظر الى هذه المجموعة . اننا نسنا منتجين . أنظر هذا ، انه مفروض انه مرسل الى شخص فى الفرقة التاسعة والاربعين التى هى فى الناحية الاخرى من البحر ، وهى من شخص آخر من الفرقة التسعة والاربعين المقيمة هناك أيضا ، وقد أرسلوه طول الطريق الى الجزائر . أليس هذا فظيعا ؟

وقال الجاويش فرانك مقلدا صوت النفر بانتو : نعم هذا فظيع !

— وماذا أفعل به يا ولتر ؟

وقال الجاويش فرانك بغلظة ماذا يهمنى ؟ يمكنك أن تضعه تحتك !

وقال النفر بانتو بعد أن استرد نفسه : ماذا يا ولتر ! اننى أسألك بجد ماذا أفعل به ؟

— اذا لم يكن مهما فيمكنك أن تلقيه فى سلة المهملات . ذلك مانفعله عادة ..

هل نفعل ذلك حقا يا ولتر ؟

— يا لعنة ! لماذا لانفعل ذلك ؟ لقد قلت الآن ان العمل الكتابى كثير . وماذا يضر أن تزيد ورقة أو تنقص ؟

— ربما كانت مهمة !

اقرأها . ما موضوعها لعنة الله عليها !

— انها تقول : للعلم بخصوص عربات ادانو ... ثم تتحدث عن

أمر أصدره الجنرال مارفن ، ويبدو أن مينجرا يدعى جوبولو ألقى الامر المذكور أو شيئا من هذا القبيل !

- بخصوص الجنرال مارفن؟ القها في سلة المهملات • ابن
الكلب هذا !

- لا لن أجرا • • وأعاد بانتوا المذكرة في كيس البريد لتعود
الى الجبهة • • •

وقال الجاويش فرانك : دعنى الآن ولا تضايقنى • اننى أقرأ •
واستمر بانتوا يفحص الاوراق، وبعد فترة قصيرة قال :
ياعزيزى ، استمع لهذه ، انها تتحدث عن كابتن أعيد لتصرفه
تصرفا لايلىق بضابط ! يا الله كيف سنكسب هذه الحرب ياعزيزى •

الفصل التاسع والعشرون

وصل الميجر جوبولو الى نادى البحرية ليتناول الكأس الموعودة فى الساعة السادسة تماما .

وكان نحو اثنى عشر ضابطا جالسين فى دائرة فى الدور الاعلى من الفيلا التى أعدها كابتن ليفنجستون لتكون ناديا . كان من بينهم ضابط أعمال الميناء ، ومساعدته ، وضابط مواصلات الميناء والالغام والقذابل ، وضابط الشبكة ، وثلاثة أو أربعة رجال منا باخرة التعليم . وكان آخرون من مدمرة قامت بالمساعدة فى حراسة بعض البواخر التجارية عبر المحيط . . . وقدم الكابتن ليفنجستون الميجر جوبولو للجميع . ويبدو أنه كان قد ذكر لهم مدحا فى الميجر ، فقد كانت ردودهم مشجعة .

— ماذا أقدم لك ؟

وقال الميجر جوبولو الذى لم يكن يحب الشراب : ما عندك ؟
— أكثر ما عندنا ويسكى اسكتلندى وبعض الويسكى الامريكى ، وعندنا زجاجة چن ، وقد أحضر لنا القومندان روبرتسون الحاضر معنا زجاجة روم . وتستطيع أن تأخذ بعض النيد المحلى ان اردت ، وان كان لا يدخل عقلى لما اذا يشربه بعضهم .

وقال الميجر : لنر ماذا يشرب الجميع ؟

وقال اللفتنان : شراب مختلف . اطلب ماتريد . ماذا تقول فى كأس من الاسكتلندى ؟

— الذى لديكم منه الكثير ؟

وأفرغ اللفتنان بعض الويسكى الاسكتلندى للميجر . وقد جعله شرابا قويا جعل الميجر يكح عند أول جرعة !

وقال اللفتنان : انك ولا شك تسحر هؤلاء الايطاليين ! كيف استطعت أن تعيدهم للعمل بهذه السرعة هذا الصباح ؟

وقال الميجر : يظهر اننى نوع من الذين ينفخون فى المزمار .
لقد احتجت لان أنفخ من أنفى طوال هذا الصباح !
ثم روى كيف أخذ يستنشق الهواء ليثبت نهم أنه لم يحدث
هجوم بالغازات .

وأعجب رجال البحرية بهذه الحكاية ، واعتبروا أن الميجر
جوبولو على حق .

وتحدثوا بعض الوقت فى الطريقة التى يسير بها الغزو ،
وعن مدمرة أصيبت من لغم انساني وعن البحرية الايطالية ، بينما
كان الميجر جوبولو يبدأ شرابه الثانى ، وعن الدور الخطير الذى
يقوم به الاسطول الأمريكى فى العملية كلها .

وقال أحد الضباط : ان أول نزول على البر كان شيئا عظيما
حقا . آلاف البواخر من موانئ كثيرة يعلم الله عددها ، كل منها
تسير بسرعة مختلفة وفى طريق مختلف ، ولا أستطيع أن أتصور
كيف استطاعوا أن يحققوا ذلك ؟

وقال آخر : وسمعت أن كل باخرة كانت فى موضعها المحدد
فى حدود عشر دقائق من الساعة المحددة !

وقال الميجر جوبولو الذى بدأ لسانه يتحرر فى فمه فى شيء
من المرح : أجل ياسيدى اننى أرفع قبعتى للبحرية ! ثم رفع
كأسه .

وقال اللفنتانت كوماندر روبرتسون : يا اله السماوات .
هذا أول جندى من جنود الررايته يقر للبحرية بفضلها !

وقال الميجر : ان البحرية هى الفرع الوحيد هنا الذى
يستطيع أن ينجز عملا . واننى لا أدري ماذا كنت أستطيع أن
أعمل دون صديقنا ليفنجستون الموجود هنا .

وسر ليفنجستون ، ولكنه قال : اننى لم أفعل شيئا
ياميجر ! .

وقال الميجر للفينجستون : اننى أعرف ما أقول . ثم التفت
الى الآخرين وقال : اسمعوا . اننى كلما حاولت أن أحصل على
شيء من الجيش يطلبون منى أن أقدم طلبى بالكتابة . أما
ليفنجستون هذا ...

وقال ليفنجستون : لقد تذكرت ... انك قلت لى فى
صباح اليوم أن لديك فكرة ..

— الواقع أن عندي موضوعا . حيث أنك تنجح وتنفذ فقد خطر لى أنه ربما ...

وقال ليفنجستون بأدب ولكن بكثير من مظاهر الاهمية : هل تريد أن نذهب للعرفة الأخرى؟

وقال الميجر : لا . ليس هناك سر . يمكننى ان أذكره لك هنا . وروى حكاية الجرس البالغ من العمر سبعمائة سنة ، وكيف انتزع ، ومحاولاته للحصول على جرس غيره . وقد فعل الكأسان اللذان شربهما فعلهما ، فروى حكايته بأسلوب جذاب ، وجعل حاجة المدينة لجرس جديد أمرا هاما جدا ، وصور الجرس لمدينة ادانو كرمز للحرية ، وجعلهم يحسون أن أهل ادانو لن يشعروا بطعم الحرية حقا الا حين يسمعون رنين ذلك الجرس من برج الساعة فوق السراى .

وليس المقصود مجرد جرس ، فقد أخذ يصف ما حسببه الصفات اللازمة فى الجرس . صوت غنى مليء ، ليس به شروخ أو فدغات من أى نوع . وجبذ الوكان له تاريخ يؤثر فى الايطاليين !!

وقد قيلت حكايته بطريقة أخاذة ، وكان المستمعون فى حالة استعداد للاصفاء . فللبحرية ادراك سريع للتقاليد ، فكل العبث الذى يتمسكون به : كتحية الربع ، والماعز الفضى الصغير للاشارة على من يقدم له الطعام أولا ، وتسمية محكمة الكابتن «الوقوف أمام الصارى» ، والاوامر الشعرية التى يصدرونها للمساحين .. كل هذه الامور سهلت على رجال البحرية تقدير فكرة الجرس وحركت عواطفهم .

وختم الميجر جوبولو حديثه بقوله : هذا كل ما فى الموضوع ياليفنجستون . اننى أظن ان رغبتى فى الحصول على الجرس لهذه المدينة تفوق أى رغبة لى طوال عمري !

وكان الكوماندر روبرتسون أول من تكلم وقال : يبدو لى أن فى مقدورنا الحصول على جرس .

وقال ضابط مواصلات روبرتسون : ان لدى البحرية أجراسا كثيرة .

وقال ليفنجستون : ولكن يجب أن يكون جرسا مناسباً .

ووقف الكوماندر روبرتسون وقال : دعونى أفكر . انه يبدو لى

... وأخذ يمشى حول الغرفة، ثم قال : أظن أنه ربما أستطيع أن أحضر نوع الجرس الذى تريده ياميجر .

وقال الميجر جوبولو : هل تظن حقا أنك تستطيع ؟

وقال الكوماندر : أظن ربما .

وقال الميجر جوبولو : اذا استطعت فأننى سأتحول الى البحرية !

وقال الكوماندر : ما رايك باميجر ؟ توجد باخرة مدمرة مسماة على اسم مواطن ايطالى أمريكى ، اسمها « الباخرة الامريكية كوريللى » . . انكم تعرفونها يا أصحاب ؟ حسنا ! . ان بكل مدمرة جرسا من أجراس البواخر ، صوته مرتفع وواضح ، حتى يستطيع الرجال فى جميع أنحاء الباخرة أن يسمعوه ليعرفوا أوقات النوبة لكل منهم . اننى لا أعرف رايك يا أصحابى ، ولكننى أحب أكثر ما أحب فى العالم صوت الجرس الموجود بالمدمرة ستيفنسون . اننا نطبع الان نستطيع ان ندقه طول الوقت والحرب جارية ، ولكننى أعتبر صوت هذا الجرس بمثابة البارجة كلها ، وأظن أن جرس بارجة يصلح كذلك لمدينة .

وكان الميجر جوبولو ينظر من النافذة غارقا فى التفكير وقال : ربما يصلح .

واستمر الكوماندر روبرتسون يقول : ان وجود البارجة « كوريللى » فى هذا الغزو له سببه . ان البحرية تفكر فى أمثال هذه الامور . فأن هذا الرجل كوريللى الكابتن الذى سميت باسمه قام بأعمال مجيدة فى البحر الأبيض فى الحرب الماضية . لقد كانت ايطاليا فى ذلك الوقت حليفة لنا كما تذكرون .

وقال ضابط مواصلات الكوماندر روبرتسون : لقد كنا نتحدث عن هذا الموضوع ، وكان يبدو ان برادشو يعلم كل ما يحيط بدا الامر . ما الذى قاله يا زيد ؟

وقال الضابط الذى نودى باسم « ريد » : لم أستمع باهتمام ! أظنه ذهب الى نجدة باخرة ايطالية هاجمتها غواصة .

وقال ضابط المواصلات : وإعلها كانت تحاول الفرار منها . اننى أعتقد أن البحرية أرسلت « كوريللى » هنا لانه كان ايطاليا . وقال الكوماندر روبرتسون : ربما كان هذا هو السبب ياميجر .

وقال الميجر جوبولو : ربما كان ذلك هو الصحيح .

وقال الليفتنانت ليفنجستون ، الذى لم يكن يريد أن يضيع السمعة التى ألبسه أياها الميجر جوبولو : هل تستطيع أن تجعل الباخرة « كوريللى » تعطينا جرسها ؟ لقد قلت أنك تحبه جدا ، فما ، فهل تنزل عنه ؟ .

وقال الكوماندر روبرتسون : لامر كهذا . اذا عرض على بالطريقة المناسبة ، فأظن أننى أفعل . ومن حسن الحظ أن توت داوانج قائد الكوريللى كان معى فى الفصل ، وكان يحل محلى فى تيم الكرة . اننى متأكد أننى أستطيع أن أقنعه إذا أمكننى العثور عليه .

وقال ضابط المواصلات : اصبر لحظة . أتذكر أننى رأيت شيئا متعلقا بالكوريللى فى الرسالة التى التقطت والى كانت بالشفرة .. هل تذكر شيئا يا حضرة الربان ؟

وقال الكوماندر روبرتسون نعم . كانت مذكورة ، وسينة أمكنتها الآن وحرركاتها المستقبلية ، أليس كذلك ؟ هل تستطيع أن تذكر ما بها ؟

وقال ضابط المواصلات : لا بأسيدى لا أستطيع أن أذكر ، فقد ذكر عدد كبير من البوارج فى تلك الإشارة ، ولكننى أذكر أن الكوريللى كانت مذكورة .

وقال الكوماندر روبرتسون لضابط المواصلات : يافارلى ، هل تسمح بالذهاب للبارجة واحضار ذلك الامر . أظن أنه يحسن أن نقول للميجر من الآن عما اذا كنا نستطيع مساعدته . واذا لم تكن فلك الحرية على الرصيف ويمكنك أن تأخذلنشى . وقال ضابط المواصلات : نعم ياسيدى .

وبينما فارلى فى طريقه الى البارجة والعودة ، تحدث الآخرون فى أشياء جديدة . ولكن الميجر لم يتدخل كثيرا فى المحادثة . كان يفكر . كان يحاول أن يتصور صوت الجرس الجديد ، واجتماع الجمهور فى الميدان سماعه لأول مرة . ورأى نفسه على الشرفة يلقى خطبة قصيرة ، يضع كلمات تتحدث عن معنى الجرس ، ويقول لهم انه يأمل أن يكونوا قد عرفوا الآن معنى الحرية ..

وعاد فارلى والامر فى يده : انه سرى ياسيدى ، أو مايعادل قول البريطانيين «سرى جدا» !

وقال الكوماندرو روبرتسون : ليكن ! وبدأ يقرأ الرسالة لنفسه .
لننظر ! كوريللى ، كوريللى ! هاهى ! وابتسم .

ثم نظر لاعلى : ياميجر . اظن اننا سنحصل لك على جرسك .
ووقف الميجر جوبولو وقال : ما اسعدنى . لم أتوقع عملا
سريعا كهذا . ان كنت تعتقد أنك تستطيع ..

وقال الكوماندرو روبرتسون : اترك لى الموضوع ياميجر .
سأحصل على جميع التفاصيل من ليفنجستون ..
والتفت الميجر جوبولو للفينجستون وقال له . لست أدري
كيف أشكرك !

وقال ليفنجستون : ان ذلك كله من عمل الكوماندرو ، ولكننى
مسرور من أن الامور سارت على ما تهوى .
وانصرف الميجر جوبولو فجأة .

وقال الكوماندرو روبرتسون : اذا كان صاحبنا يعتقد أن البحرية
قادرة على التنفيذ حقا ، فسيندهش هذه المرة حقا . فسوف
نحصل له على ذلك الجرس فى مدى أسبوع . ان الكوريللى
ستمر بعد غد على ذلك الميناء القريب من هنا ، الذى يبدأ
اسمه بحرف ف والذى لأدري كيف أنطقه !

وقال اللفتنانت ليفنجستون ، دون أن يحسن نطقه : « فيشيننا
مارى » .

وقال الكوماندرو : هذا هو المكان . سيكون عندنا الوقت
للذهاب الى هناك بينما هذه البواخر تفرغ حمولتها ، وربما
استطعنا أن نحضر الجرس معنا .

وقال اللفتنانت ليفنجستون : هل تظر حقا أنك تستطيع أن
تحصل عليه ؟

وضحك الكوماندرو : من توت داوننج ؟ هذه بسطة من البساطة .

الفصل الثلاثون

نمت فكرة اقامة حفلة تكريم للميجر جوبولو بطريقة خاصة .
نبئت أولا بسبب الحب الذي يشعر الناس به نحو الميجر .
ولكن الباعث كان يحوى ضمن ما يحوى رغبة الكابتن بيرفيس
فى أن يمضى بعض الوقت مع احدى بنتى توماسينو !

ذهب جيوزيبى المترجم ليقابل الكابتن بيرفيس فى مركز
قيادة البوليس الحربى ، فقد كان جيوزيبى يحرص على
صداقة الميجر والكابتن ، وسأله : كيف الاحوال يا كابتن ؟

وقال الكابتن : عال !

- هل تحب ادانو ؟

وقال الكابتن : جدا .

- هل ترغب فى شىء من التسلية ؟

- ومن الذى لا يرغب ؟

- لماذا لم تعد تذهب لرؤية فرنشيسكا ؟

- وما الفائدة من الذهاب هناك يا جيوزيبى ، فإن الأسرة

لا تتركنا أبدا !

- لست متأكد من ذلك . انك لا تبذل جهدك بالقدر الكافى .

- ومع ذلك فالميجر مغرم بالشقراء ، وهو رجل طيب ، ولا

أريد أن أخلق له متاعب .

- كيف تخلق له متاعب ؟ انك تبذل جهدك نحو فرنشيسكا .

- لا يا جيوزيبى أننى أظن أن الميجر جاد فى أغراضه . لا أدرى

على التحقيق لانه لم يقل لى شيئا ، ولكن احساسى كذلك . أننى اذا

درت حول هؤلاء البنات فانما أرمى الى الصيد . لا . لا أظنها

فكرة موفقة .

- هل تقصد أن تقول ان المستر ميجر قد وقع فى الحب ؟
- لا أدري • ربما ؟ هذا ما أظنه •
- ولماذا ؟ ألا يمكن أن يتسلى الانسان دُون أن يقع فى الحب
هكذا ؟

- لا يبدو لى أن التسلية ممكنة مع وجود عائلة بأكملها ،
وفيهما أنت يا جيوزيبى ، حولنا ، ومع أكل تلك الحلوى الفظيعة ،
والسيدة العجوز جالسة أمامنا • لا يا جيوزيبى اذا أردت أن أتسلى
مع فتاة فأننى أفضل أن أكون فى خلوة !

- يستطيع جيوزيبى أن يرتب ذلك •
- أشك فى استطاعتك !

- لا بأس سيرتب جيوزيبى ذلك • أننى أقول لك شيئا • ان
هذه الفتاة من بنات توماسينو ، أنها لاتدقق كثيرا • • أنهم
ثلاثتهم لا يدققن كثيرا • أنك تعرف الطفلين اللذين بالمنزل ؟

- تقصد البنيتين الصغيرتين بالمنزل ؟

- وهز جيوزيبى رأسه : أنهما للأخت • أنها كما تعرف !
وغمز جيوزيبى بعينه •

- تريد أن تقول أنها تقوم بالغسيل ، وأن ذلك ليس كل
شيء ؟

- انها فتاة طائشة فى روما ! وهز جيوزيبى رأسه وغمز
بعينه فى نفس الوقت •

- ان فرنشيسكا ليست مدققة ، وتينا كذلك • أنكم
تستطيعون أن تتسلوا كثيرا !

- كيف ؟ ماذا تستطيع أن تعد لنا يا جيوزيبى ؟

- نعد حفلة •

- سندهب أيضا جموعا عديدة • لا • لعنة الله • أننى أريد
خلوة •

- وما قولك فى الميجر ؟

- أجل • لا بد من ادخاله فى حسابنا يا جيوزيبى • أنه شخص
غريب • أننى فى بعض الاحيان أظنه خرقة مبللة ، وفى بعض
الاحيان لا أستطيع إلا أن أعجب به • لقد كان يقول لى منذ بضعة
أيام ونحن نتناول الغداء : أن الشيء الوحيد الذى يسعى اليه

هو أن يجعل هؤلاء الايطاليين يحبونه • أتدري ما الذى أظن أنه يجب علينا عمله ؟ أظن أنه يجب أن نقيم له حفلة • أو على الأصح نعمل حتى نحمل هؤلاء الايطاليين على أن يقيموا له حفلة ! ولم يكن الكاتبن بيرفيس ينظرالى جيوزيبى على أنه ايطالى لانه كان يتحدث بالانجليزية •

- سوف يرتب جيوزيبى ذلك •

- أريد حفلة حقيقية يا جيوزيبى ، يحضرها أشخاص كالعمدة ، وذلك الرجل العجوز منتج الكبريت ، وبعض الفتيات الجميلات طبعاً •

- سيرتب جيوزيبى ذلك •

- وإذا كانت عندنا حفلة كبيرة حقاً ، فإن أحد الكاتبن واحدى الفتيات يستطيعان أن يختفيا عن الانظار • ألا تظن ذلك ؟ وغمز جيوزيبى بعينه مرة أخرى •

- هذا هو الذى أكرهه فى الحفلات الصغيرة • إذا خرج انسان لاحظ الجميع خروجه • لا بد أن نعمل حفلة كبيرة لنغير من الحالة •

وقال جيوزيبى : كم شخصاً تريد يا كاتبن ؟

- لا أدري : يمكنك أن تجمع بعض هؤلاء الايطاليين معاً وتقرر • اننى أستطيع أن أضع تحت تصرفك أى مبلغ تريده • ونستطيع أن نقيمها فى فيلا كواتروتشى • ففيها غرف اضافية كثيرة ، وبها أسرة للنوم ، يا جيوزيبى !

وفى هذه المرة كان الدور على كاتبن بيرفيس ليغمز بعينه • وسأل جيوزيبى : متى تريد الحفلة ؟

- بأسرع ما يكون • ما قولك فى الجمعة المقبلة ؟

- سيرتب جيوزيبى ذلك •

وهكذا حدث أن تسلم الميجر جوبولو بعد يومين أو ثلاثة فى بريدته دعوة مكتوبة بالايطالية تقول :

« لجنة من أهالى ادانو تتشرف بدعوتكم لحفلة تقام لتكريم صاحب السعادة المستر ميجرفيكتور جوبولو فى مساء الجمعة ٢٩ يوليو الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين بفيللا روسا ٧١ شارع أمبرتو الاول » •

ووضع الميجر جوبولو الدعوة على المحبرة أمامه على مكتبه بحيث يستطيع قراءتها ، وكثيراً ما كان يفعل : « حفلة تكريم لصاحب السعادة »

الفصل الواحد والثلاثون

فى يوم الافراج عن الاسرى كانت الشمس زاهية وبدت اذانو
فى أحسن حلتها •

وكانت عربة تنظيف الشوارع التى أعدها الميجر جوبولو قد
انتهت من كنس شارع امبرتو الاول ، وانحنت الى شارع
فيكتوريو عمانويل ، ومعها رئيس قسم نظافة الشوارع سايتا
يلمع فى بذلته البيضاء جالس على عجلة القيادة • وهكذا كانت
أحجار الرصف تلمع من غسلها بالماء • وذهبت رائحة بول
الحيول وروثها فى الهواء •

لقد كان يوما جميلا لعودة الاسرى الى بيوتهم •

وسار الاسرى المفرج عنهم جماعات فى شارع امبرتو الاول •
وكانوا يرتدون ملابسهم الرسمية ، ولكنها كانت متسخة لنومهم
بها على الارض • وكان كثير منهم قد طالت شعورهم ولم يحلقوا
ذقونهم •

ومروا على مخبز زابولا فى طريقهم ، وعندما اقتربوا من الميدان
كان بيد كل واحد منهم نصف رغيف • • وأخذوا يغنون
وبتصايحون وهم يسرون : الى الوطن • الى الوطن !

لم يكونوا يسرون فى صفوف منتظمة ، فقد شبعوا من الوقوف
صفوفا ، للتفتيش ، وللطعام ، ولإطلاق النار ، ولتلقى طلقات
الرصاص • لقد كانوا مجرد مجموعة من الشباب يسرون فى
شارع امبرتو الاول متجهين لمنازلهم • كان فى حلق بعضهم
ضحكات ، وفى حلق البعض الآخر دموع •

ان نصف أغلب الرجال فى الحروب أن يعودوا لمنازلهم • وكانت
الحرب البغيفية فى نظر هؤلاء الايطاليين قد انتهت ، وكانوا
مسرورين بدرجة غير معقولة وهم يسرون فى الشوارع • وقد
اتسعت فتحات عيونهم كما يحدث للأطفال حين يبدون

الاهتمام بأمر من الامور • لاحظوا أن بيانات موسولينى المتعجرفة
قد محيت من على الجدران • لاحظوا أن الشارع نظيف •
وطعم الخبز فى فمهم ألد من ذى قبل • وما كادوا ينحرفون
الى شارع امبرتو الاول من شارع فافيمى حتى سمعت أذانهم صوت
امرأة تغنى • فلم يعد روث الخيل بغضاً لانوفهم ، بل كان على
العكس جديدا ومنعشا فى ريح الصباح •

ولقد كانت العودة الى المنزل جميلة ومحببة فى أى يوم ،
ولكنها كانت أفضل فى هذا اليوم • وأخذوا يغنون ويصيحون :
الى الوطن • الى الوطن •

ولم يكن قد أعلن من قبل عن اخلاء سبيل الاسرى فيما عدا
ما كان الميجر جوبولو قد ذكره لتينا ، ولم تكن هى قد تحدثت
فى الامر مع أحد • ومع ذلك فقد انتشرت الاشاعة قبل اقترابهم
الفعلى كما تهب الريح قبل وصول السحاب •

فقد سمع نساء فى أقصى المدينة صوت اقتراب الاسرى ،
وفهمن بالسليقة معنى تلك الاصوات • وزعن ينقلن الخبر
لغيرهن من النسوة • • وراهم الواقفون على الرصيف أمام السراى
يدخلون شارع فافيمى من شارع امبرتو الاول ، وبدلاً من الاندفاع
فى الطريق نحوهم كنمواعواظهم ، وجروا ينقلون الخبر
السار الى أصدقائهم : « لقد عاد رجال ادانو الى منازلهم » •

وعندئذ تجمع على الرصيف النساء اللاتى سمعن الاصوات ،
واللاتى رأين الرجال بالفعل يقتربون ، واللاتى أبلغن بالخبر ،
تجمعن جميعاً على الرصيف أمام السراى وأخذن يراقبن مرورهم •

ان الحرب فظيعة عند الرجال وهى ليست أقل فظاعة عند
النساء ! • لطالما تألم النسوة فى أسرتهن ينتظرن عودة
رجالهن ! وانقبضت صدورهن من ألم الانتظار ورغبة الاجتماع
برجالهن • ومرت أيام لم يكن هؤلاء النسوة يتلقين خطابات من
رجالهن ، ثم يعلمن من حديثهن مع صديقاتهن أن الصديقات
تسلمن خطابات ، فكانت تمر بهن أيام سوداء • ومنهن من كانت
أطفالهن لا يكادون يحسنون نطق الالفاظ ، يسألونهن فى خجل
واستحياء والخوف يملاء العيون : « بابا ؟ أين ذهب بابا » ولم يكن
يجدن اجابة الا احساس الألم يحز فى الصدور •

لقد عاشت النساء الواقفات على الرصيف أياما مخيفة ،
خشين فى كل يوم منها أن يكون رجالهن قد أصيبوا أو هلكوا •
والنساء اللاتى كن يناقشن أزواجهن ولا يصبرن عليهم

حين كانوا فى أمان عندهن . . . نسين المناقشات ولم يعدن
يذكرن الا محاسن أزواجهن . لم يعدن يذكرن الا الاستيقاظ
فى منتصف الليل من رجل ينسل الى السرير فى غير خفة ، ويضحك
وهو يلقي برأسه للخلف ، وتفوح منه رائحة الدخان أو صوت
النبيذ وهو يتدفق من زجاجة فى الكوبة .

ووقفت النساء على الرصيف أمام السراى ، وقد وُضعن أيديهن
على حلو قهّن ، أو أمسكن بخصلات شعورهن المرسلة . ورأى الرجال
فى سيرهم بالشوارع النساء وهن واقفات ، فلم يجروا نحوهن ،
فقد كانت سعادتهم مريعة ، ولذلك مشوا فى هدوء الى حيث
نساؤهم .

ولما بلغ الرجال مسافة خمسمائة متر من مكان النساء ، بدأ
النساء يتحركن فى اتجاه الرجال بحركة بطيئة بادية الامر ،
والقدم تنسحب على الرصيف . ثم تقدمن عندما امتدت الاعناق
وحدقت العيون ، ومشين ، ثم جرين ، وهن يتصايحن بأصوات
غير ذات معنى .

ولم يجر الرجال . . . ولكن النساء جرين نحو الرجال ، وكان
الفريقان متساويين سعادة . ولكن الذى حدث أن أغلب الرجال
كانوا يعلمون أن نساءهم سيكون فى استقبالهم ، بينما لم تكن
بعض النساء متأكدات من أن رجالهن سيكونون بين القادمين !
كان ذلك هو الفرق . ولذلك جرى النساء نحو الرجال .

وكان بين النسوة من علمن أن أزواجهن قد توفوا . وجرين
لمجرد الاشتراك فى سعادة الاخريات ، أو مجرد الشك عند
بعضهن ! لقد كان الشك على كل حال أفضل مما كن فيه .

وكانت تينا احدى أولئك النسوة . لقد كانت تنتظر هذا
الحادث من وقت أن تحدث اليها الميجر فى الامر ، وأعدت نفسها
له . لقد كانت احدى النسوة اللاتى أخرجتهن من بيوتهن
الضجة التى نشأت من مجئ الرجال .

لقد كانت مرتدية أجمل حلتها ، حلة زرقاء أرسلتها الاخت المرحة
من روما . وكان شعرها قد سرح حتى أصبح لامعا وبدت شقرته
كانها حقيقية . ولقد جرت مع الاخريات ، وأخذت عيناها
تفحص الرجال بدافع من الحنان والخوف . وأخذت تدفع الصفوف
التي أمامها لتستطيع أن تنظر .

وما من شك فى أن الميجر جوبولو كان موجودا بالشارع .
لقد أراد أن يشهد ويتذوق سعادة أهالى ادانو . وكان هناك أيضا

ليشارك في البحث الذي دفع بتينا الى الامام . لقد كان هو الآخر يتساءل عما اذا كان جورجيو بين العائدين .

وعندما بدأت ضجة الرجال التي سهل عليه سماعها من نوافذ مكتبه ، أسرع بالنزول الى الشارع ، وأجد في سيره حتى بلغ الى الاسرى قبل تحرك النسوة ، فوصل الى الاسرى عندما بدأت النساء تجرين .

وعندما رأى الرجال الميجر صاح بعضهم : « الامريكي الامريكي » ، وجروا نحوه ، واحتضنه البعض منهم ، وقبله البعض الآخر ، وعلق فتات الخبز على وجهه عندما تركوه .

وهذا مظهر من مظاهر سخافة الحرب ! فقد مرن هؤلاء الرجال واختيروا ودربوا ليرتكبوا أفظع أنواع الجرائم ، وهو القتل ، وهم مع ذلك يظهرون محبتهم لنوع الرجال الذين خرجوا من منازلهم ليقتلوهم .

واقتربت النسوة ، وعرف بعضهن رجالهن وصرن يتصايحن بأسمائهم بأصوات ترتعش .

وأخيرا جرى الرجال بدورهم ، ولم يكن أمامهم الا عشر خطوات . واختلط الجمعان . وكان منظر اجنوبيا في أول الامر : فالزوجان اللذان التقيا تعانقا ، وبعضهم تملكه الضحك ، وتملك البكاء البعض الآخر ، ومنهم من كان يهمس ، ومنهم من كان يصرخ ، وتوالت الهزات والربت على الاكتاف .

وكان بعض النسوة اللاتي مات أزواجهن يقبلن أول رجل قابلنه ، لمجرد تذوق القليل من ذلك الاحساس الذي طالما قنينه ، ولكن الرجال أبعدوهن وذهبوا يبحثون عن زوجاتهم .

وبدأ ظهور النساء اللاتي لم يجدن رجالهن ، فقد صرن يجرين بسرعة ، من زوجين لزوجين ، يكررن الاسم ويسألن ويحدثن مرتين وثلاث مرات الى الاوجه التي سبق أن رأينها ، لمجرد التأكد . وأخذ الاصفرار يعلو وجوههن شيئا فشيئا ، ثم بدأن البكاء ! ومن الغريب أن أغلبهن لم يصرخ ولم يولول ، بل يكن في صمت والدموع تجري على خدودهن .

ولم تحتج تينا للجرى من زوجين لزوجين . لقد كانت واقفة بجوار الميجر عندما اكتشفت . . . لقد ترك شاب امرأته وتقدم نحو تينا ووقف أمامها وهز رأسه . كان ذلك كل ما استطاع أن يفعل . . . وفهمت تينا .

ونسى الميجر جو بولو كل التعليمات التي وضعها في مذكراته ،

«من جوبولو الى جوبولو» ، فيما يختص بالسلوك أمام الناس ، فتقدم وأخذ يد تينا في يده ! لقد كانت يدها باردة ومسترخية في يده ، وبدت كأنها لا تحس بأنه بجانبها .

وسألت تينا الشاب : ما الذى حدث ؟

وقال هو : سأقول لك فيما بعد يا تينا ، ولكن أرجوك ليس فى هذه اللحظة ..

وقال الميجر جوبولو للشاب : سنتناول الغداء معا فى مطعم « بسكاتورى » .

ولم ينظر الشاب بعينه الى الميجر جوبولو ، واكتفى بأن قال : أحضر تينا فى الساعة الثانية عشرة ، وسأقول لها عند ذلك كل شئ ، ثم قبل تينا على خدها .

وجعلت القبلة تينا تبكى ، فأخفت وجهها بين يديها ، واهتزت فى صمت .

واستمرت الجموع متكاثفة زمنا طويلا . وبقي الرجال فى الطريق العام يروون أخبارهم . وانضم كل زوجين . فأصبحوا أربعة ، وانضم الاربعة لاربعة آخرين ، حتى كونوا حلقات ضاحكة ، بينما انصرف النساء اللاتي لم يعثرن على أزواجهن فرادى . وأسرع بعض الرجال مع نسائهم يتعجلون أن يصبحوا آباء . وانضم للجموع الكسالى والفضوليون ممن تأخروا عن الركب . وبدأت لورا صوفيا ، الفتاة العانس ، تمر بين الجموع على أمل أن الحرمان الذى سببته الحرب للرجال يفيدها ، ولكنها لم تجد حظا .

ولم يتعجل الميجر جوبولو تينا ، بل تركها تبكى حتى توقفت دموعها ، وجفت عيونها ، وكان يلمسها طول الوقت اما بوضع يده على كتفها ، أو بلمس ذراعها العارى بظهر يده يريد أن يدلها على أن انسانا بجوارها !

وأخيرا أخذ الميجر تينا الى منزلها . وقبل الثانية عشرة بقليل ذهب ليأخذها ، وكانت قد استردت روعها وقد احمرت عيناها ولكنها سيطرت على أعصابها .

وودها الى مطعم بسكاتورى ، وكان صديق جورجيو يقولون قد وصل ومعه صديقه . وقد أبدل نيقولا ملبسه بملابس مدنية . وبعد دقائق من انضمام تينا والميجر الى نيقولا وصديقه أقبل الكابتن بيرفيس . ولما كان يتناول غداءه ، عادة ، مع الميجر ، كان طبيعيا أن ينضم الى الجمع وان أسف الميجر بعد ذلك .

وأكلوا فى صمت فترة من الزمن • وسألت تينا نيقولو عن الاحوال ، وكيف كانت ، فقال انها لم تكن سيئة • وسأل الكابتن بيرفيس الميجر عن المكان الذى كان يخفى فيه هذه العصفورة ، وحاول أن يشاغلها قليلا ، كما حاول الميجر أن يبدى اهتماما لنيقولو ليخفف مضايقته من الكابتن • وكانت المحادثة فى مجموعها لا تكاد تذكر أو خالية من كل مغزى •
وانتظرت تينا حتى حضرت الفاكهة ، وقالت قل لى يانيقولو عما حدث •

وكان نيقولو ينتظر أن تفتاحه هى ، وقال : لم يكن ما حدث جميلا ياتينا • ان الحرب ليست جميلة أبدا •
وقالت تينا : اننى أعرف ذلك ، ولكن اذكر لى ما حدث بتفاصيله •

وقال نيقولا : سأروى لك ما حدث ياتينا ، كما أذكره ، ولن أستطيع أن أكذب عليك ، فانها لم تحدث بطريقة لطيفة !
وقال الميجر جوبولو : انها لا تبدو جميلة أبدا •
وقال نيقولو : انها ليست جميلة أبدا •

وقال الكابتن بيرفيس الذى لم يكن يتكلم الايطالية : لعنة الله، عم تتحدثون بالايطالية ؟ ألا تشركوننى فى الاخبار السارة ؟
وقرر الميجر جوبولو أن من الافضل تجاهل وجود الكابتن •
وحاول الكابتن أن يغمز بعينه لصديقه نيقولو •
وقالت تينا : هل سأل عني يانيقولو ؟
وقال نيقولو : يحسن أن أبدأ من البداية •
وقالت تينا : فليكن •

وحدد نيقولا الى وجه الميجر جوبولو وقال : سوف ترى أن ما حدث لجورجيو كان أمرا معقدا جدا • لقد كان مرتبطا بما شعرنا به نحن الايطاليين ازاء الحرب هذه ، وأظن ازاء ما يحس به أى انسان نحو الحرب أو حتى نحو مباراة يحسب أنه يجب أن يكسبها • سوف ترى • لقد كانت معقدة !
وقال الميجر جوبولو : سأفهم ما تقول ، فان أمي وأبى جاءا من فلورنسا •

ومن الغريب أن تينا قالت : سوف يدرك ما تقول •
وقال نيقولو : لست أدري ان كنت أنا نفسى أفهم • لقد بدأت

المعركة من أجل مدينة بيجا في تونس . لقد كانت نوعا من
العدوى كشيء يحس به الجندي في معدته ، بينما هي في الحقيقة
في القلب ! لقد انقلبت قلوبنا جميعا تلين ، وانتهت الحرب
بالنسيبة لنا ، مع أنه كان المفروض أننا لانزال نحارب . لقد كانت
المدفعية هي السبب !

وقالت تينا : هل سأل عني يايقولو ؟
وتعمد نيقولو ألا يظهر أي عطف ، وقال : يحسن أن تتركيني
أروى ما حدث من البداية ياتينا . ان ذلك يكون أفضل .
وقالت هي : ليكن .

وقال نيقولو : لقد كانت المدفعية مريعة . أنهم يقولون انك
تتوقف لحظة عن الحياة حين تعطس . واذا انطلقت قنبلة
بجوارك تحس بنفس الاحساس ، وحين تخرج من هذا الشعور
تحس أنك مت فعلا لحظة من اللحظات . ولا تستطيع أن تقوت
هكذا عدة مرات في اليوم الواحد ، يوما اثر يوم ، وتبقى كما أنت .
فكر ماذا يحدث لو أنك تعطس عشرين مرة في الساعة لاربع
وعشرين ساعة متوالية ، يوما بعد يوم ، ولايام لانهاية لها .
ان هذا يكون فظيحا مع أن العطس لا يكاد يخيف !

وقال كابتن بيرفيس : ماقولك ياكوتى في أن نرقص ؟ ولكن
صديقة نيقولو كانت تصغي لروايته . وقال الكابتن : لعنة
الله ! وأظن أنه يجب أن آخذ درسا في الايطالية . أعطني
النبيذ من فضلك ياميجر .

وقال نيقولو : لقد تغيرنا كلنا فيما عدا جورجيو .
وتنفست تينا بشدة حين سمعت الاسم .

وقال نيقولو : لقد اعتاد جورجيو أن يجادلنا . وكان يقول
أنه يجب أن نستمر في القتال حتى نهلك ، وتحدث عن شرفنا .
وكان يقول انه ولو أن الحرب تجعلك تعتقد أن الانسان مجرد
حيوان فيجب أن تذكر أن الحيوانات نفسها كثيرا ما يحارب
بعضها بعضا حتى الموت . وأذكر أنه كثيرا ما كان يقول : هل
حاولت أن تتصور لماذا يحارب كلبان أحدهما الآخر ؟ والتفت
نيقولو الى الميجر وقال : هل حدث أن فكرت في هذا ياسيدي ؟

وقال الميجر : لا . لم أفكر ! وقال نيقولو : انه موضوع
يستحق التفكير !

وقالت تينا : هل تحدث عني ؟

وتجاهلها نيقولو وقال : أنك اذا فكرت فى الكلاب . وجدت للحرب معنى . وعلى كل حال فقد كان جورجيو مثابرا ، وكنت معجبا به لذلك ، وان كنت كثيرا ما جادلته ، وكنت أعتقد أنه يجب أن نسلم أنفسنا ، ولكنه ألح لدرجة أنه جعلنى أساعده فى قتل اثنين من الالمان وارثداء ملابسهما . وعدنا الى صقلية على معدية ألمانية . وقد احتطنا حتى اخترنا المانيين تنطبق مقاييس ملابسهما على جسمينا ، وقد حملنى جورجيو على أن أعمل ذلك العمل معه خشية القبض عليه .

وتكلمت صديقة نيقولو للمرة الاولى : أرولينا نبأ آخر ليلة قبل ترككم تونس .

وقال نيقولو : نعم . قبل قتلنا للالمانيين أردت أن أعدل . لقد كنت خائفا . أردت أن أقول له ان قتل الالمان ليس عملا شريفا ، ولكنه قال أن شرف الانسان فى الحروب لا يقاس بالمدايات والأوسمة ، لانها تمنح دون حق ، ولكن بقدر ما يؤديه من خدمات لأئمة . وقال ان قتل المانيين يساعد ولا يضر ايطاليا (وربما كان يحسن تبعا لما جرت عليه الامور لو أننا قتلنا عددا أكثر) وأن أفضل ما نعمله هو أن نحافظ على أنفسنا لمعركة وطننا الآتية . ولذلك انسحبنا الى كشك ، واخترنا المانيين قتلناهما فى هدوء بطريقة علمنى اياها جورجيو ، وعدنا الى صقلية .

وقال الميجر : ألم تجدنا متاعب على المعديّة الألمانية ؟ هل تتكلمان اللغة الألمانية ؟

وقال نيقولو : لقد كان جورجيو يعرف قليلا من الألمانية ، وعلى كل حال فقد دخلنا المعديّة مع وحدة مهندسين أرادوا انقاذهم ، فشحنونا فى المعديّة معهم من غير أن يوجهوا أية أسئلة .

وسأل الميجر جوبولو : هل هو جتّم فى الطريق ؟

— لقد سرنا بالليل ، وكانت رحلة لعشر ساعات فقط ، وقطع الالمان شوطا كبيرا بالليل من غير أن يهاجموا .

وقال الكابتن بيرفيس : يا ميجر ، هل ستبقى هنا تتحدث بالايطالية مع هؤلاء الناس طول اليوم ؟ ما قولك فى أن تترك لى هذه العصفورة الصغيرة ؟

وقال الميجر : انه يحكى حكاية يا كابتن .

وقال الكاتبن : ليذهب في داهية أننى لم أعد أطيعه • والذي أريد أن أعرفه الآن هو أين كنت تخفى هذه القطعة الفنية ؟ وتجاهل الميجر جوبولو الكاتبن ، وتناول الكاتبن كمية أخرى من النيذ •

وقال نيقولو : ومن سخرية القدر أن المدية أنزلتنا الى البر على الشاطئ بقرب أدانو !

وقالت تينا : ولماذا لم تحضروا للمنزل ؟ لماذا لم يحضر هو الى عندئذ ؟

وقال نيقولو : ولكن كل الفكرة من عودتنا كانت أن نستمر في الحرب • لقد حولنا أنفسنا الى فرقة بالتلول في هذه الناحية من « فيشينيا مارى » ، لقد كانت فرقة الجنرال « أباديسا » • وسقطت تونس في ذلك الوقت ، ولذلك هنئنا لهروبنا وارقونا الى جاويشية • وكان جورجيو عظيما فى تلك الايام قبل الهجوم على صقلية • كان أغلب الجنود يتظاهرون بالمقاومة ثم يستسلمون • أما جورجيو فكان يتحدث طول الوقت عن الضيق الذى كانت تعانيه ايطاليا زمنا طويلا ، وكان يتكلم عن « غاريبالدى وماتزينى وكافور » ، وعندما كان الرجال يقولون ان ايطاليا قد غلبت ذكر بريطانيا بعد دنكرك • وانى لأذكر ليلة كان يجادله فيها ثرنار بليغ ، وقال له ان الفاشستية ضارة ، فلماذا نحارب من أجلها ؟ وقال له جورجيو : اذا كانت الفاشستية ضارة فلماذا لم نحارب ضدها خلال واحد وعشرين عاما ؟ •

وقال الميجر : وهل كان جورجيو فاشستيا ؟

وغضبت تينا ونظرت اليه وقالت : انه لم يكن أبدا •

وقال نيقولو : لا • وهذا هو الغريب فى الامر • لقد أدخل السجن مرارا فى أدانو هنا لغير ذنب خاص الا كراهيته للفاشية • ومع ذلك عندما أدخلنا موسولينى الحرب فى عام ١٩٤٠ كان من أوائل من أنضموا للجيش !

وقالت تينا : ولكن ما الذى حدث ؟

وقال نيقولو : سأصل الى ماتسألين عنه • لقد حارب الجنود بغير عزم على الشاطئ كما تعلمون ، وارتدوا الى مارينستا • • لقد كنا فى ليلة الرابع عشر من يوليو • وأشيع أن الأمريكان سيبدأون هجومهم فى الصباح التالى • وكنا معسكرين فى حديقة فيلا شرقى المدينة • وبمجرد أن وصلت أنباء الهجوم جن الرجال ،

ودخل مجموعهم منهم الى الفيلا ودلفوا الى الكرار وعادوا يحملون كمية من النبيذ .

وعندما سمع الكابتن بيرفيس كلمة نبيذ بالايطالية ، قال : ليحى النبيذ . هذه كلمة ايطالية أفهمها حقا . قل لى ياميجر : كيف يقال فى الايطالية الكلمة التى نبدوها بحرف الفاء ؟ بودى لو أعرف اذا كانت هذه الدمية تفهمها !

وتجاهل الميجر جوبولو الكاتن . وقال نيقولو : وأخذ الرجال يحتسون النبيذ ، وقالوا أنهم سيقعون أسرى فى الصباح ، وأن الحرب قد انتهت بالنسبة لهم ، فلماذا لا يمرحون ؟ وسكر نحو عشرين منهم سكرًا بينا ، وأخذوا يقذفون الحائط بالزجاجات . وغضب جورجيو ، وقال انه سوف يضع حدا لعبثهم ، وحاولت أن أقنعه بأن يعدل لأن الرجال فى درجة من السكر لا تترك مجالا للاقناع !

وبدأ الميجر جوبولو يتصور ما يكون قد حدث لجورجيو ، وقال : هل تظن أن من الخير أن تخبر تينا ببقية الحكاية ؟

وقال نيقولو : أننى مطالب من أجل جورجيو . لقد قلت لتينا ان الحادث لم يكن جميلا !

وقالت تينا : نعم يا نيقولو استمر .

ولكنها لم تتصور - كما تصور الميجر - ما هو آت !

وقال نيقولو : لقد حاولت أن أمنعه ، ولكننى لم يكن لى أى تأثير فى ارادته ، ... لقد كان أقوى منى . وجرى الى حيث كانوا يقذفون الزجاجات ، وكانوا قد أوقدوا نارا مخالفين كل القواعد ، ووقف جورجيو بجوارها حيث يستطيعون رؤيته ، وصرخ فيهم . لقد كان كل واحد من هؤلاء الرجال قد شرب زجاجة واحدة ، ولكن الخوف أفقدهم صوابهم ، وكذلك الخمر ، وكان الواحد منهم يقف ويصيح : الى جهنم ابن الضفدعة «موسولينى» ! ويقذف بالزجاجة كما لو كان يقذف بها موسولينى . ثم يقوم الثانى ويصيح : الى جهنم الكلبة المتهيجة «ادا شيانو» ، ويضحكون جميعا ، ويقذف هو بالزجاجة . وصاح جورجيو ، ولكنهم لم يسمعوه أو لم يريدوا أن يسمعوه ، وتهيج هو ، ولا تنسوا أنه ذاق الكثير ...

وبدأت تينا تتصور ما هو آت ، ووضعت يدها على فمها ، واتسعت حدقتها ..

وقال نيقولو : وجرى جورجيو الى الحائط ، الى المكان نفسه الذى كانوا يقذفونه بالزجاجات ، وصاح : توقفوا ، توقفوا ، انكم خونة . بحياة مريم أم المسيح توقفوا !! وأدى مجرد وجوده فى ذلك المكان بالسكاري لأن يتوقفوا ، ولكن أحدهم صرخ - كما لو كانت نكتة كبيرة - أليس هذا الواقف هناك هو بنيتو موسولينى ؟ وضحكوا جميعا ، وصاح آخر : نعم ! لقد جعلته الحرب يضمر ! وضحكوا ضحكة أخرى . وصاح أحد المجانين : أننى أبغضه ! أبغضه ! وقذف بزجاجته جورجيو ...

وحنت تينا رأسها ، وقالت فى هدوء : لا . ليس هكذا .
ليس هكذا !

وقال نيقولو : لم تصبه الزجاجاة الأولى ، ولكنها اصطدمت بالحائط وأصابت شظاياها جورجيو ، ورأيت الدم يسيل على وجهه . ولقد كان شجاعا يا تينا ! أنك كنت تفخرين به ، فانه لم يتحرك !

وقالت تينا بحنان : نعم اننى فخورة ! نعم ، نعم .

وقال نيقولو : وصرخت فيه ليستعد ، ولكنه أبى ، وصاح فى الرجال : يجب أن نحارب . أن انفرصة الوحيدة لأمتنا هى أن نسقط فى المعركة . فرصتنا الوحيدة كرجال أن نموت فى المعركة . وعند ذلك تقدم الرجال كل بدوره ، وأخذوا يقذفونه بالزجاجات ! لم يعودوا يضحكون ، فقد لمس جورجيو موضع الادانة فيهم ، وقرروا أن يقتلوه . وكانوا على درجة من السكر لا أدرى كيف استطاعوا معها أصابته ! ولكن الرجل الثالث أصابه فى كتفه . ولم تنكسر الزجاجاة ولا أوقعته ، ولكنها لا بد قد ألمته ألما فظيعا . ولكنه استمر يصرخ محاولا الوصول الى عقولهم ، ولكنهم كانوا قد فقدوا كل تعقل !!

وقال الميجر : لابد أنها كانت معركة مريعة ..

وقال نيقولو : وبعد أن أصيب للمرة الأولى أخذ صياحه يعلو ثم يعلو ، ولكن يبدو أن الألم أحدث فيه أمرا ، لأنه أخذ يهتف بهتافات دينية عن المسيح حمل الله ، وقلب عيسى ، وأشياء من هذا القبيل . واستمر السكاري يقذفونه بالزجاجات ، وجرحته كثير من الزجاجات التى كسرت باصطدامها بالحائط ، وغطى الدم وجهه ويده ، وتمزقت بذلته الرسمية ، وسالت منها الدماء . وأصابه رجل آخر فى فخذه ، ويبدو أن هذه الإصابة ألمته اذ لم يعد يصيح . ولما توقف عن الصياح ، تقدم

السكرارى نحوه ، واقربوا منه ، وأخذوا يقدفونه بزجاجاتهم عن
كتب !! .

ثم توقف وسأل تينا : هل تريدنى أن أكتفى ؟

وقالت : لا يانيقولو يجب أن أسمع النهاية ..

وقال نيقولو : وأخيرا أغمى عليه ، وأخذ السكرارى الزجاجات
وضربوه بها ..

والتفت نيقولو الى المجرمة أخرى ، وقال : لقد فقدوا
صوابهم ياسيدى .. زجاجة النبيذ والفارات الجوية
وما كانوا يشربونه . لم يعودوا ايطاليين ياسيدى ، بل لم يعودوا
رجالا ذوى عقل !

وقال المجرر جوبولو : ان مثل هذا قد يحدث فى أى جيش اذا
ما تمكن الخوف من الرجال !

وقال نيقولو : شكرا لك ياسيدى ..

واستمر يقول : وكان معى مسدس . فقد كان مع كل منا
جورجيو وأنا ، مسدس أخذناهما من الألمان الذين قتلناهما .
ولم أستطع أن أصبر أطول من ذلك ، فسحبت مسدسى وأطلقت
طلقة فى الهواء ، ولكن يبدو أن ذلك زاد من رعب الرجال ولم
يوقفهم ، فتقدمت نحو أحدهم وضربت به بقبضة المسدس على
رأسه فسقط ، والتفت الى شخص آخر أكبر منى جسما
وفى قبضته زجاجة ، فأطلقت طلقة أخرى فى الهواء أمام وجهه ،
وكان يضرب بالزجاجة ، فأصابتهما الطلقة ، وبدأ يصرخ ، فظن
الآخرون أننى سأقتلهم جميعا ، وفروا ...

ونظرت تينا لأعلى وفى عينيها سؤال !

وقال نيقولو : لقد كانت الحياة لاتزال تدب فيه ، وتكلم قليلا ،
وحاولت أن أعمل كل ما استطعت من أجله ، ولكنه كان قد فقد
دما كثيرا ..

وقالت تينا بحزن عميق وهى تعلم رد سؤالها : هل ذكر
اسمى ؟ .

وقال نيقولو : لقد كنت بجانب كثيرين ماتوا فى هذه الحرب ،
ولم يذكر واحد منهم فى ساعة الموت اسم امرأة . ان الرجال
لا يتحدثون بهذه الطريقة ساعة يموتون . انهم يتحدثون عن
آلام بطونهم ، ويسبون ، ولكنهم لا يذكرون النساء . أذكر أنه
ردد بعض تريلات من تريلات البتول مريم ، وطلب منى أن

أدير رأسه لناحية طلبا للراحة، ولكننى حين فعلت طلب الى أن
أدير رأسه للناحية الأخرى . ثم مات ياتينا ..

وخفضتينا رأسها ثم قالت : لم يمت فى معركة !

ومد نيقولو يده وأمسك بيدتينا وقال : بل كانت معركة ،
لقد كانت معركة جورجيو ياتينا ! وحين أطلقت الرصاص حضر
بعض الضباط وظنوا أن جورجيو كان أحد السكارى ، ولذلك لن
يحصل على ميدالية . ولكن أحدا من الإيطاليين لم يمت ميتة أكثر
شجاعة فى هذه الحرب . انظرى الى . لقد قبض على وعلى
النسكارى فى صباح اليوم التالى . اننى خجلان من نفسى ،
والخجل الذى أحس به ، والخجل المريع الذى يحس به السكارى
وجميع الجنود الإيطاليين ... لقد كنا ضعافا ياتينا وسيؤلم
الخجل بلادنا لسنين طويلة . وفرصتنا الوحيدة أن نذكر رجلا
من أمثال جورجيو ! وإذا لم نكن قد استطعنا أن نحارب ونموت
محاربين كما أراد منا أن نفعل ، فانا نستطيع أن نذكر أمثاله
الذين فعلوا !

وأراد الميجر جوبولو أن يساعد فقال : هذا صحيح ياتينا ..
وقال نيقولو للميجر : كما ترى يا ميجر . لقد كنا فى حيرة
ولم يكن أمامنا هدف مقنع نحارب من أجله . هل رجالكم ؟ ...

وقال الميجر جوبولو : لا أدري يا نيقولو أظن أن الهدف موجود
فعلا . يجب أن نتخلص من رجال السوء . ان بين الالمان عددا منهم
وفيكم أيضا عدد منهم ، وفيما نحن أيضا بالطبع . ولكننى لا
أظن أن جنودنا يفكرون فى الاسباب . وهذا ما يقلقنى فى
هذه الحرب .

وقال نيقولو : وهذا ما يحيرنى أنا الآخر . أما جورجيو فقد كان
شيئا آخر .

وقال الميجر جوبولو : هذا صحيح ، أنه كان يكون شيئا
آخر عندنا أيضا .

وقال الكابتن بيرفيس : انظر الى ابن الكلب هذا ، انه ممسك
بيد فتاتك يا ميجر ! يحسن بك أن ترفسه فى مقعده وتعطيه
درسا .

وأخذ الميجر جوبولو تينا الى منزلها ، وأمضى معها بقية النهار ،
وكان لطيفا جدا . وبدا أن عطفه أفادها كثيرا ، وكانت كثيرا ما
ترفع رجليها لتتظر اليه بنظرة كان لها تأثير فيه .

وأخيرا قال لها : لا أدري ياتينا ان كان من المناسب أن أقول
لك هذا الآن ، ولكننى سأقوله على كل حال . . . تينا . . . اننى -
ربما كان من الخيس أن أنتظروا أقول لك ما أريد فى وقت آخر .
ونظرت اليه بطريقة جعلته يعتقد أنها كانت تأمل وخاب
أملها ، وقالت بحنو : ربما كان الأفضل !

وقال هو : سأقول لك فى الحفلة يوم الجمعة . . .

وكررت بحنو : يوم الجمعة !

ثم أدارت وجهها وقالت : غريب جدا ، ولكننى لم أعرف قط ان كنت
أحب جورجيو ! لقد كنت معجبة به ، وفى بعض الاوقات كنت
أخشاه ، وكانت له عندى منزلة كبيرة . ولكن جسده كان باردا
وكان عقله عنيدا . اننى لا أزال لا أدري . !

وبدأت تبكى من جديد . !!

الفصل الثانى والثلاثون

فى استوديو لوجاكونو - ان كان يمكن لغرفة بنافذة صغير واحدة، أن تسمى استوديو - وقف وفد من موظفى المدينة يحيطون بالفنان وينتقدون ، بينما يحاول الفنان أن يعمل .

ووقف الرجل العجوز أمام حاملين ، على أحدهما رسمه الذى لم يتم ، وعلى الآخر النموذج الذى ينقل منه ، وهو صورة فتوغرافية للمبجر جوبولو من تصوير سباتافورو المجنون . وكانت الصورة الفوتوغرافية متقنة جدا والصورة التى يرسمها الفنان واضحة ناجحة .

وكون جرجانو ذو اليدين حلقيتين بين أصابعه ، ووضع الحلقيتين أمام عينيه ، وحدق من خلالهما الى الصورة ، وقال : العينان . الوجه فى مجموعه جيد، ولكن العينين .. يبدو لى أن العينين ليسا عيني المستر ميجر !

وقال لوجاكونو العجوز : ان الرسم لم ينته بعد .

وقال داربا وكيل العمدة فى صوته الذى يشبه صوت العرسه : هل يجب ان تتركز الأنف على الشارب بهذه الطريقة ؟ ان هذا الأنف يبدو نائما آ

وقال المصور العجوز : ان الرسم لم ينته بعد . . .

وقال ساييتا النظيف المكلف نظافة المدينة ، وكان واقفا بعيدا حتى لا تتلوث بزته البيضاء بالالوان : ألا يمكن تنظيف أرضية الصورة قليلا ؟

والتفت المصور ذو الشعر الابيض الى ناقيه وقال : انها لم تنته بعد . انها لم تنته بعد . انها لم تنته بعد . هل يمكن ادخال هذا فى أدمغتك الرسمية الكثيفة ؟

وقال داربا الذى كان أكبر الموظفين الموجودين : اننا لسنا

صما يالوجاكونو • اننا هنا لحساب مدينة ادانو ، جئنا لنراك تتم العمل على أحسن ما يكون ، ولتجعله لا ثقا بالغرض الذى طلب له •

ورفع جرجانو كتفيه ، ومدذراعيه ورفع راحتيه ، ليقول ما قال : اننا لا نقصد اهانة أيها العجوز ! ثم حرك يديه كما لو كان يصور وقال : استمر أيها العجوز !

وعاد لوجاكونو لعمله ، ودمدم وهو يرسم بريشته : لأول مرة منذ أشهر ، لدى موضوع أريد أن أصنع منه رسما ممتازا • فما الذى يحدث • أبدأ العمل ، وأبدأ أحبه ، وإذا بفرشاتي تصمت فى يدي ! ثم ماذا يحدث ؟ يزورني موظفون رسميون لا يعلمون عن فن الرسم بقدر ما أعلم عن نظافة الشوارع • • ! - (قال ذلك بازدراء شديد ، فسحب ساييتا بزته البيضاء الى جسمه ، كما لو كان يخشى أن يقذفه الرجل العجوز بالبوية) - وينتقدون عملي بالرغم من أنه لم يتم بعد •

وكون جرجانو الدائرتين بأصابعه مرة ثانية ثم قال : كل الذى قلته أن العينين ليسا بعد عينى المستر ميجر !

وقال داربا : كل الذى قلته أن الأنف تبدو مرتاحة ... ربما مرتاحة أزيد قليلا مما يلزم .. ربما نائمة !

وقال ساييتا : اقتراح تنظيف أرضية الصورة قليلا ليس انتقادا لقرب الشبه !

وقال لوجاكونو : لقد قلت لكم أن الرسم لم ينته بعد ، وعندما ينتهى سوف يرضيكم •

وقال داربا بصوته المعروف : الاله هو أن يرضى المستر ميجر •

وقال الرجل العجوز : أعدكم بأنه سيعجب به •

ووضع جرجانو يديه على قلبه وقال : يجب أيها العجوز ، والا فسدت فكرة تقديمنا الصورة له • أتعرف لماذا قررنا اهداء الصورة اليه ؟

وقال لوجاكونو بضيق : نعم أعرف لماذا تهدونها اليه • •

ولم يكن جرجانو يتوقع أن يجيب الرجل العجوز على سؤاله الانشائي ، فرفع يديه من على قلبه وقال : واذن ...

واتفت الرجل الشايب الى ثلاثهم وقال : واذن ... لماذا

لاتركوننى وحدى لاستطيع أن أضع فى الرسم ماتحسون به نحو هذا الرجل ؟

وبدا جرجانو يكون الدائرتين ويقول بتردد : العينان . .

وقال المصور : ان العينين لم ينته رسمهما . ولا الانف التعبانة ولا الارضية القذرة . واستطيع أن أشرح لك يا منظف الشوارع أننى أستعمل الارضية لأجرب ألوانى . هل جئت اليك باقتراحات عن طريقة رفع السباح من الشوارع ؟

وشد سايتنا على ملابسه وقال : لا . . .

وقال لوجاكونو : واذن . . . والتفت الى عمله .

وقال الرجل العجوز كما لو كان يحدث الوجه المرسوم فى الصورة الفوتوغرافية : هذه صورة أريد أن أجعلها من الاتقان بقدر ما أستطيع . ان هناك أشياء كثيرة أود أن أضعها فى هذه الصورة عندما تنتهى . .

قال ذلك الجزء الاخير بغضب لافهام منتقديه .

واستمر يشرح ما يريد أن يضعه فى هذه الصورة ، وحقق بذلك أغراض الانتقاد ، فذكر لنا قدومه ما يدور فى خلدته بحيث أنه عندما يتم التصوير يستطيعون أن يروا ويظهروا ما بها من معان إذا ما بحثوا عنها .

قال الرجل العجوز : أن أهم شيء أريد أن تحويه هذه الصورة هو حياة وتنفس المسترميجر . أريد أن تحوى العين نظرة شقاوة رأيتها فيها . شيئا يدل على أنه مغرم بالسيدات الشابات ! . . . ثم التفت الى جرجانو غاضبا : ولكن ذلك ليس كل ما أريد وضعه فى العينين !

واستمر يقول : أما طريقة قص الشارب فسيكون فيها بعض الزهو ، ليس كثيرا ، بل مجرد ما يكفى لجعل الرجل يرتدى ملابس نظيفة ، ويبدو نظيفا ، وينظر مرة - لمرتين - فى كل امرأة يمر بها !

وقال داربا بصوت مرتفع : هذه مسائل تافهة مضحكة . وماذا عن الأشياء الكبيرة ؟

وقال لوجاكونو : اننى اعتقد أحيانا أنك رجل صغير مضحك ! ان الأشياء الكبيرة تأتى من الأشياء الصغيرة . اننى لم أنته . ان فى الموظفين الرسميين دافعا يجعلهم يدسون انوفهم النائمة عادة على وجوههم فيما لم يتم عمله !!

وقال داربا : استمر أيها العجوز .
- ستظهر الذقن القوة ، والاذنان الحركة والانتباه . وفي تثبيت
الشعر النظافة ، وفي الحدين حرارة محببة .
ثم قال الرجل العجوز : ستعجبكم كما ستعجبه !
وقال داربا مرة ثانية : ولكن الامور الكبيرة . ماذا عن الامور
الكبيرة ؟

وقال المصور : لن تروا الاشياء الكبيرة الا بعد ما ترون الصورة زمنا
طويلا . كما أنكم لم تكتشفوها في الرجل الا بعد أن عرفتموه .
لماذا تريدون تعدادها ؟ أنكم تعرفونها كما أعرفها أنا ..

ولكن داربا قال : ماذا تظنها يا لوجاكونو ؟ فأن المنتقدين لم
يأتوا لينتقدوا ، وانما جاءوا ليلبحثوا عما يريدون .

وقال الرجل العجوز : هناك شيء واحد كبير حقيقى . أما
الاشياء الاخرى فمرتبطة به . أنها الرغبة البادية في وجه هذا
الرجل في أن يكون كل انسان في هذه المدينة سعيدا . ان هذا
شيء كبير حقا ، ونو أن ذلك كان ظاهرا في وجه كل موظف رسمى ،
فأن المصورين لم يكونوا لينتقدوا قبل اتمام عملهم .

ونظر جرجانو الى الصورة بعين مقفلة ثم قال : أظن أن العينين
ستكونان مضبوطتين .

وقال داربا : لاشك أن هناك شيئا لم يتم بخصوص هذه الانف
الناعسة . ولكنها ستكون مضبوطة عند اتمامها .

وقال سايتا : أننى سعيد لانك شرحت لى موضوع أرضية
الصورة . هل عندك أى اقتراح بخصوص السباخ ؟

وقال لوجاكونو : كل الذى أقترحه أن أترك لوحدى حتى أتم
العمل . متى تريدون الصورة ؟

وقال داربا : ظننا أننا نستطيع تقديمها له يوم الجمعة المقبل
بعد الظهر قبل الحفلة المقامة لتكريمه . كنا نظن أننا نجعل
ذلك اليوم كله يومه .

وقال الرجل الشايب : ستكون قد انتهت ، وسيعجبكم وجهه .
ذلك وعدى لكم .

الفصل الثالث والثلاثون

لقد كان الجنرال مارفن يعتقد فيما يسميه «استمرار الاتصال» .
كان يحب أن يعرف كل ما هو حاصل في العالم وفي الجيش .
لذلك كان يجعل ياوره اللفتنان بيرد يقرأ له كل صباح نحو ساعة ،
وفي صباح الاثنين والاربعاء والجمعة عندما تأتي حقيبة البريد
من الجزائر كان اللفتنان يقرأ له أوراقا مختلفة من الحقيبة .

وفي صباح ذلك الاثنين قرأ له اللفتنان العمود المخصص للكاتب
أرنى بايل . ومقطوعات شعرية من مجلة النجوم ، ومقالة عن
الالغام ، والالغام الغاطسة في مجلة المشاة ، وملخص بحث عن تحديد
النسل في مجلة المختار ، وتقارير ثلاثة عن الحالة الحربية في أفريقيا،
ومجموعة من خطابات مسلية نتجت عن مقال عن الجنرال في
بعض المجلات ، وخطاب ثناء للجنرال من وزير الدفاع سمسون
عن معركة في تونس . وكان هذا الخطاب قد وصل منذ عدة أيام ،
ولكن اللفتنان وجد من اللائق - من غير أن يطالبه أحد بذلك
أن يقرأه على الجنرال في صباح كل يوم .

وعندما تنتهي هذه القراءات تتحسن حالة الجنرال النفسية .
ولكن كما يحدث دائما عندما يبدأ اللفتنان بيرد يقرأ مذكرات
الضباط المختلفين ، ينقلب الرجل العجوز غاضبا . ذلك ان المذكرات
لا تكتب الا عن أشياء تمت خطأ . ففي هذا الصباح وصلت مذكرة
عن ضياع سلك تليفونات احدى الفرق ، فلم تعد تستطيع الاتصال .
وأخرى عن انشاء مخازن للوقود بجوار احدى الفرق ، حتى لا تضطر
عرباتها لقطع مسافات طويلة للحصول على الوقود . وثالثة عن
كيف أن غارات الطيارات تصيب أحيانا جنودا صديقة . . وهكذا .

وبعد قراءة بعض المذكرات يصرخ الجنرال ببعض التعليمات
الى الكولونيل ميدلتون الجالس بالغرفة الملاصقة ، وبعد بعضها
الآخر يصيح غاضبا : الى جهنم كلهم . انهم ليسوا أسوأ حالا من
الآخرين . الرد لا !

وتناول اللفتنانيت بيرد احدى المذكرات وقرأ : « الى الجنرال
مارفن للعلم . . الخ . . الموضوع عربات البغال بمدينة ادانو »
وتلمل الجنرال : لعنة الله على عربات البغال !

وقرأ اللفتنانيت بيرد في ١٩ يوليو وصلت أوامر من الجنرال
مارفن بالفرقة التاسعة والاربعين ، بمنع عربات البغال من دخول
مدينة ادانو ووضع حراس عند الكوبرى فوق النهر الاحمر ،
وعند مصنع كاكوباردو للكبريت . ونفذ الامر . .

وقال الجنرال : « لعنة الله . هذا في محله . أوقفوا العربات
اللعينة . هؤلاء الايطاليون الفاسدون يحاولون تأخير الغزو
اللعين . يحسن أن يستمروا في تنفيذ الامر اللعين !

واستمر اللفتنانيت بيرد في قراءته وهو لا يكاد يدرك ما يقرأ :
وفي ٢٠ يوليو رفع الحراس بأمر الميجر . . »

وفجأة أدرك اللفتنانيت بيرد ما يقرأ ووضع المذكرة على المكتب
وتناول مذكرة أخرى ، ولكن الجنرال صاح به : أتمها . لعنة
الله ! أتمها !

وقرأ اللفتنانيت : رفع الحراس بأمر الميجر فيكتور جوبولو ضابط
الشتون المدينة بمدينة ادانو ، لان العربات ضرورية للمدينة ،
والمدينة . .

ونسى الجنرال موضوع اتمام قراءة المذكرة وصاح : « جوبولو » ،
وانقلب وجهه الى لون الجبال البعيدة ، وقال « جوبولو » .
وجرت ذاكرته بطريقة الخاصة ، وصاح : ميدلتون ! تعال هنا
يا ميدلتون !
وجاء الكولونيل .

— هل تذكر يا ميدلتون اسم جوبولو . ابن كلب ايطالى فاسد
باسم جوبولو ؟

وقال الكولونيل ميدلتون بوجه متعب : نعم ياسيدى .
العربات !

وصاح الجنرال مارفن : لقد تذكرت الآن شيئاً . لقد كان
هذا الايطالى اللعين يرتدى ملابس غير ردائه الرسمي . لقد كان كان
يلبس لباساً أحمر وقميصاً كاكيا . انك تذكر ذلك يا ميدلتون ؟

وقال الكولونيل ميدلتون : لا ياسيدى لقد نسيت ذلك !

وصاح الجنرال : ليكن ولكننى أذكره . لقد ضقت بهذا الحقيير .
هل علمت ما الذى فعله الان يا ميدلتون ؟

وقال الكولونيل ميدلتون بصوت متعب : لا ياسيدى !
- عليه لعنة الله . لقد جراً على أن يترك العربات تعود الى المدينة •
ما اسم تلك المدينة الملعونة ؟

وقال اللفتنانث بيرد : ادانو ياسيدى •

- ادانو - لعنة الله على هذا الوصول •

وقال الكولونيل ميدلتون : ربما كان هناك سبب جعله •••

- لعنة الله عليك يا ميدلتون ! لقد بدأ تفكيرك يتحرر أنت الآخر !

وقال الكولونيل ميدلتون : نعم ياسيدى •••

وقال اللفتنانث بيرد : ان المذكرة تقول ان العربات كانت ضرورية
للمدينة ، وان المدينة كانت فى حالة سيئة بدونها !

ووقف الجنرال : لعنة الله ! اننى لم أعد أطيق هذا الحشرة
الايطالى !

وقال الصوت المتعب : نعم ياسيدى •••

- أصدر أمراً بسحب هذا الايطالى اللعين من تلك المدينة
عليها لعنة الله •• ما اسمها ؟

وقال اللفتنانث بيرد : ادانو يا سيدى •

- مره بأن يقدم نفسه للجزائر ليعاد تعيينه • وحرر تقريراً
على حدة للجزائر شارحاً لماذا •• وسوف أضع ابن الزنا هذا فى
موضعه ! ابعث الأمر اليوم • لعنة الله ! لا أريد أى تأخير
يا ميدلتون •••

وقال الصوت المتعب : نعم ياسيدى •••

الفصل الرابع والثلاثون

أخذ الصياد المسمى انيللو يتحدث هو ورجاله عن الحفلة في اليوم السابق لها .

وسأل انيللو : هل أنت ذاهب يا ميراندينو ؟
ولما كان ميراندينو ممن لا يحبون أن يرتبطوا قال : لقد دعيت إليها .

وقال اسكونزو : أصغر صيادي ادانو : أنا ذاهب ، ويحسن أن تذهب . يا ميراندينو ، فقد سمعت أننا نحن الصيادين محظوظون ، فان أغلب المدعوين من الموظفين الرسميين وكبار القوم ، ولكن من أجل توماسينو .

وقال انيللو : وربما لان وجوه بنات توماسينو ليست ذات جذرى !

وقال اسكونزو : ربما ! وقهقهة ...
وسحب الرجال شبكتهم ، وأخرجوا منها السمك اللامع ووضعوه في صناديقه . كان سمكا جيدا من المسعر ، أغلبه بسعر أربع ليرات أو خمس .

وقال اسكونزو : انها فرصة نادرة لامثالنا الصيادين يا ميراندينو !
يحسن بك أن تذهب .

وقال ميراندينو : سأفكر في الامر .

ورموا الشباك من جديد ، وأمسك ميراندينو بعجلة القيادة ، والمركب يتعد عن الشباك . وبينما المركب يتعد بهدوء ، ألقى اسكونزو في قاعه خده على النافذة ، وأخذ ينظر الى مقدمة المركب وهي تشق الماء ، وشعاع الجزء العلوي ينساب ظله في الماء أيضا !
كان يوما من أيام البحر الابيض النادرة ، حيث لا نسمة من ريح تمر على الماء الازرق الصافي .

وراقب اسكونزو صورة الميجر راكبا على السلحفاة التي رسمها لوجاكونو العجوز وهي تنساب على الماء ، وكانت تسير فوق الماء ،

وتمثل فى بعض الاحيان صورة رجل حقيقى راكبا سمكة تسبح على سطح الماء .

وقال اسكونزو : هل تظن أن المستر ميجر قد وقع فى حب الشقراء ؟ لقد سمعت أنه كان يحيط خصرها بذراعه يوم عودة الأسرى بدون جورجيو !

وقال ميراندينو : لا شأن لى بذلك .

وقال انيللو : أظن أنه يحبها .

وقال اسكونزو : سنرى مساء الغد فى الحفلة .

وقال انيللو : ألا تظن يا ميراندينو أننا اقتربنا من الشاطئ أكثر مما يلزم ؟

وقال ميراندينو : سأنظر الى الخريطة .

وقال اسكونزو : انه يحاول أن يبتعد عن مركب توماسينو . ان توماسينو العجوز ينشر شبكته بقوة تجعل السمك يفر . ان خلق توماسينو ضيق جدا ، وربما كان غاضبا من السمك ، ولذلك يقذف شبكته . ان ميراندينو يحاول أن يبعد بالمركب من طريق توماسينو . أليس كذلك يا ميراندينو ؟

وقال ميراندينو : لا أظن أن توماسينو غاضب من السمك .

وقال انيللو : يحسن ألا نقرب كثيرا . لقد حذرنا مما قد يحدث اذا ابتعدنا عن المنطقة التى حددوها لنا على الخريطة .

ونظر ميراندينو فى الخريطة ، ثم فى العلامات التى على البر ، وعلى الرصيف ، وقال : ربما نكون قد اقتربنا من الشاطئ قليلا ! ... وأدار عجلة القيادة ، وقاد المركب بعيدا عن مركب توماسينو .

وقال اسكونزو : اننى شخصا أفضل بنت توماسينو الصغرى على الشقراء . اننى أحب الصراحة فى لون الشعر .

وقال انيللو : لا أظن أن أى واحدة من بنات توماسينو تلتفت اليك يا اسكونزو .

وقال اسكونزو : ها . ها . أظن أننى أستطيع أن أؤثر لو أردت .

وقل انيللو اسكونزو وهو يقول : لو أردت !

ثم قال : ما الذى يجعلك تعتقد أنك تستطيع ؟ ان أنفك كبير جدا . وقال اسكونزو : ما الذى يجعلك تعتقد أن من الصعب

التأثير فى بنات توماسينو ؟ ما الذى تظنه يا ميراندينو ؟

وقال ميراندينو : اننى أظن أن كبار الأنوف ممن يشتغلون بالصيد معرضون للاحتفاظ برائحة السمك فى أنوفهم بعد عملهم الساعات الطويلة ، وينسبون الرائحة الى السيدات الشابات اللاتى معهم . أظن أنه قد آن الوقت لنسحب الشبكة ؟ ووقف الرجال الثلاثة وبدأوا يسحبون الشبكة .

وقال اسكونزو : صيد كبير فى هذه المرة . هل تشعر بثقل الحمل ؟

واستمروا يسحبون ، ثم قال انيللو : أنها بطيئة الحركة ليس فيها احساس بحيوية سمك صغير متحرك . ألا توافق يا ميراندينو ؟

وقال ميراندينو : اننى لا أقسم السمك الى الدرجات الا بعد أن يصبح فى صناديقه .

ولكن عندما بدأت الشبكة تسحب أصبح واضحاً أن بها بجانب القليل من السمك شيئاً آخر .

وقال اسكونزو : ربما جذبت رسومات لوجاكونو سمكة موسى كبيرة . وربما يكون لوجاكومو قد رسم أنثى لهذا السمك ، ويكون هذا ميعاد التناسل لهذه الاسماك !

وقال انيللو : يبدو لى أن الامور ليست على ما يرام .

وأكد ميراندينو : انها تبدو كشيء لم نعتد أن نصاده .

واستدار المركب والرجال يجرون الشبكة ، وكانوا يسحبون

الشبكة والماء يتساقط منها . وعندما كادوا ينتهون من جر الشبكة صاح اسكونزو : انتظروا قليلاً ودعونى أنظر فربما أستطيع أن أرى ما فى الامر قبل أن نضعه فى المركب .

وانحنى فى قاع المركب ووضع خده على الكوة السفلى ونظر . وكان ما رآه هو آخر شيء وقع عليه نظره . رأى الماء الأزرق الصافى ، وانعكاس صورة المسترميجر راكباً سمكة البحر ، ورأى تموجات البحر فى المقدمة ، ورأى الشبكة والماء يتساقط منها على صفحات البحر ، ورأى عدداً كبيراً من السمك وقد ضيق عليها الخناق تحاول أن تفلت ، وأخيراً فى نهاية الشبكة رأى دائرة معدنية تشع منها حراب معدنية .

وصاح بهم : توقفوا . توقفوا عن الجر . . . ولكن كان ذلك بعد فوات الوقت فقد استمرت حركة المركب بطيئة ، واستمر

الرجال في سحب الشبكة فاصطدم قاع المركب بالغم . وسمع صوت الانفجار من المدينة . وظن زوجات الزراع وعمال الارض أنها مجرد فرقة قام بها المهندسون . ولكن زوجات الصيادين جرين الى الميناء يستطلعن ومددن أبصارهن نحو الماء .

وعند حصول الانفجار التفت توماسينو الى حيث كان مركب انيللو . ومن حسن الحظ أن شبكة توماسينو كانت قد سحبت الى داخل المركب ، ولذلك استطاع أن يتحرك بسهولة . فلما وصلوا الى المكان وجدوا بقايا أخشاب ، وعددا كبيرا من الاسماك الميتة طافيا ، وجثة انيللو طافية ، وكذلك جثة ميراندينو وبعض أشلاء من اسكونزو .

ورفع توماسينو ورجاله الجثتين الى المركب ، بينما أقبلت بقية مراكب الصيد .

وصاح توماسينو في الآخرين : استمروا في الصيد وابتعدوا عن الشاطئ ، وسأنتقل أنا انيللو وميراندينو الى البر . وصاح واحد من مركب آخر : واسكونزو ؟

وقال توماسينو دون أن ينظر الى الاشلاء الطافية : اسكونزو ؟ انه مفقود .

وحرص توماسينو على أن يختار طريقه الى البر مستعينا بالبوصلة .

وقال أحد الرجال : يا لسوء حظ اسكونزو . لقد كان راغبا في الذهاب الى الحفلة مساء الغد ، ولم يتحدث عن شيء آخر منذ ثلاثة أيام .

وقال آخر من مساعدي توماسينو : لقد كان اسكونزو مغرما بالحفلات ، ولولا كبر أنفه لعد جميلا .

ولقد قضى على انيللو وميراندينو كما قضى على اسكونزو ، ولكن موتهما لم يبد فظيحا كموته هو لانهما لم يفقدا كما فقد هو على حد تعبير توماسينو . لذلك تحدث الرجال عن اسكونزو ولم يتحدثوا عنهما وهم في طريقهم للبر .

وبمجرد أن وصلوا الى الشاطئ قفز اليه توماسينو ، وسار بخطوات سريعة الى السراي ، وكان أول من أبلغ الميجر بالخبر ! استقبله الميجر بمرح وقال له : صباح الخير يا توماسينو . اننى أفكر في حفلة الغد ، وسمعت أنك أحد الداعين .

وكان وجه توماسينو مغبرا من الألم ، ولكن الميجر لم ير في ذلك ما يخرج عن المألوف .

وقال توماسينو : لن أستطيع الذهاب .
 — ولم يا توماسينو ؟ ان الحفلة لن تكون ناجحة من دونك ،
 وقال توماسينو بتجهم : لقد جئت للتحدث اليك عن الانفجار .
 هل سمعت الانفجار ؟
 وقال الميجر : لقد سمعت انفجارا منذ نصف ساعة .
 وقال توماسينو : نعم منذ نصف ساعة .
 — ما موضوعه ؟
 — أحد مراكى . لقم على ما أعتقد كما حذرتنا .
 ووقف الميجر . لقد هرب الدم من وجهه بمجرد أن بدأ
 توماسينو يتحدث عن الانفجار ، وانتقل من على مكتبه وأقرب
 من توماسينو ووضع يده على كتفه ، وقال : انها غلطتى
 يا توماسينو وليست غلطتك .
 وقال توماسينو : انها غلطة انيلو لقد اقترب من البر كثيرا .
 لقد قست الاتجاهات وتبين لى أنه ابتعد عن منطقة الصيد .
 وقال الميجر : اننى آسف ؟
 وقال توماسينو : علام تأسف ؟ لقد حسبته ستغضب .
 — اننى أشعر كما لو كنت قد قتلت رجالك يا توماسينو .
 — لقد حدثت حوادث هنا يا مستر ميجر قبل حضورك ؟ ومات رجال
 منا من قبل .
 وهكذا كان توماسينو يعزى الميجر ، بدلا من أن يتحمل غضبه ،
 لان رجاله أهملوا اتباع التعليمات !
 وبينما توماسينو فى طريقه للانصراف سأله الميجر : «
 ستستمررون فى الصيد ؟
 وأجاب توماسينو : طبعاً . ان أربعة من المراكب مستمرة فى
 الصيد .
 وقال الميجر : حسن يا توماسينو . ثم أضاف : اننى آسف
 لليلة الغد .
 وقال توماسينو : أنا آسف أيضا . ولكنه لا يليق بى الذهاب
 لأن المفروض أننى رئيس الصيادين .
 وتردد جوبولو ثم قال بصوت حائل أن يجعله طبيعيا : هل
 تعتقد أن أفراد أسرتك أيضا يجب أن يبتعدوا عن الحفلة ؟
 ونظر توماسينو الى وجه الميجر جوبولو . ولم يبد عليه أنه أقل
 حزنا وهو يجيب : لا . أظن أنه يجب أن تحضر تينا الحفلة .

الفصل الخامس والثلاثون

كان الميجر جوبولو لا يزال يشتغل في مكتبه لينجز عمله في اليوم التالي . وقبل الساعة بقليل سمع ضجة خارج باب مكتبه ، وسمع امرأة تصرخ وتبكي ، بينما زيتو الحاجب يجادلها محاولا منعها من الدخول .

واتجه الميجر الى الباب وفتحه، وطلب الى المرأة أن تدخل . وكانت تحمل طفلا بين ذراعيها .

وبينما الميجر يتجه الى مكتبه، خطر بباله دون أن يعير الفكرة أية أهمية أن الطفل أكبر من أن يحمل . وشعر بخطوات المرأة تتبعه الى مكتبه . وكانت تحمل الطفل أمامها ورأسه متجه الى صدرها .

ولما جلس الميجر انفجرت المرأة في صيحات هستيرية : لقد كاد يموت من الملاريا ، ولكن الله أنقذه، وعندما أصيب بالجذري صلى عليه الأب بونشوفيكو ، وأنقذ أيضا ، وكانت عيناه جميلتين ، جميلتين كعينى والده ابني ، ابني ، لقد تحملت الكثير من أجله ، ولا أدري وأنا أحبه كل هذا الحب ماأنا فاعلة به !

ووضعت المرأة ابنها بحنان على مكتب الميجر ، ورأى الميجر أن الطفل قد مات !

واستمرت فى ثرثرتها الهستيرية ، واستدعى الميجر زيتو وطلب اليه أن يدعو جرجانو .

وبينما هو فى انتظار جرجانو حاول الميجر أن يجعل المرأة تخبره بما حدث ، ولكن كل ما استطاع أن يحصل عليه منها بخلاف البكاء والعيول كان أنينا وشكوى ، وذكرت مرة أو مرتين كلمة « لورى » .

ولما جاء جرجانو سأله الميجر عما حدث ، ولم يكن جرجانو قد علم وخرج يتحرى . وعاد فوراً ممسكا بغلام آخر بيده .

وعلم الميجر من جرجانو ومن الغلام أن الطفل قد صدمه لورى
عسكرى امريكى ، واستمر فى سيره دون توقف .

وكان الطفل يصيح طالبا حلوى كما كان يفعل غيره من الاطفال .
وقد لاحظ الغلام واثنان أو ثلاثة غيره من الاطفال أن الذين يحصلون
على الحلوى عندما يرميها الجنود الامريكان ، هم الذين فى المقدمة .
وكان الذين لاحظوا ذلك أكبر من الآخرين ، ولذلك كانوا من بينهم
مجموعة يلتقط أحدهم الحلوى ، بينما يمسك الآخرون بأيديهم
متماسكة ليمنعوا بقية الاولاد من الوصول إليها . ورأى الآخرون
أنهم خدعوا بتفكير وقوة المجموعة الأولى ، فصمموا على اختراق
الحصار ، وتكاتفوا فى هذا الشأن . ونجحوا عند أول هجوم لهم
على الحصار المكون من أذرة الآخرين ، ولكن قوة اندفاعهم
ألقت بطفلين على هذا الطفل الذى كان فى المقدمة يلتقط الحلوى ،
وألقت الصدمة به أمام اللورى التالى ، فصدمة التصادم فى جبهته .

وعمل الميجر ما استطاع لتغذية الائم ، وأبلغها أنه سيدفع لها
مبلغا ، وأن على المدينة أن تتولى العناية بها . وأرسل فى طلب
السينيورا كارملينا سبينوتا ضابطة الشؤون الصحية الكبيرة ،
وطلب منها العناية بالمرأة ، والاهتمام بأن يدفن الطفل دفنا
لائقا .

ثم التفت الى المرأة وقال لها : أرجو ألا تكرهى الامريكان بسبب
ما حدث ، وأرجو أن تذكرى خلال حزنك أن السبب فى تعرض
الاطفال للخطر هو أن الامريكان كانوا كرماء معهم . ولو أن
الامريكان لم يرموا اليهم بالحلوى لما استمروا يعبدون بجوار
اللوريات ويستجدون . ان الكرم فى بعض الاحيان من عيوب
الامريكان ، ويسبب أضرارا فى بعض الاوقات . لقد سبب رفع
الاسعار هنا ، وجلب اليك التعاسة ، ولكنه أفضل ما نستطيع أن
تأتى به لاوروبا . فأرجوك ألا تكرهى الامريكان .
واستمرت المرأة فى البكاء ، وقادتها السيدة كارملينا سبيناتا
للخارج .

وقال الميجر : لقد كنت خائفا يا جرجانو أن يحدث حادث كهذا
يجلب النكد للاطفال ، ولكن لا بد من منهم من الجرى وراء الحلوى .
وأجاب جرجانو رافعا يديه لأعلى : وماذا نستطيع أن نعمل ؟
وقال الميجر : أريدك أن تأخذ غدا لورىك ، ومعك روتوندو
واثنان آخران ، فاجمعوا جميع الاطفال الموجودين بالشوارع

يصيحون في طلب الحلوى وخذوهم الى نقطة البوليس حيث
تبقونهم الى أن يجن ظلام الليل، ثم استدعوا أمهاتهم يأخذونهم الى
منازلهم • انه الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نعمله ••• نعطيه
درسا •

وسقط في يد جرجانو ، وضم يديه في هيئة رجاء وقال :
ولكن الحفلة مساء الغد يامستر ميجر • اننى أتألم جدا لولم أحضر
الحفلة !

وقال الميجر : ان أبناء ادانوياجرجانو أهم من كل حفلة •
ورفع جرجانو يديه يستسلما وقال : نعم يامستر ميجر •

الفصل السادس والثلاثون

وجاء يوم الحفلة ، وحدثت أمور كثيرة :

ففى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وقفت سيارة كبيرة من سيارات البحرية الامريكية أمام السراى . ونزل منها ضابط وخمس رجال ، وأنزلوا صندوقا خשיيا كبيرا على الرصيف ، وتقدم رئيسهم الى الداخل ، وسلم رسالة الى الميجر فيكتور جوبولو .
وكان الميجر جوبولو مشغولا أمام مكتبه ، ولم يلاحظ العربة .
وفض غلاف الرسالة وقرأ :

« عزيزى الميجر

يسر البحرية الامريكية أن تستطيع تقديم خدمة للجيش .
هاهو الجرس الذى طلبته .. »

وقفز الميجر واقفا وقال : أين هو ؟

وقال الحاجب زيتو : أين ماذا يا ماستر ميجر ؟

وقال الميجر : الجرس ! الجرس ! لقد أحضروا جرسنا ؟
وجرى الى الشرفة ورأى السيارة تندفع مبتعدة . ورأى الصندوق موضوعا على الرصيف .

وصاح الميجر جوبولو فى أحد رجال البوليس الحربى أمام السراى : اسمع . احرس هذا الصندوق ولا تدع أحدا يأخذه .

ودمدم البوليس الحربى بصوت مرتفع ، ولكنه لا يصل الى سمع الميجر : ان الطريقة التى أنزل بها رجال البحرية هذا الصندوق تحملنى على الاعتقاد أن أحدا لن يفكر فى أخذه !
وأسرع الميجر للداخل وقال لزيتو : ما هو الزمن الذى احتاجوه لانزال الجرس القديم يا زيتو ؟

وقال زيتو : لقد احتاجوا لاستعمال ست مجموعات من البكرات ، واحتاجوا ليومين ، ثم ليوم لوضعه فى الصندوق !
وقال الميجر : لن أستطيع أن أصبر طول ذلك الوقت !
واتجه الى التليفون وطلب سلاح المهندسين :

- الميجر هارفى من فضلكم يا ميجر؟ هنا جوبولو . انى

أريد منك أن تؤدي لهذه المدينة خدمة كبيرة . ان لدينا عملية دقيقة ، وأخشى أن العمال الذين أستطيع جمعهم يستغرقون وقتا طويلا ويخشى أن يتلفوا العمل . ان المطلوب رفع جرس جديد الى البرج فى سراى المدينة . أظن العملية تحتاج لثمانية رجال . واذا كان عندكم بكرات وآلة رافعة قوية لرفع الجرس يمكنك ؟ حسنا جدا . هل يمكن أن يبدأوا فوراً ؟ متى تظنهم يستطيعون أن يكونوا هنا ؟ حسناً سيكون فى انتظارهم فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، لاريهم ما يفعلون . لأدرى كيف أشكرك وكان الميجر جوبولوف راحا جدا فطلب اللفتنانت ليفنجستون بالتليفون وشكره للدور الذى قام به فى الحصول على الجرس ، وأضاف : تصور انه سيرفع فى هذا المساء فوق البرج ، وربما دققناه الليلة للدعوة للحفلة . سوف تحضر الحفلة ، أليس كذلك ؟

— بلا شك باميجر .

— سأراك هناك يا كابتن . شكرا ألف شكر !

— لاشئ يستأهل الشكر . قل لى هناك مسألة ياميجر .

— ماهى ؟

— اننى لفتنانت . وفى البحرية لابد من وقت طويل قبل أن يصبح

الانسان كابتنا .

— هل الامر كذلك . انه يجب أن تصبح كابتنا فى أقرب وقت .

ثم وضع سماعة التليفون وتناول المذكرة واستمر فى تلاوتها :

«وقديهمك ان تعرف شيئا عن الكوريللى وتاريخ الجرس . ان

توت دولنج الذى أظهر كرما كبيرا بتقديم جرسه - ولاعتقد أن

هناك أى ضرر فى أن تكتب خطا باليه - (الباخرة كوريللى ، تبع

مصلحة البريد ، نيويورك) - لقد ذكر لى توت بعض الشئ عن

كوريللى . لقد قال ان اسمه الكامل فانست كوريللى ، وكان يقود

مدمرة فى الحرب الماضية . ولقد أخطأت فيما رويته فى جلستنا

الماضية . الذى حصل أن كوريللى كان يقوم بالحراسة فى شمال

الاطلنطيقى ، وتعرضت الباخرة الايطالية لزوبعة مريعة ، وانفلقت

نصفين ، وترك كوريللى مكانه فى الحراسة ، وذهب وأخذ جميع

الايطاليين الذين كانوا يلبسون العوامات . ومع أنى لأدرى مدى

معلوماتك فى الشئون البحرية ، الا أن هذا الذى فعله كان مجازفة

كبيرة ، وهى الاقتراب من الباخرة فى مثل هذه الزوبعة . وكان

ذلك فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ كما يقول توت . وتوت زميل

دراسى قديم لى ، وهو لاعب كرة فاشل ، ولا أدرى ماذا أصدق أو لا أصدق مما يرويه، ولكنى أعتقد أن هذا الذى رواه صحيح، وأرجو أن تستمتع بصوت الجرس..»

« اذا وجدت نفسك فى صعوبة من أى نوع كان ، فاقصد رجال البحرية ، وهم لا شك يجدون لصعوبتك حلا . »
« المخلص فى التعاون بين مختلف السلطات »

(روك روبرتسون : لفتنانت كوماندر بالبحرية الامريكية)
واقترب زيتو من المكتب بينما كان الميجر يقرأ ، ولما أتم القراءة قال الحاجب : لقد أصبح عندنا جرس جديد يا مستر ميجر ؟
- عندنا جرس جديد يا زيتو !

- هل صوت رنينه جميل ؟
- أرجو ذلك يا زيتو . أظنه جميلا .
- أله تاريخ ؟

- نعم يا زيتو وسأخبركم به عندما يعلق فى البرج . هل تظن أنه يخسن أن ألقى خطابا أبين فيه للناس هنا موضوع الجرس .

- طبعا . لا بد من ذلك يا مستر ميجر . ان أهل ادانو سيهتمون بمعرفة كل شئ عن الجرس .

- هل تظن يا زيتو أنهم سيدركون كل ما فى الجرس من معان ؟
أعنى أنه يمثل الأشياء التى أعتقد فيها ؟ هل تظن أننى سأستطيع أن أشرح لهم كل ذلك ؟
- أظن ذلك يا مستر ميجر . اننى أدرك ما تقصد ، وزيتو ليس بالرجل النبیه !

وقبل الحادية عشرة ببضع دقائق مرت جنازة الصيادين الثلاثة الذين قتلوا فى الانفجار بالميدان . وخرج الميجر جوبولو الى الشرفة يرقبها . وكان فى مقدمة الجنازة ثلاث عربات ، تحمل الاثنتان الأوليان جثتى انيللو وميراندينو . وكانت كل جثة فى تابوت هو فلك صغير مما يستعمله الصيادون للوصول من البر الى مراكزهم ، وقد غطى التابوتان . أما العربات الثلاثة المعدة لاسكونزو فكانت تحمل فلكا صغيرا غير مغطى ، وقد ملئت بالازهار .

وقبل الحادية عشرة والنصف بوقت طويل ، كان الميجر جوبولو على الرصيف بجوار صندوق الجرس ينتظر حضور المهندسين .

وكان ينظر ويلمس الصندوق بحنان كما لو كان بداخله طعام
لذيذ .

ووصل الفريق الذي أرسله قسم المهندسين في الميعاد .
وشرح لهم الميجر العملية المطلوبة، مشيراً الى أعلى البرج . وسأل
الجاويش المكلف العملية : ما هي المدة التي تحتاجها العملية ؟

وقال الجاويش : في بعض الايام يقول الاولاد بأن عندهم
تقلصات في المعدة ، وأنه يجب ألا يستعجلوا في العمل ، وفي
بعض الاحيان لا يشكون التقلصات . فالأمر موكول اليهم !

— وما هي المدة بحسب ظنك؟

— سننتهي منها اليوم أو غدا حسب التيسير .

— اجتهد في انائها اليوم من فضلك .

وقال الجاويش وقد استدار غاضباً نحو رجاله الذين كانوا
يتجمعون ببطء للعمل : كل شيء مرهون بحالتهم .

وانصرف الميجر للغداء ظهراً . وكان الجاويش بورث قد سبقه
الى مطعم بسكاتورى ، وجلس الميجر مع بورث كما اعتاد أن
يفعل برغم اختلاف الدرجة بينهما .

وتحدث الى بورث عن الجرس وسروره ، مماهياً لبورث الفرصة
لمناقشته . وقال الجاويش : انك أسوأ من اليوم الاول لوصولنا هنا .
وقال الميجر : كيف أكون أسوأ ؟

— لأنك لازلت حساساً جداً .

— صه يا بورث .

ولكن مناقشة بورث ازدادت : لا . اننى أقول جادا . ان الحرب
دائرة ، والصيادين نسفوا في الميناء ، والاطفال تدوسهم العربات
في الشوارع ، وهناك اصابة بالمalaria بين كل ستة أشخاص .
وكل ما تفكر أنت فيه رنين جرس ؟!

وقال الميجر جوبولو : اننى مهتم بأمر هؤلاء الصيادين يا بورث،
وقد تصيبني متاعب بسبب ذلك . هل تظن أننى أهملت أمرهم؟
انك تعلم أننى أجبرت رجال البحرية ليدعوهم يخرجون للصيد .
ولمجرد الرغبة في المكايدة قال بورث كلمة أسفلها فيما بعد،
قال : بلا شك فقد تدخل جهنم من أجل هذا . وقد يعيدونك
الى الولايات المتحدة .

وقال الميجر جوبولو : لن يفعلوا ذلك . ليس فى مقدورهم .

وقال بورث: ولماذا لا يستطيعون ؟ اننى سمعت عن فتى فى المطارات أعيد للولايات المتحدة لجرد أنه سكر .

وقال الميجر جوبولو : لا يمكن يا بورث فانه مطلوب منا عمل كثير هنا . تصور لو أنهم أتوا برجل سوء فى هذه المدينة . تصور لو أنهم جاءوا بمصيبة كذلك الرجل الموجود بمدينة بونتباسو ؟ وقال بورث : انك لست معجبا بنفسك . أم أنت بها من المعجبين ؟ وقال الميجر : أقفل فمك يا بورث . انك فى بعض الأحيان ثقيل الدم .

وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين جاء زيتو يجرى الى مطعم بسكاتورى ليخبر الميجر انهم أخرجوا الجرس من الصندوق وقال : ان شكله ظريف ! وحاول الميجر أن يقنع بورث بالذهاب معه لمشاهدة الجرس ، ولكن بورث حاب : أن طبق الباذنجان هذا لذيذ لا أدرى كيف أستطيع هجره .

وانصرف الميجر مع زيتو . وفى الطريق قال له الحاجب : قبل أن أنسى يا مستر ميجر ، ان الموظفين يريدون مقابلتك فى الساعة الرابعة . وقالوا ان الامر هام ! وظهر القلق على وجه الميجر : هل الامر يتعلق بالصيادين يا زيتو ؟

وأجاب زيتو : اننى مجرد حاجب ، والموظفون لا يفضون الى بما فى سريرتهم يا مستر ميجر . ثم فكر زيتو فيما قاله وأضاف : لا أنها ليست بخصوص الصيادين .

وقال الميجر : أرى أن الحاجب له طريقه للوصول الى مافى سريرة الموظفين ؟ واكتفى زيتو بالابتسام .

وكان قد تجمع عدد غير قليل من الناس يتفرجون على ما يصنعه المهندسون بالجرس . كان أحدهم كاكوباردو العجوز ، ولأنه كان قد حدث الميجر فى أول أيام الغزو ، فقد انتدب نفسه مشرفا على العمل بالرغم من أنه ليس بين المهندسين واحد يتكلم الإيطالية !

وبمجرد أن حضر الميجر قال كاكوباردو : لقد أرسلت فى طلب

« جوزو » الذى يدق الجرس فى كنيسة سان انجيلو . انه يستطيع أن يعرف من مجرد النظر ما اذا كان الجرس حسن الرنين . فاذا لم يكن كذلك فطبعاً سوف ترده .

وكان الجرس موضوعاً على الرصيف فى المكان الذى وضعه فيه رجال البحرية ، وقد أزيح الصندوق من حوله جزءاً جزءاً ، وكان من البرونز ، وقد صقله رجال الكوريللى حتى أصبح يلمع كالذهب فى أشعة شمس الظهيرة . وكان منقوشاً على أحد جوانبه : « الباخرة الأمريكية كوريللى - أمريكا وإيطاليا » وعندما نظر كاكوباردو الميجريقرأ النقش سأله : من هو هذا الرجل كوريللى وكيف حفر اسمه على جرس مدينة أدانو ؟ وقال الميجر : سأبين لك ذلك عندما يعلق الجرس . ثم أخذ قطعة حجر من الطريق وضرب بها جوانب الجرس ، ولكن الصوت الذى انبعث كان بطبيعة الحال صوتاً مكتوماً ، لأن الجرس كان موضوعاً على الخشب . وقال الميجر : انى لاتسأل كيف سيكون رنينه ؟

وقال كاكوباردو : ان جوزو سيعرف . وجاء ضارب الجرس أخيراً . لقد كان يكاد يبلغ سن كاكوباردو . وبدت يده وساعده قوية جداً ، أما باقى جسمه فبدا عليه العجز .

واستدعاه كاكوباردو فى وسط الجموع وطلب منه أن يفحص الجرس . وطاف الرجل العجوز حول الجرس وهو ينظر إليه ، ثم انحنى عليه ومرر راحة يده على الجرس من أعلاه لأسفله . ثم وقف وبدأ كما لو كان يقرأ ما كتب عليه مرة بعد أخرى . ونظر مرة واحدة الى أعلى برج الساعة حيث كان بعض المهندسين بثبتون بكرة . وطلب أن يقلب سافل الجرس عالياً ، ولما أماله بعض المهندسين على جنبه نظر الى باطنه

وأخيراً وقف وهز كتفيه وقال : أنه جرس طيب . وسر كاكوباردو وقال للميجر : اننى أعرف جوزو العجوز . انه لا يغالى ، وعندما يقول عن شيء أنه طيب يعنى انه ممتاز . سيكون الجرس حسناً جداً .

وقال الميجر : اننى جد سعيد .

وبعد الساعة الواحدة بيضع دقائق ذهب الميجر جوبولو لمنزله ليأخذ قسطاً من الراحة ، وأراد أن يوفر جزءاً من نشاطه

من أجل الحفلة - ولكنه أراد أيضا أن يفكر قليلا في الخطبة التي سيلقيها عن الجرس .

واستلقى على سريره ، وكانت آراؤه في أول الامر مختلطة لانه كان متأثرا . ولكن أفكاره بدأت تتبلور تدريجيا ، ووردت الخواطر مستقيمة في تفكير الميجر جوبولو .

فكر في أنه سيقول بعض كلمات عن ازالة الجرس القديم ، ثم يروى كيف أن أهل ادانو جعلوه يهتم بأن يأتيهم بجرس جديد ، ثم بضع كلمات عن كوريللي ومعامله من أجل الايطاليين في الحرب الماضية ، ثم عن معنى ما نقش على الجرس «امريكا وايطاليا» في هذا الوقت ، ثم ربما قال شيئا عن جرس الحرية الامريكى . . فقد اهتم الميجر بموضوعه بعد أن كان قد ذكره في حديثه في ذلك اليوم ، وكتب الى حكومة الحلفاء العسكرية يستفسر ، وأصبح يستطيع الآن أن يشرح مصدر الشرخ . وسيذكر لاهالى ادانو ماهو منقوش على جرس الحرية من كلمات ليفيتيكوس : « أعلن الحرية في جميع أنحاء الارض ولجميع سكانها » .

وبعد ذلك أصبح كل شيء واضحا في تفكير فيكتور جوبولو . عرف تماما ما سيقوله . وجاءته الالفاظ جميلة وصادقة عن الجرس الجديد ومغزاه لادانو ، وعما أراده هو - فيكتور جوبولو - لاهالى ادانو . كانت الكلمات واضحة وصادقة بما لا مزيد عليه .

وفى الساعة الثانية وصل حامل البريد على دراجة بخارية من فيشينامارى . وراه الجاويش بورث من مكتبه يقذف كيس البريد على الرصيف أمام السراى . . والبريد - حتى البريد الرسمى - حادث هام . ولذلك انتقل الجاويش بورث الى السراى لمكتب الميجر جوبولو يستطلع الامر .

لم يكن بالبريد شيء يخص الجاويش بورث . ولكن مادام الميجر جوبولو ليس في مكتبه فقد قرر الجاويش بورث ان يدس أنفه ليرى ماهو حادث . ووصل في بحثه الى ورقة مرسلة للميجر جوبولو فقرأها

« ١ مصرح لك بأن تتركب أول وسيلة للنقل الى قيادة افريقيا بالجزائر عن طريق فيشينامارى .

٢ - ستحدد لك القيادة في افريقيا عملك الجديد .
٣ - السبب في هذا الامر انك بالنسبة لرقم (١) أصدرت
عامدا وبدون استشارة امرائنا أوامر صادرة من الجنرال
مارفن ، الغرفة ٤٩ بخصوص دخول عربات البغال مدينة
ادانو . »

وكان الامر موفعا عليه من الجنرال مارفن .
وطوى الحاويش بورث الامر ووضعه في جيبه وترك المبنى .
وذهب مباشرة الى مقر فسادة الفاشستين وقال الكابتن
بيرفيس : لقد أعفى المجر من وظيفته .
وقال الكابتن يا للجنة ماذا تعنى ؟
- أعنى ماقلته . لقد صدرايه الامر بالعودة الى الجزائر
حيث يحدد له عمل جديد .
- ولماذا لعنة الله عليهم !

- التمرد . الغاء أمر صادر من مارفن بخصوص عربات
البغال . أظن ان ذلك بعد حادث البغل الذي أمر الجنرال
بإطلاق الرصاص عليه خارج المدينة !

وكان الكابتن بيرفيس قد نسي كل مايتعلق بالتقرير الذي
أرسله للفرقة . والآن وقد تذكر لم يجد في نفسه الشجاعة لأن
يقول شيئا .

وقال بورث : انها مذكرة لعينة . ان المجر بدأ يحقق
أشياء نافعة لهذه المدينة .

وقال الكابتن بيرفيس : حقانه بدأ فعلا .
واخترق تفكيره شك . ان هذا الرجل بورث له طريقة لمعرفة
الكثير مما هو حادث :

- كيف عرفت أن الامر صدر بأعفائه ؟
وقال بورث : لقد رايت الامر على مكتب المجر .
- وهل تعلم المجر بالموضوع ؟
- لا . المجر ليس في مكتبه . والامر في جيبى ، ولن أذكر
له شيئا عنه الا بعد الحفلة .

وعاد المجر الى مكتبه في نحو الرابعة الا ربعا . وفحص البريد
وتفرغ بضع دقائق في اعداد تقرير للكولونيل سورتوريوس .
وفي الساعة الرابعة وصل زيتو وقال : هل تقابل الموظفين
الآن ؟

- نعم يا زيتو .

ودخل الموظفون وفي مقدمتهم بللانكا العجوز كالعتاد ، ثم
الباقون جرجانو وساييتا ودارباوروتوندو والسيدة كارمينا
سبيناتو وتاليا في . ولاحظ الميجر من وجوههم المرحاة أنه
لن يسمع مالايسر في هذا الاجتماع .
وتكلم بللانكا العجوز : عندنا شيء نريد أن نقدمه للميستر
ميجر .

ولم يستطع داربا أن يمنع نفسه من أن يقول بصوته
الضخم : نريد أن نقدم للميستر ميجر مستر ميجر آخر ! ..
« وضحك الآخرون بصوت غير مسموع » .

وقال بللانكا : أحضره يازيتو من فضلك ! وخرج زيتو .
وعاد الحاجب أولا يحمل حامل رسم . ثم خرج ثانياة ،
وعاد يحمل صورة الميجر من تصوير لوجاكونو .

وكان رسما جميلا حقا . ولما رآه الميجر وقف مسرورا ،
وقال : اذن هذا هو السبب في أنكم أردتم أخذ صورة
فوتوغرافية لى .

ووقف جرجانو كما لو كان يحمل آلة تصوير في يده ،
ويضغط المفتاح باليد الأخرى ، مقلدا صوت سباتافورو
العجوز الأحش :

— أيها الشاب انك مغرور . كل ماتريده هو أن تنظر في
وجهك ! .

وفي هذه المرة عندما ضحكوا جميعا ضحك الميجر معهم .
وسلك بللانكا العجوز حنجرتة ، وسكت الآخرون كما لو

كانوا قد أمروا بالسكوت ، وقال العمدة : لقد بقيت سنين طويلة
مجرد موثق في مدينة ادانو هذه ، ولم أخطب أبدا ، ولا أريد
أن أبدا خطبة الآن . ولكن هؤلاء طلبوا منى أن قول لك يامستر
ميجران هذه الصورة قد لا تكون أحسن صورة صورناها ، ومع
أنها متقنة جدا بالنسبة للوجاكونو ، ولكن حتى لو كانت رديئة
جدا لقدمنها لك لاننا نريد أن نبين لك

وتلثم بللانكا العجوز . وسلك زوره مرة أخرى وقال
ان ما طلب منى هؤلاء أن أقوله لك هو أن هذه الصورة

ثم نظر العمدة العجوز الى الآخرين مستنجدا . وتقدم
جرجانو الى الامام وقال : ان ما يريد الميستر عمدة أن يقوله
هو أن العينين — « ورسم جرجانو دائرتين بأصابعه ووضعهما
امام عينيه هو » — أن عيني الصورة صريحتان !

- وأشار داربا الى الصورة وقال : وفى الذقن قوة .
وأمسك جرجانو بأحدى أذنيه وأشار الى أذن فى الصورة
ثم قال : ان الاذنين تدلان على الهمة .
- وقال ساييتا منظم الشوارع مارا رأسه بالموافقة : ان ثبوت
الشعر يدل على النظافة .
- وأخيرا تذكر بللانكا العجوز جزءا مما أراد قوله وقال : وفى
الحدود حرارة محببة .
- ثم قال جرجانو - وفى هذه المرة بقيت يدها بجانبه بغير حراك
دليلا على الاخلاص التام : وتستطيع أن ترى فى هذه
الصورة أن هذا الرجل يريد أن يكون كل ساكن فى مدينة ادانوا
سعيدا ! وهذا شئ عظيم فى وجه انسان .
- وقال بللانكا العجوز : لقد رسم لوجاكونو صورة ناجحة ،
وأردنا أن نقدمها لك .
- وقال الميجر جوبولو : أشكركم . ذلك كل ما قاله لان موظفى
أدانوا أسرعوا بالخروج . وعلى كل حال فلم يستطع الميجر جوبولو
أن يقول أكثر من ذلك .
- وقبل الخامسة بقليل حضر الجاويش المكلف بفرقة المهندسين
التي كانت تعمل فى رفع الجرس وقال : وجدنا صعوبة ياسيدى !
- أية صعوبة ؟
- ان العمود الخشب الذى يجب وضع هذا الجرس فيه كبير
جدا ولا بد من احضار غيره .
- وهل سيتمكنكم الحصول على غيره ؟
- بلا شك ولكن ذلك سيعطلنا نوعا .
- مافرة التعطيل ؟
- الامر متعلق بالزمن الذى تحتاجه للعثور على عمود جديد .
ولا أدرى العمل المطلوب لرفعه عندما نعر عليه . كل شئ حسب
التيسير .
- أيمكنكم أن تنتهوا هذا المساء ؟
- لأظن . ولكننا نستطيع بسهولة أن نضعه غدا صباحا .
- وبعد الساعة بقليل خرج جرجانو ليجمع الاطفال الذين
يصيحون طالبين كراملة . وأخذعه روتوندو وجندين آخرين
وسيارة البوليس ، وساروا فى شارع امبرتو الاول . وهناك

وجدوا الاطفال متجمعين يتصايحون أمام كل سيارة تمر : « كراميلا .. كراميلا » .

وحتى عندما مرت سيارة البوليس مخترقة الشارع لتميل الى شارع فافيمى كان الاطفال يصيحون : « كراميلا .. كراميلا » .

ونبتت فكرة فى رأس جرجانو حين وجدهم يهتفون لسيارة البوليس .

فلما وصلت السيارة لآخر الشارع ثم استدارت وعادت على الجانب الذى فيه الاطفال ، طلب جرجانو من الذين معه أن يفتحوا الحاجز الخلفى للسيارة وينزلوا السلم ، ووقف بجوار السيارة من الخلف وصاح : تعالوا يا أطفال لتأخذوا الكراميلة التى تطلبونها .

وخاف الاطفال أول الامر من سيارة البوليس وارتدوا للخلف ، ولكن جرجانو أشار بيديه وصاح : تعالوا يا أطفال لتأخذوا أنصبة كاملة من الحلوى . من يأت الاول يأخذ نصيبه فى البداية . تعالوا مع جرجانو لعيد الكراميلا . وتشكك الاطفال . ونظر كل منهم للآخر وتساءلوا !

وأخذ جرجانو يشير بيده ، كمن يضع طعاما فى فمه : أكوام من الكراميلا . تعالوا أطفال الى النزهة . لاصياح ولا تسابق . وانما استمتاع بالاكل . تعالوا مع جرجانو . وكان أول من اقتنع ابن أحد الموظفين ، سايتا ، وقال للقريين منه من الاطفال : اننى ذاهب . ان جرجانو صديق أبى وسيقدم لنا الكراميلة دون تعب . وجرى نحو سيارة البوليس . وصاح جرجانو : انك ولد طيب . ولد مؤدب . ولد ماهر . سأعطيك أكبر كمية من الكراميلة لانك أول من حضر .

وبدأ هجوم عام على سيارة البوليس . وبينما يتسابق الاطفال على سلم السيارة كانوا يصيحون : كراميلا . كراميلا . وعندئذ صاح أحد الاطفال : فكروا فى أصدقائكم الذين ليسوا هنا الآن . انهم سيكرهون تغييبهم . وقال واحد من الاطفال الآخرين : ان من الاثرة ألا ندعوهم معنا .

وقال ثالث : ان انطونينو ابن هوجو ليس هنا . سأذهب لادعوه . . . وجرى . وقال آخر : انتظرونى ، سأذهب لاحضر رومانو .

وقال آخر : أين أوكيبنتي ذوالشعر الاحمر ؟ انتظروا حتى أحضره .

وقال اربا الصغير الغبي غباوةأبيه : يوجد شخص ليس هنا كان يجب أن يكون معنا . من هو ؟ من هو ؟

وبينما الاطفال قد جروا ليستدعوا أصدقاءهم قال جرجانوا : أسرعوا . أسرعوا . ليس لديناوقت . ان هناك حفلة للكبار كما أن للاطفال حفلة . وليس لدى جرجانو وقت كاف للكراميلة ! أسرعوا . .

وقال اربا الصغير : من هو الشخص الذى أفكر فيه ؟ من هو الطفل الذى يلبس بزة زرقاء ؟

وبدا الذين جروا من الاطفال يعودون ومعهم أصدقاؤهم . وكان جميع الاطفال الذين بالسيارة يهتفون : « كراميلا . كراميلا ! » ولكن اربا الصغير استمر يتمم متسائلا عن الطفل المنسى .

وعندما وصل آخر الذين جروا صاح اربا : كاك . كاك . لقد تذكرت انه كاكوباردو « ونزل من السلم جريا وقال : انتظرونى . ان كاكوباردو هو الذى يلبس البزة الزرقاء . انه

يمسك يدي . لابد من أن أحضره معي . انتظروا ، وجرى اربا الصغير . وبدأ جرجانو يفقد الصبر ، فقد بلغت الساعة السابعة والدقيقة العشرين بيئما حدث الساعة السابعة والنصف ، لبداية الحفلة ، وقد بدأ الناس يسرون فى الشارع متجهين الى منزل كواتروتشى .

وجرى اربا حتى قطع مجموعتين من المنازل ثم تذكر انه لايعرف أين يقيم كاكوباردو . وصار يصيح مناديا عليه ، ولكن أحدا لم يجب . وبحث عن شخص يسأله ، ولكن لم يكن أحد ظاهرا على مدى النظر . وعلى ذلك قصد الى منزله ليسأل أباه .

ولم يستطع جرجانو أن ينتظراكثر مما فعل فأمر السيارة بالمسير .

وأخذ الاطفال يهتفون معا : كراميلا . . كراميلا . وسارت السيارة الى نقطة البوليس حيث لم يكن يوجد بها أى نوع من الحلوى .

ووقفت لجنة الاستقبال عند مدخل صالة منزل كواتروتشى . وكان بلانكا العجوز موجودا بحكم منصبه ، وكاكوباردو

الوحيد بين سكان ادانو الذى يملك فراكا ، وهو الوحيد الذى يرتديها ان كان يملكها ، وكراكى البدن الذى دل مظهره على أنه شرب أكثر من زجاجة الثلاث من النبيذ التى اعتادها فى الغداء ، والسيدة كارملينا سبيناتو التى تمثل بقدر استطاعتها الجنس اللطيف ، ولوجاكونو ذو الرأس البياض الذى ضم الى اللجنة للصورة الجميلة التى رسمها . وكان متغيبا من اللجنة توماسينو احترامالذكرى الصيادين الذين توفوا ، وجرجانو الذى كان مشغولا بعمل آخر .

وكان قد مضى على بداية الحفلة عشر دقائق ولم يحضر ضيف الشرف ، وكان جيوزيبى انضى رتب كل شيء يتنقل فى الحلف ويردد من وقت لآخر : سوف يحضر المستر ميجر من دقيقة لآخرى .

وكان المستر ميجر فى هذه الاثناء قد مر على تينا ، وكانت تينا ككل النساء لم تستعد أو لم ترد أن تعترف بأنها استعدت . وأخيرا فى الساعة الثامنة الاربعاء خرجت تينا من غرفتها . وكانت مرتدية بلوزة رقيقة بيضاء وقميصا كبيرا من التافتا الحمراء .

وسرعان ما تبدد ضيق الميجر جوبولو بالانتظار وقال : ان هذا يستأهل الانتظار طول الليل !

وانحنت تينا فى كثير من الجذو جمعت أطراف قميصها بيدها اليسرى ، ومدت يدها اليمنى لتمسك بذراع الميجر جوبولو ، فقدمه لها ، وانصرف الاثنان بعد أن أرسلا بتحياتهما الى توماسينو وروزا التى كانت تتصبب عرقا من مساعدتها بنيتها على ارتداء ملابسهما .

وفى طريقهما فى شارع امبرتو الاول سمعا طفلين يكيان . وكانا لا يكادان يريان فى الناحية لآخرى من الشارع بسبب الظلام . فاخترقا الشارع صوبهما . ووجدا ابن اربا الصغير فى أسماه ، وحفيد كاكوباردو فى ملابس الجميلة يجلسان ، وقد احتضن كل منهما أخاه وهما يكيان بحرارة . وانحنى الميجر جوبولو وأخذ يربت على ظهريهما ويسألهما عن سبب البكاء .

وتمكن اربا الصغير خلال دموعه أن يقول . لقد تأخرنا ولم نتمكن من حضور حفلة الكراميل . وقال كاكوباردو الصغير : تأخرنا .

— عن ماذا ؟

وقال اربا الصغير : عن نزهة الكراميل • اننا الوحيدان اللذان
تركا •

وقال كاكوباردو الصغير : أما لاطفال الآخرون جميعا • •
وتذكر الميجر جوبولو ما كان قد كلف جرجانو عمله وقال :
لابأس • سنأخذكما بدل ذلك الى حفلة للكبار • تعالوا معنا •
وهكذا سار الميجر وتينا صوب منزل كواتروتشي ، وقد أمسك
كل منهما بيد طفل •

وعندما دخلا المنزل قال كراكسى البدين الذى امتلأت معدته
بنبيذ كثير وقد تقدم نحوهما : يارباه • انه رب أسرة • • طفلان
جميلان • زوجة جميلة • وأخذ يلاطف الطفلين • • •
ثم بهت حينما تبين أن « الزوجة » هى تينا وقال : مستر
ميجر • لماذا لم تقل لنا ؟

ولكن بقية اللجنة كانت قد وصلت فى هذه الاثناء ، وأغرقت
دهشة كراكسى بين التحيات والتسليمات • وأخذ كاكوباردو
العجوز حفيده الحسن البزة ، والمهلهل البزة اربا الصغير
بيديهما ، واستبقاهما معه طوال الليلة •

وافتححت الحفلة ناجحة من وجهة نظر كل واحد • كان سكان
المدينة مغتبطين جدا اذ لم يستمتعوا بحفلة كهذه من
سنوات • وكان جيوزيبي منظم الحفلة يتلقى التهاني باستمرار •
وكانت الشميانيا بكمية كافية توافق الكابتن بيرفيس ، وكثيرة
لدرجة لم تمكنه من مضايقة أى فتاة جميلة • واستمر كراكسى
محافظا بانتعاشته ، بينما شرب فاتا الكسول ثلاث كؤوس ثم
انتقل الى غرفة خالية واستغرق فى نوم عميق •

أما أفرونتى بيترو العريجي ذو الصنوت العالى فقد شجع على
أن يرفع عقيرته بغناء لتسلية الضيوف • أما لورا صوفيا
الفتاة التى لم تنزوج فقد أنفردت بالكابتن بيرفيس بعد أن
تمكن من الحمر وأخذت تمطره بقبلاتها • ورقص نيقولو وحبيبته
سويا • أما الجاويش بورث الذى كان معكر المزاج فى أول الحفلة
فقد ظل ملازما لوعاء النبيذ لا يبارحه ، ثم سرعان مازج مزاجه
وبدأ يهاجم كراكسى البدين •

ونجح الميجر جوبولو وتينا منذ بداية الحفلة فى أن ينسحبا
الى شرفة بالمنزل •

وسألته تينا : هل أنت سعيد ؟
وقال الميجر جوبولو : لقد سألتنى هذا السؤال آخر مرة ،
وكنا فى شرفة أيضا !

وقالت تينا : لقد كان ذلك لمجرد تبادل الحديث •
وقال الميجر : وماذا تفعلين الآن ؟

- اننى أسألك : هل أنت سعيد ؟ وأدارت تينا وجهها المضى
فى وسط الليل البهيم نحو وجه الميجر •
وقال الميجر : أن من بين جميع الايام السعيدة التى قضيتها
فى ادانو كان هذا اليوم - ولا يزال - أسعدها
- قل لى اذن ما وعدت فى ذلك اليوم أن تقوله لى •

- قولى لى أولا هل تبينت حقيقة شعورك نحو جورجيو ؟
وقالت تينا : لا ! وحسب الميجر جوبولو أن فى صوته
وطريقة قولها الكثير من الدلال ، ولكنها أضافت : لن أعرف ذلك
الآن •

وسألها : ولم لا ؟
فأبتعدت قليلا ثم قالت بصوت يكاد لا يسمع : لأننى أعرف
مدى شعورى بالنسبة لك •
فأقترب منها ومن غير أن يلمسها قال : ذلك كل ما أردت
أن أقوله لك يا تينا • اننى أعرف شعورى أنا أيضا • اننى
مغرم بك • ولا أحس بالسعادة الا حين أكون بجوارك •
وأراد أن يقبلها ولكنها قالت : ما هذا ؟

وقال هو : أى شىء ؟
وقالت هى : الضجة ، ألا تسمعها ؟
وكانت فى الجو دمدمة مضى عليها وقت ، ولكن ضوضاء الحفلة
الداخلية غطت عليها ، ولكن الدمدمة الخارجية أخذت تتزايد •
وقال هو : ماذا تظنينها تكون ؟
وقالت : لم يسبق لى أن أسمع شيئا مثلها ؟
وأشار هو الى اليسار وقال : انها هناك • ماذا فى هذا
الاتجاه ؟

وقالت هى : هناك كنيسة اليتامى ومنزل كاكوباردو ومخبز
زابولا ونقطة البوليس •• •

وأخذ الميجر جوبولو يد تينا وقال : نقطة البوليس ؟ تعالى
معى •

وسارا نحو نقطة البوليس ، وبدأت الضوضاء تنمو فى نسيم

الليل . ولما أقتربا وضحت أنها عويل وبكاء عدد كبير من الاطفال .
ولما دخل الميجر وتينا رأوا الاطفال يضيحون غاضبين ويبيكون
من جرجانو . وكان واقفا على سلم الدور الثاني والعرق يتصبب
من وجهه ، وهو يحاول بالاشارات وبأعلى صوته أن يشرح لهم لماذا
لا توجد كراميلة فى نقطة البوليس ! ولكن الاطفال لم يغفروا
له زلته بالكذب عليهم .

واخترق الميجر جوبولو طريقه بين الاطفال ، وصعد ثلاث أو أربع
درجات من السلم ، ولما رأى الاطفال الميجر أخذوا يهتفون ويضربون
الارض بأرجلهم طالبين « كراميلا . كراميلا » .

ورفع الميجر يده وهدأت الضجة تدريجيا . ولما شمل السكون
الجميع فيما عدا نهضة الاطفال بعد البكاء ، ألقى الميجر آخر
خطاب عام خطبه فى أذانو . لم يكن الميجر يعلم أن ذلك سيكون
آخر خطاب له ، ولكنه جعله خطابا بسيطا وواضحا ، ولو أنه أعد
خطاب وداع لما كان أفضل مما قال .
قال :

« يا أطفال أذانو ، آسف لا توجد كراميلا هنا . »

(وصرخ الاطفال احتجاجا) .

« وأخشى أن تكونوا قد خدعتم . ولكننى متأكد ان جرجانو
لم يرذ بكم سوءا حين قال لكم انكم ستجدون كراميلا هنا . انه
قال ذلك ليضمن مجيئكم ، لأن لديه أمرا هاما يريد أن يفضى به
اليكم . . »

« هل تسمح لى أن أقول لهم يا جرجانو ؟ (وهز جرجانو
رأسه موافقا) .

« هل تعرفون ابن كالفى الصغير الذى صدمته سيارة مساء
أمس ؟ أتعرفون لماذا صدمته السيارة ؟ وأنت يا بسكوالى يا ابن
جيجانتى ، هل تعرف لماذا صدم ؟ »

(وكان بسكوالى ابن جيجانتى أحد الفريق الذى رتب كيف يحرم
الآخرين من الكراميلا . فhez رأسه) .

« وأنت يا ماسيمو بن زوبى ، هل تعرف لماذا ؟ »

(وهز هذا الطفل ، وهو واحد من الفريق ، رأسه أيضا .)
وارتفعت يد صغيرة ، وقال صاحبها بصوت صغير : أنا أعرف .

— ماذا تعرف يا ماركو ؟

وقال ماركو ابن مانيفاتورا أحد الاطفال الصغار الذين
خدعوا : لانه كان محبا لنفسه .

— ان ماركو على حق • ان ماركو يقول ان كالفى قتل لانه كان يحب نفسه • انك ياماركو بحق تماما • هذا ما اراد جرجانو أن يقوله لكم • أليس كذلك يا جرجانو ؟
لم يكن ذلك ما كان يفكر فيه جرجانو فى الواقع ، ولكنه هن رأسه موافقا ••

— ان الطفل كالفانى ما كان ليقتل لو لم يكن هو وباسكوالى وماسيمو محبين لأنفسهم • لو أنهم لم يحاولوا أن ينفردوا بكل شيء ، ما كان ليصاب ، وكان ينال كل واحد مقدارا من الحلوى •

ونحن الآن لا نريد أن يقتل أطفال فى هذه المدينة • أنكم لا تريدون ان يقتل أحد أصدقائكم • أنا متأكد من ذلك • واليكم الطريقة التى سنتولى بها من الآن فصاعدا موضوع الحلوى • سأعين لجنة ترصد أسماء جميع الاطفال الذين يريدون كراميلة ، وتعين اللجنة غلامين يجمعان الحلوى كل مساء أثناء اختراق السيارات للمدينة • وسيستمر الجنود الامريكان فى لقاء الحلوى • ذلك ما أنا واثق منه • وسيضع الطفلان المكلفان بالجمع الحلوى فى صندوق ، وتتولى اللجنة توزيعها بالترتيب بحسب أسماء أصحاب الطلبات • ومعنى ذلك أن يصيب كل واحد نصيب ولا يضر أحد • وقد اخترت للجنة ماركو وبسكوالى •

وصاح صوت : ان بسكوالى يحب نفسه وسيضع بعض الحلوى فى جيبه بدلا من وضعها فى الصندوق •
وقال الميجر : لا أظنه يفعل • اذن بسكوالى وماسيمو واليودورو واليزابيتا •

ثم أضاف الميجر : أريد أن تكونوا سعداء بعضكم مع بعض • أريد أن يحصل كل واحد منكم على أكبر كمية يرغب فيها من غير أن يضر الآخرين • ذلك ما أريده لمدينة أدانو •
وانصرف الميجر وأخذ جرجانو الاطفال لمنازلهم •
وفى طريق العودة الى الحفلة قالت تينا : الآن عرفت لماذا أحبك •

وقال الميجر جوبولو : لماذا ؟

— بسبب ما تريده لأدانو • من أجل هذا يحبك كل فرد هنا • لا يوجد أحد هنا يتحدث عنك بكلمة سوء ، وهذا أمر نادر فى أدانو •

وقال : وأنا أعرف لماذا أميل اليك •

— لماذا ؟

- لسبب أنانى صرف .. لأنك تجعليننى أحس كما لو كنت
شخصا مهما .

وقالت تينا : ولكنك كذلك ! وكان فى صوتها سخرية خفيفة
لا تكاد تحس .

ولما عاد الميجر وتينا الى الحفلة قابلهما جيوزيبى وهو يهز يديه
وتدل ملامح وجهه على الحيرة الشديدة . أين كنت يا مستر ميجر ؟
لقد بحثت عنكما فى جميع الشرفات وجميع غرف النوم .
وقال الميجر : لم يكن ذلك ضروريا يا جيوزيبى ، ما الذى
تريده ؟

- ان كراكسى البدين وجاويشك سيئان التصرف ، ولا
أدرى ماذا أعمل لهما ؟

وقال الميجر لتينا : أنتظرى هنا ، وذهب مع جيوزيبى للبحث
عن كراكسى وبورث .

لقد كانا فى المكتبة ، ولم يكن بالغرفة غيرهما ، وكانا سكرانين
أشد السكر .

وغضب الميجر أشد الغضب مما يفعلان ، وعنفهما أشد
تعنيف ...

وفجأة بدأ بورث يبكى .

وقال الميجر جوبولو بحدة : راقب نفسك يا بورث .

ولما تكلم الميجر بهذه الحدة انسحب كراكسى من الغرفة وتبعه
جيوزيبى ليراقبه .

وأصبح الميجر وبورث وحدهما . وتكلم الميجر ثانية :

- أحسن التصرف يا بورث أوعد لمنزلك .

لقد سكر بورث بسبب الميجر . لم يسبق له أن سكر بلباسه
الرسمية . ولما تكلم الميجر بهذه الحدة ، نبتت عند بورث رغبة
المقاومة التى جعلته يكاد الناس وبضحك على الجادين منهم ويظامن
من غلواء المتكبرين ، وأجاب بغلظة :

- انك لم تعد قادرا على أن تأمرنى !

وقال الميجر ضاغطا كلمة «جاويش» ضغطا واضحا :

- يا جاویش بورث !
وقال بورث : لا توجه الى الحديث بوصفى جاویشا ، فليس لك
سلطة الأمر على ؟

- ان سلطتى هى هى ، واذا أسأت التصرف ...
وقال بورث : لا . . . ليست سلطتك هى هى . وليس لك أى
سلطة على أى انسان فى أدانو .

- انك سكران يا بورث . أحسن سلوكك .
- يا جوبولو لقد فصلت . لقد أعفوك من عملك . أنك لم
تعد شيئاً هنا .

وبدا بورث يبكى مرة ثانية .
- أننى لا أدرى يا بورث عما تتحدث ، ولكننى ...
واتجه الميجر الى بورث وأمسك بذراعه يحاول اخراجه .
وقال بورث : ارفع يديك عنى ! . ثم
ثم مد يده الى جيبه وأخرج
ورقة وقال : خذ . اقرأ هذه .

وقرأ الميجر جوبولو أمر استدعائه من أدانو ، وسأل :
من أين حصلت على هذه ؟
وكان بورث لا يزال يبكى : من على مكتبك . لقد أردت ألا
تراها الا بعد الحفلة .

وخرج الميجر من الغرفة .
وضبط الميجر أعصابه حتى نهاية السهرة ، حتى اللحظة التى
ودع فيها تينا داخل باب منزلها ثم أحاطها بذراعيه وتال لها بحزن
عميق :

اننى حزين جدا .
وتراجعت تينا ونظرت الى وجهه ، ثم وضعت يديها على كتفيه
وقالت : ولكننى حسبتك سعيدا جدا ؟
وتمالك الميجر أعصابه وقال : أننى سعيد . أنا آسف .
وسألت تينا : أمن أجل زوجتك ؟
- لا يا تينا . لا شئ ! وفى حرم سلم منزلها قبلها بحنان .
وقال : الى الملتقى .

وارتعدت وقالت : ما الامر ؟ لماذا قلت الى الملتقى بدلا من ليلتك
سعيدة ؟ ماذا حدث ؟
- لا شئ ياتينا . مساء الخير ياتينا ...

الفصل السابع والثلاثون

كان النهار قد انتصف قبل أن يرتب الميجر جوبولو أوراقه ويصدر تعليماته الأخيرة • وكان الجاويش بورث هو الذي ساعده فى ترتيب كل شيء • ولم يجد الكابتن بيرفيس فى نفسه الشجاعة الكافية ليظهر طوال الصباح •

وطلب الميجر جارج السيارات وطلب سيارة تقبله الى فيشينامارى • ثم قال لبورث: لا أريد أن أودع أحدا يا بورث، فلا أدري ان كنت أستطيع أن أفعل •

ولم يحاول بورث أن يكاد فى هذا الصباح ، وقال : انى آسف لما حدث ليلة أمس • لقد كانت نياتى حسنة • لقد أردت أن تمضى وقتا سعيدا طوال الحفلة •
- أعرف ذلك •

وفكر الميجر لحظة ثم قال : حاول يا بورث أن تساعد من يحل محلى أيا كان ، ليؤدى عملا نافعا لأدانو •

وقال بورث : أننى أخشى أن يكون ذلك المسطول من مونتباسو • وقال الميجر : أرجو ألا يكون هو • ان أدانو فى حاجة لرجل معقول •

وقال بورث : ان أدانو تحتاجك يا ميجر •

وقال الميجر : لقد فات أوان الحديث فى هذا • أنى لا أعجب كيف عرف مارفن بموضوع العربات ؟ •

واتجهت ظنون بورث الى بيرفيس ولكنه قال : ربما مر أحد رجاله بالمدينة أو علم بوسيلة من هذا القبيل •

وقال الميجر : ربما • أظن ذلك •

وجاءت سيارة الجيب • وحتى لا يثير الشكوك ذهب بورث الى منزل الميجر وأحضر أمتعته ، وكانت لاتعدو مرتبة سرير ملفوفة وبدخلها ملابسه •

ولما عادت سيارة الجيب الى السراى حمل الميجر جوبولو
صورته تحت ابطه ونزل السلم فركب السيارة • وهز يد بورث
ولكنه لم يقل له وداعا •

وكان فاتا الكسول واقفا على الرصيف وقال لمجرد تبادل
الحديث : اذهب لاي جهة ؟

وحاول الميجر أن يبدو مرحا وقال :
مسافة قريبة • كيف كارملينا هذا الصباح ؟
وقال فاتا الكسول : انها تطهودقية أرانب •
وقال السائق : الى أين ياميجر ؟

ولم يشأ الميجر أن يقول : الى فيشيننا مارى ، حتى لا يسمعه فاتا
أو أحد سواه ، أو لعله لم يستطع أن يقولها ، فأشار الى طريق
فيتوريو أمانويل ، وقال : من هنا •

وبعد ترك المدينة بحوالى أربعة أميال استوقف الميجر السائق :
قف دقيقة من فضلك !

وأوقف السائق سيارة الجيب •

وقال الميجر : اصغ • هل تسمع شيئا ؟
لقد كان صوتا جميلا فى نسيم الصيف • انه صوت جميل ،
ولا شك أنه قوى اذ أمكن سماعه على هذا البعد •
وقال السائق : مجرد جرس • لابد أن الساعة الآن الحادية
عشرة •

وقال الميجر : نعم !!

ونظر من فوق التلؤلؤ الى البحر ، والى اليوم الصافى صفاء صوت
الجرس نفسه ، ولكن أفكار الميجر كانت مضطربة قلقة ، ولم يكن
يستطيع أن يفكر بوضوح •

وقال : نعم • الساعة الحادية عشرة •

انتهى

1857

الجدوى، حسن

تحية الاجراس

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030688

American University of Beirut



813
115
General Library

